

الدكتور محمد المسامحة

كبرى المحركات الإسلامية الحديثة

تأليف
الدكتور اسحاق موسى الحسيني

دار بيروت
للطباعة والنشر

الدُّعْوَاتُ الْمَسْأَلُونَ

كِبْرَى الْحَرَكَاتِ لِإِسْلَامِيَّةِ الْحَدِيثِ

تأليف
الدكتور اسحاق محمد الحسن

دار بيروت

للطباعة والنشر

بيروت ١٩٥٢

❖ حقوق النقل والترجمة محفوظة للمؤلف ❖

[الطبعة الاولى]

الفصل الاول

ظروف نشأته

تأسست في القاهرة في شهر ديسمبر سنة ١٩٢٧ اول جمعية للشبان المسلمين ١ مقتفية الى حد كبير اثر جمعية الشبان المسيحية ٢ التي تأسست في القاهرة في يناير سنة ١٩٢٣ . وليس مجرد التشابه في التسمية هو المظهر الوحيد للاقتفاء ، فهناك قرائن متعددة تشير اليه ؛ من اهمها النص على عدم التدخل في المنازعات السياسية ٣ ، واقتصارها على الشؤون الاجتماعية والثقافية والدينية والرياضية ، وهي من مقومات جمعيات الشبان المسيحية . وفوق ذلك فان تأسيس الجمعيات التي تشمل الرياضة خاصة في مناهجها أمر مستحدث في العالم الاسلامي الحديث ، وان لم يكن غريباً عن العالم الاسلامي القديم الذي عرف نظام الفتوة ؛ في فترة من فترات التاريخ . فالجماعات الاسلامية - وهذا تعبير أدق من جمعيات - كانت تلتفّ حول اغراض دينية محضة مركزها المسجد للثقافة فيها نصيب يُعادل نصيب الثقافة من الدين في العُرف الاسلامي . وكذلك شأن الاجتماع .

وليس ثم شك في ان هذه المصطلحات نفسها: الثقافة والاجتماع والرياضة ، قد اكتسبت معنى جديداً يقارب المعنى المفهوم عند الغربيين ، هذا المعنى الذي أسهمت في نقله جمعيات الشبان المسيحية المؤسسة في البلاد العربية ، والذي أفادته جمعية الشبان المسلمين عندما وضعت اول نظام لها . ومن أتيح له ان يشهد نشاط هذه الجمعية في القاهرة في ذلك الوقت لا يسعه الا ان يقرر انها جارت زميلتها جمعية الشبان المسيحية في كثير من مظاهرها نشاطها .

وبعد نحو سنة من تاريخ تأسيس هذه الجمعية ، اي سنة ١٩٢٨ تأسست جمعية الاخوان المسلمين في الاسماعيلية (مصر) .

وربما يبدو عجيباً ان تنشأ هذه الجمعية الثانية ، وفي القطر المصري بالذات ، مع سبق الجمعية الاولى . فهل رأت الثانية ان الاولى عاجزة عن تحقيق اهدافها فارادت هي ان تتولى العمل ؟ الواقع لا . اذ ان مضي سنة لا يكفي للحكم عليها . واذن لا بد من ان تكون الدواعي والاسباب التي أدت الى انبثاق « الاخوان المسلمون » لا صلة لها بتلك التي أدت الى ظهور « الشبان المسلمون » . وهذا ما تتضافر الادلة على اثباته . ولا يدحض ذلك قول صالح حرب باشا، الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين ، في زيارته لجمعية الاخوان في الفيوم سنة ١٩٤٦ : « ان دعوة الشبان والاخوان واحدة في الغرض والمهدف . ومن يعمل للتفرقة بيننا فليس منا . وسنعمل معاً حتى تعلق كلمة الدين

وتنال البلاد استقلالها ٦ . فهذه العبارة خطابية تُحمل على المجاملة لا أكثر ، اذ إن كانت الدعوة واحدة في الغرض والهدف حقاً ، فلمَ قيام جمعية اثر جمعية في اثناء عام واحد فقط ؟ ولمَ لم ينضمّ الاخوان الى جمعية الشبان فوراً ، ما دام الغرض والهدف واحداً ؟ قال حسن البنا ، المرشد العام السابق ، في احدي خطبه سنة ١٩٣٨ : « ان كثيراً من القضايا الاسلامية العامة يظهر فيها الاخوان والشبان شيئاً واحداً وجماعة واحدة ، اذ ان الغاية عامة مشتركة وهي العمل لما فيه اعزاز الاسلام واسعاد المسلمين ، وانما تقع فروق يسيرة في اسلوب الدعوة وفي خطة القائمين بها وتوجيه جهودهم في كلتا الجماعتين ٦ » . ويبدو لي ان عبارة البنا أدق ، وان كانت لا توضح تماماً الفروق بين الجمعيتين .

فلنبحث اذن في الظروف التي احاطت بنشأة الاخوان لتلمس الدواعي والاسباب التي أدت الى ظهورهم .

لا شك اولاً في ان الدعوة ليست منقولة ، مباشرة او غير مباشرة ، عن الغرب . اي لا علاقة لها بالنظام الفاشستي او النازي ، كما حاول ان يثبت ذلك محمد حسن احمد في كتابه « الاخوان المسلمون في الميزان ٨ » ، ولا علاقة لها كذلك باي نظام اجنبي آخر من النظم التي شاعت في اثناء نشأة الدعوة . ومع ان مؤسس الدعوة ، حسن البنا ، المرشد العام للاخوان منذ تأسيسها الى حين وفاته ، كان عضواً في جمعية الشبان

المسلمين ٩ ، الا ان الغرض والوسيلة في جمعيته اختلفا عما هما عند جمعية الشبان المسلمين .

حقا ان البنا أشار غير مرة في خطبه ومقالاته الى ما يحدث في ايطاليا والمانيا وتركيا بأسلوب يدل على اعجابه ببعض مظاهر الحكم فيها ، كإشارته مثلاً الى ان تركيا استهلت اعمالها بتوحيد القوى والغاء الاحزاب ١٠ ، والى ان هتلر يستخدم الاذاعة في انهاض شعبه وإغاث شعور الحماسة فيه ، في حين يستخدمها المصريون في الحب والغرام وادوار العبث والهيام ، وفي هذه الانواع الرخيصة من الاغاني التي تذاع ١١ ، والى ان ايطاليا قاومتها اثنتان وخمسون دولة وفرضت عليها العقوبات ، ولكنها ارغمت هذه الدول على احترام مشيئتها بدون سيف ١٢ . الا ان هذه الاشارات لا مغزى لها في هذا الصدد . وقد أشار البنا الى دول اخرى كرومانيا والعراق وانجلترا ١٣ ، في معرض الغاء الاحزاب ، دعماً لحجته في وجوب الغاء في مصر . والحاصل ان الادعاء ان البنا نقل نظامه عن النظم الغربية استناداً الى مثل هذه الاشارات لا مبرر له ألبتة . ولكنها تدل على انه كان يراقب مجرى الحوادث ويتفاعل بها ويستفيد منها في دعم دعوته . وهو امر طبيعي .

على الباحث إذن ان ينظر في الاحداث التي توالى على مصر من مطلع القرن العشرين الى سنة ١٩٢٨ ، وان يستعرض حياة البنا نفسه ، ففي هذين المصدرين تكمن البواعث والاسباب التي

أدت الى نشأة الاخوان .

ومن حسن حظ الباحث ان البنا دون مذكراته ، متضمنة تاريخ حياته . واذا نحننا جانباً الرؤى والنواحي العاطفية التي علّق عليها اتباعه المتحمسون أهمية ظاهرة ، وهي في الواقع ظواهر طبيعية في حياة البشر عامة، وفحصنا ما تبقى من ترجمته، عثرنا على نواة الدعوة في الرجل .

كان البنا وهو صغير يقرأ القصص الشعبية كقصّة الاميرة ذات الهمّة وقصة عنترّة ويتأثر بما يقرأ ويمثل دور القتال . وكان مولعاً باقتناء قصص البطولة والجهاد والغزوات والتاريخ وسير ابطال المغرب وابي محمد البطّال وسيرة بني هلال ١٤ .

وظهرت فيه نزعة روحية قوّاها اصحاب الطرق الصوفية ، فتشّف هو وشقيقه مدة واضرب عن أكل خبز القمح وقنع بأكل خبز الشعير . وحين ألّف مع أخيه جمعية (للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) وهو ما يزال طالباً ، حضّ الناس في اول نشرة اصدرها وطبعها على البالوظة على كراهية لبس الحرير والتختم بخاتم الذهب للرجال . وألصقت النشرة على ابواب المساجد ووزعت بالبريد على اعيان البلدة ١٥ . وكان كذلك يشهد حلقات الذكر ويصوم شهري رجب وشعبان ، وهو لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره ١٦ . وانتسب الى الطريقة الحصافية واخذها عن مؤسسها وهو في الرابعة عشرة من عمره ١٧ . وتأثر بهذا الشيخ الذي كان يصرف الاخوان عملياً الى الاخوة . وقال

له مرة : انني اتوسم ان الله سيجمع عليكم القلوب ويضم اليكم كثيراً من الناس ١٨ .

وكان يميل الى الجمعيات ينتسب اليها ويؤلفها . ففي المدرسة الاعدادية انتخب رئيساً (لجمعية الاخوان الادبية) ، وألف مع جماعة من الطلاب (جمعية منع المحرمات) ، ثم أسس جمعية اصلاحية هي (الجمعية الحسافية الخيرية) وكانت سكرتيراً لها ، واشترك في عضوية جمعية (مكارم الاخلاق الاسلامية) وكانت الجمعية الوحيدة في القاهرة ، وألف مع جماعة من رجال الدين والوجاهة حلقة نتج عنها جريدة (الفتح) و (جمعية الشباب المسلمين) ١٩ . وكانت هذه الجمعيات سلسلة محكمة الحلقات انتهت به الى تأليف (جمعية الاخوان المسلمين) نهاية طبيعية .

ورافق هذا الميل الى الجمعيات نزعة الى الوعظ والارشاد واصدار النشرات وامامة المصلين والتأذين والحث على الصلاة بايقاظ الناس في بيوتهم وإيقاظ المؤذنين ، وهو ما يزال طالباً حديث السن .

وكان رغم اشتغاله بالتصوف والتعبد يعتقد ان الخدمة الوطنية جهاد مفروض لا مناص منه ، وكان يقوم بدور بارز في الحركات الوطنية ، يضرب مع الطلاب وينظم الشعر الوطني ٢٠ .

هذه هي استعدادات البناء الفطرية التي ظهرت بواكيرها في سن مبكرة ، وظلت تتفاعل بالاحداث الخارجية تجذبه حيناً وتدفعه حيناً آخر ، الى ان تبلورت في (الاخوان المسلمين) .

ولنعرض بإيجاز تلك الاحداث الخارجية :

تعرضت مصر بعد الحرب الكبرى الاولى ، ولا سيما سنة ١٩١٩ لهزات سياسية عنيفة . واشترك الطلبة عملياً في الحركة الوطنية فقادوا المظاهرات وحرروا المنشورات وخطبوا ونظموا الشعر وضربوا وضربوا . وكانت مصر ، وخاصة ايام سعد زغلول ، كنلة ملتهبة لا تحبو حتى تذكو . واشترك الريف مع المدن في الاضرابات والمظاهرات . وكان البناء سنة ١٩١٩ في الثالثة عشرة من عمره ، فاضرب مع الطلاب ، ونظم الشعر الوطني ، وشاهد احتلال الانجليز الاحياء في المحمودية . وتركت هذه الحوادث اثراً بالغاً في نفسه حتى انه اعتقد ان الخدمة الوطنية جهاد مفروض لا مناص منه ٢١ ، وقام فعلاً بدور بارز فيها لم يبين نوعه .

ثم حدث بعد ذلك ان خرجت تركيا على الخلافة ونبذت الحروف العربية واجرت اصلاحات واسعة . وكان لذلك اثر بالغ في مصر . اما المتحررون فانتهزوا هذه الفرصة وأخذوا يكتبون عن علاقة مصر بالغرب ، وتفضيل القبعة على الطربوش ، وحرية المرأة ، وحرية الفكر ، الى امثال ذلك ٢٢ . واما المحافظون فاعتبروها خروجاً على تبعة الاسلام ورسالة القرآن واسم الخلافة بل الدين كله ، واضحت مصر في نظرهم مقر الدعوة وحلبة الكفاح والوارثة الشرعية للقيادة ٢٣ . وكان البناء من هذا الفريق الثاني .

وفي الوقت نفسه اشتد الصراع الفكري بين المحافظين والمجددين . وظهرت مؤلفات اثارت الرأي العام المحافظ منها كتاب (الاسلام واصول الحكم) للشيخ علي عبد الرازق الذي ادى الى اخراجه من المحاكم الشرعية وحملة علماء الازهر عليه ، لدعوته الصريحة الى وجوب فصل الدين عن الدولة وانكار السلطة الزمنية للخلافة . ومنها كتاب (في الشعر الجاهلي) للدكتور طه حسين الذي شك فيما ورد في القرآن عن ابراهيم الخليل . وكانت مجلة (السياسة الاسبوعية) حاملة لواء التجديد يومئذ ، تنشر المقالات صريحة في نصرة المجددين ، وتذهب احياناً الى الفرعونية والانضمام الى الغرب ، بلا قيد ولا شرط .

وتحوّلت الجامعة المصرية في هذه الفترة الى معهد حكومي « وقرّ في الذهن انها لن تكون علمانية الا اذا ثارت على الدين وحاربت التقاليد الاجتماعية المستمدة منه ، وأنشئ (المجمع الفكري) الذي كان يهاجم الاديان . وكانت لهذه رد فعل في القاهرة . وكنت متألماً اشدّ الألم » ٢٤ .

« ولم يكن في المعتوك يومئذ من دعاة الفكرة الاسلامية من يستطيع رد عادية هذا الطوفان الا نفر قليل أظهرهم مصطفى صادق الرافعي وشاب في سن الخامسة والعشرين ينتقل بين الاسماعيلية والمنزلة يدعو الى الله في غير ما جلبه ولا وضوء .. ذلك هو استاذنا الامام - حسن البنا » ٢٥ .

والواقع ان رجال الدين المتشددين كانوا في هذه الفترة

مغلوبين على امرهم ، يطوون نفوسهم على حقد شديد على انصار
الغرب ودعاة التجديد ، ويؤولون ما يكتب على انه خروج على
الاسلام ودعوة الى الاباحة والاحاد . ولم يكن الحال كله
كذلك بالفعل . ولكن الكبت هو الذي أدى الى المغالاة في
الرية . فقد كان بين الاحرار الدستوريين نفر من ذوي النفوذ
السياسي الواسع كعدي يكن وعبد الخالق ثروت واسماعيل
صديقي ومحمد محمود ولطفي السيد . وكان هؤلاء يسندون
(السياسة الاسبوعية) من الناحية السياسية على الاقل ، ويلجمون
رجال الدين ، ويدفعون الاذى عن زعماء التجديد المنتمين الى
حزب الاحرار الدستوريين . ولولا وجود هؤلاء في الحكم
للحق الشيخ علي عبد الرازق والدكتور طه حسين اذى
كبير محقق .

وكان من الطبيعي ان يرافق الصراع الفكري بين المحافظين
والمجدين ، ونشاط الحركة السياسية ، وتطور الاوضاع بعد
الحرب الكبرى الاولى ، نهضة اجتماعية . فقد اكتسبت المرأة
المصرية من الثورة السياسية حقوقاً تشبه الى حد ما الحقوق التي
اكتسبتها المرأة الغربية بعد الحرب الاولى . فاشتدت الحركة
النسوية . وعظم اقبال الفتيات على التعلم . ودعا فريق الى دخول
الفتاة الجامعة المصرية اسوة بالفتى . وكثرت الحفلات العامة
والخاصة .

ورأى المحافظون في هذه المظاهر غير المألوفة مجوناً سافراً

وفتنة مكشوفة واباحة مارقة ، وُخيل اليهم ان حياة الاسرة
اخذت تتقوّض تحت ضربات معاول الاوضاع الجديدة ٢٦

وكانت مصر في الحقل السياسي تسير خطوة لتراجع خطوات .
فقد كان النزاع بين الوفديين والدستوريين عنيفاً يتجاوز احياناً
المصلحة العامة في سبيل المصلحة الحزبية . وكان الوفد يلي الحكم
ليطهر البلاد من خصومه السياسيين لا ليواصل ما بدأوا به او
أسسوه . ويفعل الدستوريون فعلهم ، فيصبح الحكم اشبه
بالمشار يقطع في حر كته . وكانت هذه الحالة تثير آلام الشبان
الذين اراقوا دماءهم رخيصة في المظاهرات والاضطرابات ، والذين
لا يجنون من اولئك او هؤلاء اية منفعة .

ويذكر الذين عاصروا هذا الدور كيف كان الجدل السياسي
يستخدم في كل اجتماع يعقده جماعة من الطلبة في المعاهد او خارجها .
وكانت حمى الجدل فائرة في البلاد كلها .

اثرث هذه الامور في نفسية البنا . وفي هذا يقول : « ليس
يعلم احد الا الله كم من الليالي كننا نقضيها نستعرض حال الأمة
وما وصلت اليه في مختلف مظاهر حياتها ، وفعل العلل والادواء ،
ونفكر في العلاج وحسم الداء ، ونفيض بالتأثر لما وصلنا اليه الى
حدّ البكاء . وكما كننا نعجب اذ نرى انفسنا في مثل هذه المشغلة
النفسانية العنيفة ، والحليّون هاجعون يتسكعون على القهوات ٢٧ .
ويقول في مذكراته : وكان الاخوان يتحدثون في هذه
الموضوعات وفي وجوب القيام بعمل اسلامي مضاد ٢٨ .

واخذ هو يسعى حيثاً لجمع طائفة من رجال الدين للتكفل في جمعية . فاتصل بالمكتبة السلفية لصاحبها محب الدين الخطيب ، صاحب (الفتح) المشهورة بجمالاتها العنيفة على المجددين ، وتردد على مجالس الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة (المنار) السلفية ، واتصل بالشيخ الدجوي وحثه على العمل لخلاص الاسلام ، واتصل بفريد وجدي وتأثر بأرائه ومؤلفاته ، ثم انضم الى جمعية الشبان المسلمين عسى ان يجد عندهم ما يحقق أمنيته ٢٩ .

حدث هذا كله والبنا طالب . وفي آخر مرحلة من مراحل تعلمه في (دار العلوم) قطع على نفسه عهداً في موضوع انشائي كتبه بعنوان (اشرح اعظم آمالك بعد اتمام دراستك وبتن الوسائل التي تعدها لتحقيقها) ، على « ان اكون مرشداً ومعلماً . اذا قضيت في تعليم الابناء سحابة النهار ومعظم العام ، قضيت في تعليم الآباء هدف دينهم ومنابع سعادتهم ومسررات حياتهم ، تارة بالخطابة والمحاورة ، واخرى بالتأليف والكتابة ، وثالثة بالتجول والسياسة .. وقد اعددت لتحقيق الاول معرفة بالجميل وتقديراً للاحسان .. ولتحقيق الثاني من الوسائل الخلقية الثبات والتضحية ، وهما الزم للمصلح من ظله ، وسرّ نجاحه كله .. ومن الوسائل العملية درساً طويلاً .. وتعرفاً بالذين يعتقدون هذا المبدأ ويعطفون على اهله ، وجسماً تعود الحشونة على ضآلته وألف المشقة على نخافته ، ونفساً بعبثها لله صفقة رابحة وتجارة بمشيئته منجية .. ذلك عهدني بيني وبين ربّي اسجله على نفسي ، واشهد عليه

استاذي في وحدة لا يؤثر فيها الا الضمير وليل لا يطلع عليه
الا اللطيف الحبير ، ومن اوفى بما عاهد الله فسيؤتيه اجرا
عظيماً ٣٠ » .

وهكذا تكونت الجرثومة الاولى للدعوة . فلننظر كيف
نشأت وكيف تطوّرت .

الفصل الثاني

نشأتهم وتطورهم

لم تكن جمعية (الاخوان المسلمون) اول جمعية أسسها البنا . ففي عهد الدراسة ترمّس بمختلف الجمعيات - كما ذكر في الفصل السابق . وفي المدرسة الاعدادية انتخب رئيس (جمعية الاخوان الادبية) ، وألف مع جماعة من الطلاب (جمعية منع المحرمات) ٣١ . وتولى هو تأسيس جمعية اصلاحية باسم (الجمعية الحصافية الخيرية) ، وكان سكرتيراً لها ٣٢ ، تيمناً على الاقل بالطريقة الحصافية ، واعجاباً بشيخها الذي أحبه وأعجب به ، وأخذ الطريقة عن ابنه . ويلوح ان البنا اوغل في الاعجاب بشيخ الطريقة وبأسلوبه الى حدٍ يمكن القول معه ان البنا تلقى الوحي الاول للقيام بعمل جماعي من هذا الشيخ . وذلك انه ذكر ان الشيخ قال له مرة : « انني اتوسم ان الله سيجمع عليكم القلوب ويضم اليكم كثيراً من الناس » . وعلى اثر ذلك أسس في المحمودية (الجمعية الحصافية الخيرية) . ومعنى ذلك ان بداية عمله كانت بداية تغلب عليها النزعة الصوفية . وفعلاً بدأت الجماعة كجمعية دينية غرضها « تحقيق المقاصد والاغراض التي جاء

بها الدين الحنيف وشرح دعوة القرآن الكريم وفهم الاسلام
فهماً صحيحاً ٣٣ . ويروي البنا نفسه ان الدعوة بدأت تدور
في رأسه ، إثر ما رأى من مظاهر التحلل والبعد عن الاخلاق
الاسلامية في كثير من الاماكن - في القاهرة - ، التي لا عهد له
بها في الريف المصري ، وعلى أثر ما كان ينشر في بعض الجرائد
من امور تتنافى مع التعاليم الاسلامية ومن جهل العامة بأحكام
الدين ، وان المساجد لا تكفي في ايصال التعاليم الاسلامية الى
الناس ٣٤ . وبذلك تكون النزعة الصوفية مازجتها نزعة اجتماعية
اصلاحية من البداية .

وفي اثناء اقامته في القاهرة طالباً في دار العلوم اشتدت وطأة
العوامل الداخلية عليه وساقته الى تأليف فئة من الطلاب
الازهرين وطلاب دار العلوم للتدرب على الوعظ والارشاد في
المساجد ثم في القهوات والمجتمعات العامة في القاهرة . وانشعبت
منهم شعبة تتولى نشر الدعوة الاسلامية في القرى والريف
والمدن . وأفاد من هذه الحركة أمرين . الاول: كسب الثقة
النفسية بالنجاح والخبرة والمران . والثاني حسن الاحدوثة
في الاوساط الشعبية التي شدت ازره بعد .

واراد البنا بعد ذلك ان يرتقي الى الطبقة المتعلمة المتنفة ،
من دينيين ومدنيين ، يجذبها الى صفه ، ويحملها تبعة العمل في
وجه التيار العاصف . وقد ذكر ان مسعاه أثر ظهور مجلة
« الفتح » فجمعية « الشباب المسلمين » فيما بعد . وأياً كان الامر

فالظاهر ان ما تم في القاهرة لم يشف غليله ولم يسد مطلبه بدليل أنه عاود العمل من جديد اثر ذهابه الى الاسماعيلية ، وانه عاد الى الاوساط الشعبية منصرفاً عن الطبقة المتعلمة المنتفذة . وهناك تعليان لعمله هذا . الاول اللون السياسي الذي كان يغلب على مؤسسي (جمعية الشبان المسلمين) ، إذ كان معظمهم من الحزب الوطني المناوئ حزب الوفد والمشهور بالصلابة والتطرف . والثاني قناعته بان رسالته أعمق وأوسع من رسالة جمعية الشبان . ودراسة القانون الاساسي للجمعيتين وموازنتهما بدقة ترجحات التعليل الاول .

سافر البنا الى الاسماعيلية في ١٩ سبتمبر سنة ١٩٢٧ ٣٥ ، إثر تخرجه في دار العلوم العام نفسه - وكان في الحادية والعشرين من عمره - ليتسلم عمله الجديد ، وهو التدريس في مدرسة الاسماعيلية الابتدائية الاميرية . وفي هذه المدينة ، وفي شهر مارس ١٩٢٨ ، ولدت (جمعية الاخوان المسلمين) قوامها ستة اشخاص من مريديه وتلامذته المخلصين . وهؤلاء خلاف حملة الفكرة الاولى الذين تفرقوا في القطر ٣٦ .

وفي اثناء الاشهر الستة الاولى التي سبقت ولادتها عاد البنا الى تجربته الاولى التي شرع بها في القاهرة وكللت بالنجاح . فاختار ثلاثة مقاه كبيرة تجمع ألوفاً من الناس ، ورتب في كل منها درسين في الاسبوع يتولى فيهما الوعظ العام ، كالتذكير بالله واليوم الآخر والتروغيب والترهيب مع إيراد الامثال

والحكايات والاحاديث والآيات الملائمة لظروف الحال . وحين ألح عليه رواد المقاهي ان يُلْقِنَهُم احكام الدين جمعهم في زاوية قديمة وأرشدتهم الى اصول الوضوء والصلاة عملياً . ثم بُنيت زاوية أخرى وقف عليها وقته ما بين المغرب والعشاء ، ولدرس المقاهي ما بعد ذلك . واستطاع في هذه المدة ان يدرس مجتمعه الصغير والعوامل المؤثرة فيه ، وهي العلماء وشيوخ الطرق والاعيان والاندية ٣٧ ، وان يكسب وذاها جميعاً بتجنب الجدل في موضوعات الخلاف ، وقصر الدروس على المسائل العامة ، وتوجيه النظر الى الاخطار الداخلية والخارجية التي كانوا يلمسونها في بيئتهم ، وإزالة اسباب الشقاق بين الاعيان . وقد بلغ من براعته في الدعوة ان نكص عن الطريقة التي بدأ بها نشاطه العام ، حين رأى ان في النكوص عنها مصلحة لدعوته . وفي هذا يقول : ولكني حاولت ان تكون دعوة عامة قوامها العلم والتربية والجهاد ، وهي اركان الدعوة الاسلامية ، ومن اراد بعد ذلك تربية خاصة - يشير الى الطرق الصوفية - فهو وما يختار لنفسه ٣٨ .

والواقع ان الاسماعيلية أثرت فيه تأثيراً بليغاً ، وحملته على ان يدخل في منهجه عنصراً سياسياً ، قد يكون بجال في خاطره سابقاً ، ولكن لا يمكن ان يكون من القوة والرسوخ كما هو الآن . فقد آله وحز في نفسه المعسكر الانجليزي ، وادارة شركة قناة السويس واستشارها بالقيام على المرافق العامة ،

وحيُّ الافرنج ومفارقته لأحياء العمال، وشيوع الاسماء الاجنبية مكتوبة « بلغة الاحتلال الاقتصادي » على الشوارع . « كل هذه المعاني والحواطر كانت تتفاعل وتعمل عملها في النفس بخاصة اذا خلا المتأمل فيها بنفسه بين خمائل الاسماعيلية وحدائقها الغناء أو في شاطئ بحيرة التمساح الجميلة او في جوف الغابات الصناعية على حافة الصحراء . لقد اوحى الاسماعيلية بالكثير من المعاني التي كان لها اثر كبير في تكييف الدعوة والدعاية ٣٩ » .

وعبارة البنا الاخيرة هذه صريحة وواضحة . فلم يكن العنصر السياسي في حساباته في نشاطه وهو طالب ، ولا في حركته في القاهرة ، ولا في بدء حركته في الاسماعيلية ، او على الاصح ، لم تكن السياسة عنصراً بارزاً في منهاجه في الادوار السابقة . ولذا يصح القول انه أُضيفت الى النزعة الصوفية الاجتماعية نزعة سياسية بارزة بحكم البيئة الجديدة .

لبث البنا في الاسماعيلية من سنة ١٩٢٨ الى سنة ١٩٣٣ ينشر دعوته وفق منهاج خاص كونه هو من دراسته وتجاربه ، يُسر به اسراراً ، دون ان يلفت الانظار ، شأنه في ذلك شأن صاحب الدار القديمة المتهدمة لما أراد ان يبينها من جديد حجب الناس عنها بسور ضخمة حتى اتم بناءه . فلما اتمه ازال الاسوار فظهر البناء ضخماً كاملاً قوياً ٤٠ . وكانت معظم من استجاب الى دعوته من طبقة العمال ٤١ .

واغراه النجاح على توسيع نطاق البيئة « فلم يترك قرية ولا

بلدة ولا دسكرة ولا كفرأ الا زاره وبات به واجتمع بالناس فيه ، في مساجدهم وبيوتهم ودورهم ٤٢ . ولكن المسجد كان مقره الاول ٤٣ يجد فيه اماناً وستراً . ومن يستطيع ان يعترض مصلياً في محرابه او مدرساً واعظاً في مسجده ؟

وكانت اسفاره في عطلته الاسبوعية وفي عطلته السنوية في الصيف . ففي الاولى يزور البلاد القريبة وفي الثانية البلاد البعيدة . وظل في هذه المدة كلها مواظباً على التدريس في مدرسته الابتدائية لا يتعلل بمرض او بعذر طارئ . وربما زاده عمله المدرسي منعة وتستراً . واثرت اسفاره بعد سنتين شعبة في ابي صير وبور سعيد والبلاخ ، وبعد ثلاث سنوات شعبة في السويس ، وبعد اربع سنوات نحواً من عشرة فروع ، ومعهداً في الاسماعيلية لتربية البنات واعدادهن ليكن اخوات مسلمات ٤٤

وتوسل الى ابلاغ دعوته بالنشرات والرسائل والصحف والخطب والمحاضرات العامة والزيارات والمقالات الفردية ٤٥ . وكان ذا فراسة قوية يحسن تخير الانصار والاعضاء فيؤلف منهم نواة لجمعية تتخذ لها داراً متواضعة .

وهكذا اصبحت دار الاخوان في الاسماعيلية في هذه الفترة مركزاً لقيادة الدعوة ، واصبحت الفروع مرتبطة برباط الاخوة ٤٦ ، دون أن يشعر الفرع بالفرع الآخر ، ودون ان يسترعي عمله هذا انتباه احد .

وبعد نحو خمس سنوات من تأسيس الدعوة بالاسماعيلية نقل
البناء مدرساً الى القاهرة ٤٧ ، ودخلت الدعوة بنقله طوراً جديداً .
وليس من دليل على ان نقله ناجم عن نشاطه . فقد ظلت الحركة
الى سنة ١٩٣٩ (سنة الحرب الكبرى الثانية) سائرة على النهج
السابق من كتمان واسرار ونزول في المساجد ووعظ فيها وتخثير
للانصار وتأسيس للفروع بحذر وصمت .

وذكر البناء في احدى مقالاته المنشورة سنة ١٣٥٣ هـ ١٩٣٤ م
اي بعد مضي نحو عام من اقامته في القاهرة ، ان فكرة
الاخوان انتشرت فيما يزيد على خمسين بلداً من بلدان القطر
المصري . وقامت في كل بلد من هذه البلدان تقريباً بمشروع
نافع او مؤسسة مفيدة . ففي الاسماعيلية أسست مسجد الاخوان
وناديهم ومعهد حراء لتعليم البنين ومدرسة امهات المؤمنين لتعليم
البنات . وفي شبراخيت أسست مسجداً ونادياً ومعهداً للبنين
وداراً للصناعة يتعلم فيها طلبة المعهد الذين يستطيعون اتمام التعلم ..
وفي المحمودية البحيرة قامت بمثل ذلك فانشأت منسجاً للنسيج
والسجاد الى جوار معهد تحفيظ القرآن . وفي المنزلة دقهلية أقامت
معهداً لتحفيظ القرآن .. وقل مثل ذلك او بعضه في كل شعبة
من شعب الاخوان المنتشرة في انحاء القطر من أدفو الى
الاسكندرية ٨ :

واقضى هذا التوسع في الفروع ومواجهة الظروف الجديدة
في القاهرة ان يضاعف البناء جهوده وينظم اعماله ويجدد وسائله

ويوسع منهاجه .

كان منهاجه ان يزور المركز العام في الصباح الباكر يترك فيه مذكرات فيها توجيهات واعمال تتطلب انجازاً . ثم يقصد مدرسته . وان كان مسافراً يتوجه من المحطة الى المدرسة . وفي الظهر يُعرج على المركز العام ثانية يُقابل وُوجه ويُصرف ما يجدُّ من عمل . وفي المساء يزور المركز ثالثة ويقضي فيه وقته مقابلاً الوفود والزائرين او مجتمعاً في لجان او محاضراً . ولم يمنعه ذلك من متابعة اسفاره الى الريف في اثناء العطل المدرسية .

ورأى من حسن التنظيم ان يجعل كل شعبة مركزاً مستقلاً، وصورة متكررة من المركز العام في القاهرة ، تؤدي رسالتها فيما حولها وفي اقليمها وما جاورها . وتسلم هو مهام القيادة والاشراف والتوجيه ٤٩ .

وانشأ مجلة خاصة بالاخوان باسم (مجلة الاخوان المسلمين) تنشر مقالاتهم ، بعد ان كانت وسيلة الاتصال الزيارات او المنشورات او الرسائل . وكتبوا ايضاً في عدد من المجلات (كالنذير) و (التعارف) .

واخذ البناء يعقد المؤتمرات العامة تمثل فيها جميع الشعب وتعالج المناهج العامة والاعمال المشتركة بين هذه الشعب .

ونظر ببصره الى ما وراء حدود مصر فرأى ظروفاً مواتية لنشر الدعوة . فبدأ اولاً بارسال الدعاة بخطبون في المساجد ، مبلغين الدعوة وموثقين الروابط وموظفين الهمم ٥٠ ، ثم عقب

بانشاء الفروع في السودان وسوريا ولبنان وفلسطين والمغرب .

وفي هذه الفترة اقتحم ميدان السياسة ، مبتدئاً بالقاء أحاديث دينية - اجتماعية في الاذاعة والاندية فارسال رسائل الى رؤساء الوزارات المصرية المتعاقبة من عهد محمد محمود باشا ذي اليد الحديدية فالنحاس فاسماعيل صدقي فعبد الفتاح يحيى فالنحاس فنسيم فعلي ماهر فالنحاس الى قيام الحرب الكبرى الثانية . وكان محور الرسائل الدعوة الى الاصلاح الداخلي الشامل بروح الدين الاسلامي وهديه . « وكان الاخوان في هذه الفترة يؤثرون العمل المنتج والتربية الصالحة والتنظيم النافع على الدعاية الفارغة . ويقولون : الزمن جزء من العلاج ، والتدرج خير من الطفرة ، فلم تشعر بهم الحكومات الا في مناسبات عادية .

« وقد ذكر الاستاذ المرشد في بعض أحاديثه انه قابل النحاس باشا في منزله بالاسكندرية في صيف سنة ١٩٣٦ بمناسبة مطالبة حكومة نسيم باشا حينذاك بالعناية بالتعليم الديني في المدارس المصرية . فكان النحاس يظن انه (اي البنا) أحد العمد الذين يتألف منهم الوفد ! ، كما ذكر في حديث آخر ان محمد محمود باشا اقترح عليه ان ينشئ شعباً للاخوان في الصعيد لخلوه من هذه الشعب في الوقت الذي كانت حفلات الاخوان فيه تقام من مَصِيفَةِ الاسرة (اسرة محمد محمود باشا) بأي تيج . ولقد استمرت وزارة المعارف المصرية الى وقت قريب تجهل ان الاستاذ البنا المدرس بمدارسها هو المرشد العام للاخوان

المسلمين، مع ان الاخوان لم يدعوا حكومة من هذه الحكومات
الا تقدموا اليها بالمذكرات الوافية في مختلف الشؤون ٥١ .

وتدل هذه النبذة التاريخية على ان الاخوان - الى ذلك
الحين - لم يسترعوا نظر الحكومات، وعلى ان نشاطهم السياسي
كان مغلفاً بالدين فلم يبال به الرسميون .

ورفع البنا سنة ١٣٥٥ = ١٩٣٦ م خطاباً الى الملك
فاروق والنحاس باشا وملوك العالم الاسلامي وامرائه يدعوهم الى
سلوك طريق الاسلام واصوله وقواعده وحضارته ومدنيته ،
ثابذين طريق الغرب ومظاهر حياته ونظمها ومناهجها ، ثم يبين
فيه خصائص كل من السبيلين، وان الاسلام كفيل بامداد الامة
الناهضة بما تحتاج اليه في الجنديّة والصحة والعلم والاقتصاد والنظم،
وينتهي بالدعوة الى ان يكونوا اول من يتقدم باسم رسول الله
(صلعم) بقارورة الدواء من طبّ القرآن لاستنقاذ العالم المريض ،
ثم يضع لهم منهاجاً للإصلاح الشامل مختلف مظاهر الحياة محتويّاً
على خمسين بنداً ٥٢ . ولم يكن في هذا النشاط كله ، من خطب
ومقالات ورسائل ، استفزاز للدولة . وأبعد ما ذهبوا اليه في
المضمار السياسي الدعوة الى « القضاء على الحزبية وتوجيه قوى
الامة السياسية في وجهة واحدة وصف واحد ٥٣ » . اما موقفهم
من الحكومات المصرية المتعاقبة فموقف عدم التأييد اعتقاداً منهم
ان كل حكومة تقوم على غير الاصول والقواعد الاسلامية
لا يرجى منها صلاح ولا تستحق تأييداً ولا مناصرة . ولهذا

يطالبون دائماً بالتعديل الذي يحقق نظام الحكم الاسلامي بكل مظاهره . ولكنهم من جهة اخرى لا يلجأون الى العنف ولا يرضون بالتعاون إذ يرون من واجبهم التعاون مع الحكومة التي يأنسوت منها استعداداً صادقاً لتأييد منهاجهم والعمل على تحقيقه ٥٤ .

وفي سنة ١٩٣٨ استكملت الدعوة عناصرها ، وتبلورت في كامل صورتها ، ووضع البنا نفسه الاصول التي تعتمد عليها فقال : انها دعوة سلفية ، وطريقة سنية ، وحقيقة صوفية ، وهيئة سياسية ، وجماعة رياضية ، ورابطة علمية ثقافية ، وشركة اقتصادية ، وفكرة اجتماعية . وأردف ان شمول معنى الاسلام قد أكسب فكرتهم شمولاً لكل مناحي الاصلاح ٥٥ .

ودخلت الدعوة من سنة ١٩٣٩ - ١٩٤٥ - وهي سنوات الحرب العالمية الثانية - طوراً جديداً ، ربما جاز ان يسمى بداية الحقبة من حيث علاقتها بالسياسة ، وبداية الازدهار من حيث النشاط وتحقيق برامجها الواسعة .

اما الشطر الثاني - البرامج - فلم يدخل فيه جديد . ولكن تضايف نشاط الاخوان وانضم اليهم عنصر جامعي (من جامعة فؤاد الاول في القاهرة والجامعة الازهرية) ، وتوسعت اعمالهم التجارية ، وأقبلوا على التدريب والرياضة ، وانتظمت اعمالهم في الفروع التي عمت القطر ، وبإيجاز صاروا قوة يحسب لها حساب . اما الشطر الاول - السياسة - فقد تفتحت العيون في فترة

الحرب على الهيئات والجماعات ، وبدأ احتكاك الحكومات بهم نتيجة للظروف الاستثنائية والاحكام العرفية وبعض الدوافع والمؤثرات الخارجية وخصوصاً بعد ان دخلت الحرب في ادوارها الجدّية .

وتوالى على الحكم علي ماهر ، وحسن صبري ، وحسين سري ، والنحاس ، وأحمد ماهر ، والنقراشي ، واسماعيل صدقي ، والنقراشي ثانية .

وفي وزارة الاولين ، علي ماهر وحسن صبري ، دأبوا على الموعظة والنصيحة في كتبهم وفي خطبهم الخاصة والمفتوحة ، شأنهم مع جميع الحكومات السابقة . وفي عهد علي ماهر خاصة أعلنوا تأييدهم لقراره الخاص بتجنيب مصر ويلات الحرب فحسب دون ان يقابلوه او يتقدموا اليه بطلب معين .

وبدأت محنتهم على يد سري باشا - بضغط من السفارة الانجليزية والقيادة - ، فصادرت حكومته مجلتي (التعارف) و (الشعاع) الاسبوعيتين ، ومجلة (المنار) الشهرية ، ومنعت طبع أية رسالة من رسائلهم او إعادة طبعها ، واغلقت مطبعتهم ، وحرمت على الجرائد ان تذكر شيئاً عنهم كما منعت اجتماعاتهم . ثم عمدت الى تشريد رؤساء الجماعة فنقلت البنا من القاهرة الى قنا ، ونقلت الوكيل العام (احمد السكري) الى دمياط ، ثم اعادتهما بضغط الحملة البرلمانية . ولكنها عادت الى ما هو اعنف من ذلك ، فاعتقلت السكرتير العام للجماعة والبنا نفسه ، ثم

افرجت عنهما اثناء ما احده هذا الاجراء من جرح في صدور
الاخوان . وأدى هذا الضغط الى استرعاء انظار الناس اليهم
وكسب عدد من الانصار والاعضاء . وجاءت وزارة النحاس
باشا ، ورغب البنا في ترشيح نفسه نائباً في البرلمان عن دائرة
الاسماعيلية - مهد الحركة - ليمثل الاخوان وينطق بلسانهم .
ولكن النحاس رجاه ان يعدل عن الترشيح مراعاةً لحاجة
الموقف فعدل . وبدأ النحاس بمهادنتهم ، فسمح لهم بالاجتماعات
وأعاد اليهم المجلة والمطبعة .. وبعد قليل اخذهم بالعنف ، فأغلق
جميع شعبهم - عدا المركز العام - وضيق عليهم في اجتماعاتهم
ومطبوعاتهم وسائر نواحي نشاطهم . وقابلوا شدة الحكومة
بالاناة والصبر فعادت الحكومة النحاسية عن شدتها . واستمر
الموقف بينهما يتقلب ، تارة تدع الحكومة لهم الحرية فيعملون ،
وطوراً تهقمهم بالتضييق فيصبرون . ولكنهم ظلوا على عادتهم
في تقديم النصح كتابة ومشافهة الى أن أُقيمت وزارة النحاس
سنة ١٩٤٤ ٥٦ .

وجاءت بعد وزارة النحاس وزارة احمد ماهر فأخذتهم بالشدّة
وحالت دون نجاح من رشح نفسه للنيابة منهم بناء على قرار
اتخذه مؤتمرهم العام سنة ١٩٤١ بان يرشح الكفاء على اساس
خدمة المنهاج الاسلامي والمطالبة بنظام الحكم الاسلامي كلما
وجد الظرف المناسب لذلك ، وحين اعلن احمد ماهر الحرب على
المانيا وايطاليا عارضه الاخوان وكتبوا اليه بالعدول عن ذلك .

واغتيل احمد ماهر وتولى النقراشي الحكم . وبدأ حكمه باعتقال البنا وغيره من الاخوان بتهمة الاشتراك في الاغتيال . ولكن النيابة أفرجت عنهم . وبادر البنا الى زيارة النقراشي معزياً في ماهر ، وراجياً ان يطلق لهم حرية العمل . بيد ان النقراشي لم يستجب الى الرجاء ، وفرض عليهم اثقل القيود في نشاطهم واجتماعاتهم ومراقبة دورهم ٥٧ . وكان يسمح لهم بعقد اجتماعات عامة او مؤتمرات تحت ضغط الظروف . ولكن سرعان ما يعود الى سياسة العنت والارهاق .

وانتهت الحرب سنة ١٩٤٥ . ودخلت الجمعية في مرحلتها الاخيرة التي استقر لها فيها الامر من ناحية ، وبلغت دور المحنة القاصمة من ناحية اخرى .

وقد اجتمعت في صورة جمعية عمومية (في ٨ سبتمبر ١٩٤٥ - ٢ شوال ١٣٦٤) وادخلت تعديلاً على نظامها الاساسي حتى أضحت شاملاً جميع غاياتها ووسائلها بصورة واضحة . ويتفق هذا التعديل الى حد كبير مع المنهاج الذي شرحه البنا في خطبته سنة ١٩٣٨ التي القاها في مؤتمرهم الدوري الخامس بمناسبة مرور عشرة اعوام على تأسيس الجماعة . وجاء في هذه الخطبة : « .. وفي الوقت الذي يكون فيه منكم معشر الاخوان المسلمين ثلاثمائة كتيبة قد جهزت كل نفسها روحياً بالايمان والعقيدة ، وفكرياً بالعلم والثقافة ، وجسماً بالتدريب والرياضة ، في هذا الوقت طالبوني بان أخوض بكم لجج البحار واقتحم عنان السماء وأغزو

بكم كل عنيـد جبار ، فاني فاعـل ان شاء الله ٥٨ »

وذكر في موطن آخر انهم سيستخدمون القوة العملية حيث لا يجدي غيرها ، وحيث يثقون انهم استكملوا عدة الايمان والوحدة . وهم حين يستخدمون هذه القوة سيكونون شرفاء وصرحاء ، وسينذرون اولاً ، وينتظرون بعد ذلك ، ثم يقدمون في كرامة وعنف ، ويحملون كل نتائج موقفهم هذا بكل رضا وارتياح . اما الثورة فلا يفكرون فيها ولا يؤمنون بنفعها ، وان كانوا يصارحون كل حكومة في مصر ان الحال اذا دامت على هذا المنوال ، ولم يفكر اولو الامر في إصلاح عاجل ، فسيؤدي ذلك حتماً الى ثورة ليست من عمل الاخوان ولا من دعوتهم ولكن من ضغط الظروف ومقتضيات الاحوال . وليست هذه المشاكل التي تتعقد بمرور الزمن ويستفحل امرها بمضي الايام إلا نذيراً من هذه النذر ، فليسرع المنقذون بالاعمال ٥٩ .

واوضح كذلك انهم يتجهون في جميع خطواتهم وآمالهم واعمالهم نحو الحكومة الاسلامية بعد مضي فترة تنتشر فيها مبادئهم وتسود ٦٠ ، وانهم يضعون فكرة الخلافة والعمل لاعادتها في رأس منهاجهم ، على ان يسبق ذلك خطوات تمهيدية لا بد منها ٦١ .

ويبدو ان هذه الاهداف التي حددها البنا بوضوح وجلاء سنة ١٩٣٨ لم تتغير ، بل أعيدت بصورة مواد نظام اساسي

سنة ١٩٤٥ . ونصّت المادة الرابعة في ختام الباب الثاني الذي وضحت فيه الغاية والوسيلة على ما يلي : يؤثر الاخوان دائماً التدرج والتطور والعمل المنتج والتعاون مع كل محب للخير والحق ولا يريدون بأحد سوءاً مهما كان دينه او جنسه او وطنه ٦٢ .

ومن البديهي ان تكون هذه الاهداف قد بلغت في هذه المرحلة ، بل وفي المرحلة التي سبقتها ، آذان السلطات المصرية وتدبرتها ووعتها واعتمدت عليها حين اشتبهت بان للاخوان ضلعاً في اية حادثة عنيفة . ومن هنا فتح عليهم باب التشريد والاعتقال والمصادرة منذ سنة ١٩٤٠ الى اغتيال المرشد العام - حسن البنا - والمصادرة التامة في شهر ديسمبر سنة ١٩٤٨

وقبل استعراض الحلقات المتسلسلة التي أدت الى هذه النهاية المريرة يحسن سرد اعمالهم الداخلية التي أدت الى توطيد نفوذهم . فقد اقاموا شركات اقتصادية متنوعة في القطر درّت عليهم الارباح ، ومكنت لهم في اوساط العمال . وأصدروا جريدة يومية صدر العدد الاول منها في ٥ مايو سنة ١٩٤٦ = ٣ جمادى الثانية ١٣٦٥ ، وأضحى بذلك صوتهم مسموعاً في مصر والبلاد العربية . وانشأوا الكتابب واقاموا اماكن للتدريب على الاعمال العسكرية ، ونظموا الشعب تنظيمًا دقيقاً في مصر والاقطار العربية ، ووزعوا الاعمال على الاعضاء ، واثقوا العمود بصورة بيعة لرئيس الشعبة فللمرشد العام شخصياً ، وقرروا «السمع والطاعة

في المنشط والمكره » مقرونًا بالقسم ، ووضعوا المرشد العام موضع الثقة التامة ، وجعلوا له المنصب مدى حياته ليس له ان يتخلى عنه او يعفى منه الا بقرار من الهيئة التأسيسية .

وبالجملة كانت اعمالهم الداخلية تسير وفق خطط محكمة وبنجاح مطرد حتى بلغوا ذروة القوة والنفوذ من الناحية الروحية والمادية والعسكرية . وبلغ عدد اعضاء الجمعية ما بين ٣٠٠ و ٦٠٠ الف عضو من طبقة العمال ، عدا الطلبة المثقفين حسب رواية جريدة التايمز اللندنية ٦٣ . اما البنا فذكرت الجريدة المذكورة انه قال في العام الماضي انه يتكلم باسم ٥٠٠ الف من الاخوات المسلمين الذين يمثلون مبادئ وآمال ٧٠ مليون عربي و ٣٠٠ مليون مسلم ٦٤ . وذكر وكيلهم في المذكرة التي رفعها الى مجلس الدولة في شهر ابريل سنة ١٩٥٢ ان عدد الاعضاء العاملين في مصر وحدها بلغ سنة ١٩٤٨ حوالي نصف مليون ، والاعضاء المنتسبين والمؤازرين اضعاف هذا العدد ٦٥ . اما عدد شعبهم في مصر وحدها فقليل انه ١٧٠٠ شعبة ٦٦ ، وقليل ٢٠٠٠ ٦٧ شعبة . وذكر وكيلهم في تلك المذكرة انه كان لهم في السودان حوالي ٥٠ شعبة ، عدا شعبهم في معظم البلدان العربية وبعض البلاد الاسلامية ، وعدا الاصدقاء في جميع هذه البلاد وفي اوربا واميركا .

ومن الصعب البت في صحة هذه الارقام ، لفقدان البيّنات القاطعة . وعلى كل ففي هذا الوضع من القوة والنفوذ جابهت

الجمعية مقاومة في غاية العنف من قبل الحكومات المصرية التي وليت الحكم بعد انتهاء الحرب الكبرى الثانية .

وكان النقراشي رئيساً للوزارة في اثناء الهدنة ، وكان سبق له ان اعتقل البنا واضطهد الجماعة ، كما ذكر سابقاً . ومع ذلك فقد زاره البنا ثانية وأهاب به ان يسرع بالعمل في سبيل الحقوق القومية واستكمال استقلال الوادي ووحدته ، والا فليدعُ الامة الى الجهاد ويتقدمها في سبيله . وقدم النقراشي مذكرة الى الحكومة البريطانية وجاءه الرد عليها . ولم يرضَ الاخوان عن هذه « المساجلة القلمية » وقاموا بمظاهرة مع الطلاب أدت الى معركة مع الشرطة فاستقالة الوزارة .

وانصرف الاخوان منذ اعلان الهدنة الى إثارة الشعب وايقاظ وعيه بالمؤتمرات العامة تارة وزيارة القرى والريف تارة اخرى ، وبالرسائل والاحاديث والنشرات . وكأنهم بذلك تولوا زمام القيادة السياسية او على الاصح زمام المعارضة الداعية الى الجهاد . وتركزت جهودهم في هذه الناحية طمعاً في ان تنال البلاد استقلالها التام .

وجاءت حكومة اسماعيل صدقي واشتدت المظاهرات ودعا البنا جميع الهيئات لتأليف لجنة قومية توحد القوى وتنظم الصفوف ، ولكنه لم يجد مؤازرة من الاحزاب . وعندئذ رأى ان يجنح الى النصح يقدمه الى صدقي باشا على اساس قطع المفاوضات والالتجاء الى الجهاد السافر . واستمر نشاطهم السياسي

في هذا النهج . واخذوا بحسابوت الحكومة حساباً عسيراً ،
ويتهمونها بمالأة الاجانب على حساب مصلحة الوطن ، والتساهل
بتأليف الشركات التي تلبس اثواباً مصرية مستعارة ، وبعجزها
عن علاج مشكلة العمال العاطلين ، وبتردها في قطع المفاوضات
واعلان الجهاد . واغتنموا فرصة تذبذب المفاوضات بين وزارة
صديقي والحكومة البريطانية فرفعوا عريضة الى الملك يعلنون
فيها اخفاق الوزارة في تحقيق المطالب القومية ، ثم اردفوها بعد
ذلك بقليل ببيان من المركز العام الى شعب الاخوان يعلنون
فيه ان لا تعاون مع الانجليز اقتصادياً وثقافياً واجتماعياً حتى
يتم الجلاء الناجز السريع من غير قيد ولا شرط ٦٨ . واشتدت
حملة جريدتهم على المفاوضات وحكومة صديقي وعلى الانجليز
بوجه خاص .

وفي هذه المرحلة العصيبة ذهب البنا (في ٢٧ اكتوبر ١٩٤٦)
مع بعثة الاخوان الى اداء فريضة الحج ، وترك الميدان لوكلاء
عنه ولاعضاء مكتب الارشاد العام .

وشن عليهم صديقي باشا حملة ، فاعتقل عدداً منهم ، وصادر
جريدتهم ، ثم قبض على الوكيل العام . وقابله الاخوان بحملة مثلها .
ووقعت انفجارات في القاهرة والاسكندرية اتهمتهم الحكومة
بها . فحوصرت دورهم وفتشت . وقاد صديقي باشا حملة واسعة
النطاق من النقل والتشريد تناولت خلاصاء الموظفين في الدواوين
والمصالح والوزارات ، وتوعد بما هو أشد من ذلك وأقسى ٦٩ .

واستقال صديقي باشا ، وتألقت وزارة النقراشي باشا في ١٠ ديسمبر سنة ١٩٤٦ . وفي يوم تأليفها نشر البنا مقالاً دعا فيه الحكومة الجديدة الى اختصار الطريق واحترام ارادة الامة وانهاء المفاوضات وسلوك سبيل الجهاد . ثم تابع نشر مقالاته في الجريدة مسفهاً منهاج الحكومة ومشيراً الى انها حاربت الاخوان واغلقت مدارسهم وسجنت احرارهم ولاحتقتهم بالتضييق والارهاق . وكانت هذه بداية « حرب داخلية » بين النقراشي والاخوان ، زادت قضية فلسطين التي ساهم فيها الاخوان مساهمة فعالة - وكانت بالتالي محك قوتهم ونفوذهم من جهة ومصدر عزة لهم في مصر والعالم العربي - حدة وعنفاً . اذ قام البنا في ١٢ ديسمبر سنة ١٩٤٧ على رأس مظاهرة صاخبة خرجت من الازهر وتولى هو قيادتها بواسطة مكبر للصوت في سيارة ٧٠ . وفي ٦ مايو ١٩٤٨ ٢٧ جمادى الآخرة ١٣٦٧ اجتمعت الهيئة التأسيسية للاخوان برئاسة البنا واتخذت قرارات خطيرة منها مطالبة الحكومة - وسائر الحكومات العربية - باعلان الجهاد المقدس ضد اليهود، واتخاذ جميع الوسائل الكفيلة بانقاذ فلسطين . وفيما يتعلق بالقضية المصرية انهاء المشاورات والمحادثات، واعلان «معركة الصحف» حتى يتحدد موقف الدولة التي ينص دستورها على ان دينها الرسمي الاسلام .. وحتى يظهر للناس كافة ان لا علاج لما استشرى من ادواء الفقر والجهل والمرض والتحلل الخلقي والوطني الابالرجوع الى احكام الشريعة ٧١ . وفي ١٥ ايار ١٩٤٨ بدأت معركة الجيوش العربية لانقاذ فلسطين واشترك فيها الاخوان تحت

اشراف الجامعة العربية ٧٢ . واتاح لهم هذا الاشتراك التسلح
والتمرن على القتال ، كما كشف عن مدى استعدادهم الحربي
ومدى نفوذهم . وخشيت حكومة النقراشي سطوتهم ، فاعتنمت
فرصة وقوع حوادث عنف في داخل القطر واتهمتهم بان لهم
ضلعاً فيها وانهم ينوون احداث انقلاب ، فاصدرت امراً عسكرياً
مؤرخاً في ٨ ديسمبر ١٩٤٨ (رقم ٦٣) « بحل جماعة الاخوان
المسلمين وشعبها اينما وجدت وبغلق الامكنة المخصصة لنشاطها
وبضبط جميع الاوراق والوثائق والمجلات والمطبوعات والمبالغ
والاموال وكافة الاشياء المملوكة للجمعية » وتبع هذا
الامر صدور اوامر عسكرية اخرى بتصفية شركاتهم « والعمل
على استخلاص اموال الجمعية لتخصيصها في الوجود العامة التي
يقررها وزير الشؤون الاجتماعية ٧٣ » . واعتقلت الحكومة عدداً
كبيراً منهم ٧٤ . وعلل البناء هذا الاجراء الصارم بـ (١) تدخل
بريطانيا التي اعتبرتهم قوة وطنية متطرفة وعزت اليهم تعطيل
الاتفاق بينها وبين مصر و (٢) التمهيد لاجراء انتخابات يفوز
فيها السعديون - حزب النقراشي - بتشويه القوة الشعبية التي
يستند اليها الاخوان و (٣) رغبة الحكومات العربية في انهاء
قضية فلسطين و (٤) ضغط اجنبي دولي ٧٥ .

وحاول البناء ان يسدّ هذه الثغرة ويسوي الموقف . ولكن
مقتل النقراشي بتاريخ ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ قضى على هذه المحاولة ،
اذ اتهم الاخوان به ، وزاد موقفهم حرجاً .

وولي الحكم بعد ذلك ابراهيم عبد الهادي باشا ، صديق النقراشي ورئيس حزبه بعده ، فبطش بالجمعية وشرّد اعضاها وزجّ عدداً كبيراً منهم في المعتقلات وآذاهم في اموالهم وانفسهم وأسروهم . وشد ازره في هذا العمل ما أشيع من سوء علاقة الجمعية بالعرش وان لها اغراضاً انقلابية ٧٦ .

واثرت هذه الاجراءات الصارمة في البنا الذي رأى البيت الذي بناه بيده في عشرين عاماً قد انهار بين ليلة وضحاها . ويبدو انه ندم على اشتراك الجمعية في السياسة . وبعد ان كانت الجمعية قد قررت ان يرشح الاكفاء انفسهم للنيابة تمهيداً للاشتراك في سياسة الدولة، وبعد ان بسط اهداف الجمعية السياسية بصراحة ووضوح ، عاد بعد مقتل النقراشي فالغى هذين الاتجاهين — ان صح ما نقل على لسانه — وقال : « رأيي الذي كونته ان تأخذ هيئتنا على عاتقها النهوض بحالة البلاد من الناحية الدينية والاجتماعية والاقتصادية — مهملات الناحية السياسية — وان نتيح لاعضاء الجماعة البارزين ان يتقدموا للانتخابات بواسطة الاحزاب التي يرون ان ينضموا اليها ، على ان لا يقتصر هذا الانضمام على حزب دون حزب ، وان يتولوا نشر دعوة الجمعية داخل هذه الاحزاب .. واني اعتقد انه لن يمر وقت الا وتكون هذه الاحزاب قد آمنت بما ننادي به » ٧٧ .

ولكن هذا التراجع لم يُغنِ شيئاً . ففي مساء ١٢ شباط ١٩٤٩ اغتيل البنا وهو في السيارة امام دار جمعية الشبان المسلمين

التي كان يتردد عليها بعد حلّ جمعياته . وبمقتله الذي عزي الى حزب السعديين انهار صاحب الدار بعد انهيار الدار نفسها ، من وجهة النظر الرسمية .

وتتبعته الحكومة الاخوان وجرت لهم محاكمات طويلة واصبحوا « غير شرعيين » . ولكن الفروع التي أسست في البلاد العربية ظلت توالي نشاطها ، ولا سيما في سوريا التي تبنى فرعها الحركة بزعامة الشيخ مصطفى السباعي .

واستمرت وزارة عبد الهادي في الحكم نحواً من سبعة اشهر بلغت محنة الاخوان في اثنائها الذروة ، حتى ظن بعض المراقبين انه لن تقوم لهم قائمة . ولكن الواقع انها كانت كالنار صهرتهم وصفت معدنهم ، فخرج منهم عدد وبقي على الدعوة عدد زادته المحنة صلابة وتماسكاً . وقبل ان الاخوان انتخبوا سرّاً مرشداً جديداً ، وان حركتهم انتقلت من الجهر الى السر .

وفي ٢٥ يوليو ١٩٥٠ استقالت وزارة عبد الهادي وجاءت وزارة حسين سري الائتلافية ثم المحايدة التي اشرفت على الانتخابات . ونال حزب الوفد اغلبية ساحقة كان لتأييد الاخوان سهم فيها . وتولى النحاس الحكم في ١٢ يناير ١٩٥٠ . واخذ الكابوس يرتفع عنهم رويداً رويداً . واخذت اقلامهم تتحرك وصحفهم تعود . واعلنوا انتخاب حسن اسماعيل الهضيبي بك - وهو مستشار سابق - مرشداً عاماً . وفي ١٥ ديسمبر ١٩٥١ افرجت الحكومة عن بعض ممتلكاتهم منها دار المركز العام ودار الصحافة

ودار الطباعة وبعض دور فروعهم ٧٨ .

ويمكن تسمية هذا الدور دور جمع الفلول . وتفقد الصفوف وملء المراكز الشاغرة استعداداً لوثبة جديدة .

ويلاحظ فيه ثلاثة أمور . الاول انهم استرجعوا مكانتهم السابقة ، وأبرزوا وجودهم على مسرح الحوادث قوة بحسب حسابها ويخطب ودّها . ففي شهر اكتوبر ١٩٥١ عندما اشتدت الازمة بين مصر وبريطانيا اشتركت كتابتهم في حركة التحرير اشتراكاً بارزاً . وذكر ان لهم مدرسة للتدريب على القتال في الزقازيق . واعلن وزير الداخلية ان الحكومة لن تمنعهم من الاشتغال بالسياسة ، وانها لن تتعرض لهم ما داموا لا يعمدون الى انتهاك حرمة القانون ٧٩ . والامر الثاني انهم وقفوا من السياسة الداخلية موقف المحترس ، فأعلنوا في اثناء وزارة احمد نجيب الهلالي باشا التي جاءت بعد وزارة علي ماهر باشا القصيرة الاجل ، انهم لن يدخلوا الانتخابات . وبما يلاحظ ان علي ماهر والهلالي شرعا سنة جديدة . فقد درج الاول على استشارة المرشد العام والاجتماع به مع رؤساء الاحزاب السياسية . وفي ذلك اعتراف بقوتهم في الميدان السياسي . واستمرّ الثاني في الاستشارة . فهل يُفهم من موقف الاحتراس في السياسة الداخلية ان الهضيبي اراد ان يبدأ حيث انتهى سلفه البناء وهل يفهم منه ان اندفاعهم السريع في الميدان السياسي - الذي جلب من الحن ما جلب - قد اعيد النظر فيه ؟ والامر الثالث ان حركتهم تتجه الآن

نحو تبسيط الدعوة وتفصيل مجملها وتوطيد أركانها . لقد كان
البناء يدعو الى العودة الى القرآن والحديث . وكان البعض يرى
في هذا الاجمال غموضاً . فأقبل الآن علماءهم يشرحون بأسهاب
في كتب كبيرة ومقالات وافية صلاح المبادئ الاسلامية
للحياة في مختلف نواحيها . من ذلك : الاسلام والاضاع السياسية
الاسلام والاضاع القانونية ، الاسلام والاضاع المالية ،
الاسلام والاضاع الاقتصادية ، الاسلام والمناهج الاشتراكية ،
الاسلام والاستبداد السياسي ٨٠ ، وما الى ذلك ، مما يشير الى انهم
دخلوا في طور جديد . ويدعم هذا الطور مجلة «المسلمون» ٨١
التي يتولى إصدارها احد دعاة البارزين ، ويكتب فيها
كبار مفكرهم . لقد غلبت « الشعبية » على الحركة في ادوارها
السابقة ، ولذلك فإن هذا الاتجاه الجديد ستكون له آثار لا سيما
في الطبقات المتعلمة .

واضح من تاريخ هذه الدعوة انها مدينة الى شخصية البناء
اكثر من أي شخص آخر ، وان البناء هو الذي سهر عليها مدى
عشرين عاماً ، ووجهها في الطريق الذي سلكته ، وأضفى عليها
من روحه وشخصيته حتى أضحت اكبر حركة دينية في تاريخ
الاسلام الحديث . وهذا ما يُحتم ان يُعقد الفصل الثالث على
شخصيته من جميع جوانبها .

الفصل الثالث

عن البناء - شخصيته

يجمع الذين كتبوا او تحدثوا عن البناء ، مادحين او قادحين ، انه كان ذا شخصية قوية . وتاريخ الدعوة وتطورها يؤيدان ذلك . فقد امتزجت شخصيته بشخصية الجماعة في مختلف احوالها واطوارها ٨٢ . واذا كانت الحركة متميزة عن جميع الحركات السابقة في تاريخ الاسلام ، فلأن البناء نفسه متميز قطعاً عن جميع زعماء هذه الحركات . لقد سبق البناء في العصر الحديث زعماء دينيون كجمال الدين الافغاني ومحمد عبده تركوا دويماً ما يزال مسموعاً الى اليوم . ولكن البناء كان من طراز آخر يختلف عنهم من جملة وجوه . ولعل ابرز هذه الوجوه ان اولئك ذهبوا ولم يخلفوا وراءهم دعوة واضحة المعالم بيّنة المنهج يعتنقها اتباع مخلصون . وربما كان اصدق نعت يصح عليه انه كان « داعية » ، وكان من سبقه رجال دين او مصلحين او مجتهدين ذوي آراء ومصنفات فحسب ٨٣ .

ووجه آخر بارز ان البناء لم يشتغل في الدراسات الدينية شارحاً او مفسراً او مدافعاً على الطريقة الازهرية . ولم يكن

هو رجل دين بالمعنى الصحيح . وثقافته لم تعده لذلك . وقد قصد في كتاباته - من كتب ومقالات - ان يتجنب الجدل الديني الذي يخوض غماره رجال الدين عادة ، اذ كان همّه الاول جمع الفرق الاسلامية والتأليف بين قلوبها وتوجيهها نحو الاصول التي قام عليها الاسلام ، اي القرآن وما صح من الحديث . وليس فيما كتبه حملة على أية فرقة من الفرق باستثناء « البهائية » التي اعتبرها فرقة خارجة على الاسلام ودعا الحكومة الى مطاردتها ٨٤ . ولكنه ، مع ذلك ، فهم الاسلام فهماً خاصاً . فهم « ان تعاليمه واحكامه شاملة تنتظم شؤون الناس في الدنيا والآخرة ، وان الذين يظنون ان هذه التعاليم انما تتناول الناحية الروحية او العبادية ، دون غيرها من النواحي ، مخطئون في هذا الظن . فالاسلام : عقيدة وعبادة ووطن وجنسية ودين ودولة وروحانية ومصحف وسيف ٨٥ . وبني فهمه على أسانيد من القرآن والحديث والتاريخ .

وكما انه نحا نحواً جديداً في فهمه ، فقد نحا نحواً جديداً في تأليف جماعته ، وإقامة أسسها ، وتنظيمها ، وتوجيهها ، حتى اضحت جماعة ذات طابع خاص لا مثيل له في الحركات الاسلامية السابقة . فآثر البناء اذن واضح جلي في هذه الحركة منذ نشأتها الى أطوارها الاخيرة . وفهم شخصية البناء ضروري لفهم طبيعة الدعوة .

ولد البناء سنة ١٩٠٦ ، ونشأ في جوّ اسلامي خالص ، وربته

البيئة الاسلاميّة واحتضنته حتى ليقول بحق : « ابي الاسلام لا ابا لي سواه » . وكان والده - الشيخ احمد عبد الرحمن البنا المعروف بالساعاتي - معروفاً بالوقار واليسار ومن بيئة علم واستمسك بالدين والقرآن ٨٧ ، ومن مواليد ناحية شمشيرة مركز فوه الغربية . درس الوالد الفقه والتوحيد والنحو وحفظ القرآن وجوّده . واشتغل بصناعة اصلاح الساعات . وكان لهذه الصناعة اثر كبير فيه وفي ابنه من بعده لما تقتضيه من دقة ومهارة وضبط . وكان الوالد يدرس نهائياً ويعمل ليلاً . واتصل بكثير من العلماء . وحين أنشأ اهل قريته مسجداً كلفوه بالقاء خطبة في اول جمعة فخطب ونال رضى القوم واعجابهم . وكانت عنده مكتبة في مختلف العلوم والفنون الدينيّة واشتغل اماماً وخطيباً لمسجد البلدة . وصرف جل اوقات فراغه من الصناعة يقرأ حتى اتم الكتب الستة وموطأ مالك ومسند الشافعي وغيرها . والف كتباً . منها « بدائع المسند في جمع وترتيب مسند الشافعي والسنن » وعلق عليه شرحاً . ورتب جزءاً من مسانيد الاثمة الاربعة ، ورتب مسند احمد وسماه « الفتح الرباني في ترتيب مسند الامام احمد الشيباني » وشرحه ، باسم « بلوغ الاماني من اسرار الفتح الرباني ٨٨ »

فوالده إذن عالم مختص بدراسة الحديث وترتيبه ، وعامل حاذق في اصلاح الساعات .

اما حسن البنا نفسه فقد وجهه ابوه من صغره الى العلوم

الدينية وأحفظه القرآن بنفسه . وأدخله مدرسة اعدادية أنشأتها الحكومة على نظام المدارس الابتدائية الا ان اللغة الاجنبية ليست ضمن منهاجها . وظل الوالد يعنى بثقافته الدينية ، والقى اليه مكتبة تضم كتباً في الدين والفقه والحديث والنحو، وأباح له ما يشاء من كتبه . وأولع من صغره بقراءة القصص الشعبية فكان يتأثر بها ويمثل دور القتال ، كما اولع بتأليف الجمعيات ، وهو ما يزال طالباً . واتجه مذ الصغر اتجاهاً دينياً ، يتكشف مدة ، ويدعو الى الاخشيـشان والزهد ، ويشهد حلقات الذكر، ويكثر الرحلات والرياضة مسافات طويلة لزيارة المساجد . وفي سن الرابعة عشرة — عام ١٩٢٠ — التحق بمدرسة المعلمين الاولى في دمنهور . ولازمه التدين في هذا الدور فكان يصوم شهري رجب وشعبان . وبعد اجتياز الكفاءة ، عين معلماً ولكنه آثر إتمام دراسته فالتحق بدار العلوم وتخرج فيها سنة ١٩٢٧ . وكانت دار العلوم يومئذ أشبه بأزهر صغير تُعنى بالعلوم الدينية واللغوية عناية الازهر ولكن بأسلوب حديث . وكان في هذه الفترة دائم التلاوة للقرآن في الفصل والمدرسة والمنزل والشارع .

فالبنا اذن أعد ليكون معلماً ، وقضى في سبيل هذا الاعداد سبع سنوات من عمره . والتعليم رسالة وتوجيه . « والداعية » معلم . يضاف الى ذلك ان البنا 'وجه بفضل بيئته وتربيته ومزاجه وجهة دينية — اصلاحية . ولكن هذه الوجهة لم تستغرق جميع تفكيره . ولو كان ازهرياً قعاً — كمحمد عبده مثلاً — لكان

من المحتمل ان يحدث ذلك . فدرسه العلوم الحديثة من تربية وعلم نفس وفلسفة ومنطق وسّع افقه ووضع في نطاق تفكيره نواحي غير الدين ، فرأى السياسة والاجتماع والرياضة بما لا يكاد يدخل في نطاق تفكير رجال الدين الاقحاح . اما الاهتمام بالصناعة والشركات فربما مرده الاولى الى صناعة اصلاح الساعات التي اتقنها الوالد واولع بها الفتى ومارسها كذلك ٨٩ . على انه قد لحظ منذ بداية الدعوة استئثار الاجانب باقتصاديات البلاد - من تجارة وصناعة - وادرك علاقة السياسة بالاقتصاد ووجوب شمولها في منهجه .

ولكن جانباً آخر من شخصية البنا بارز في جميع ادوار حياته هو الجانب الروحي - الصوفي المشرب بالمعاطفة العميقة . ولا ريب في انه قد اجتمع للبنا امران ، الاستعداد الفطري للتصوف ، والظروف المقوية لهذا الاستعداد . رأى وهو في الثانية عشرة من عمره « الاخوان الحصافية » يذكرون الله عقب صلاة العشاء ، « فاجتذبتهم حلقة الذكر باصواتها المنسقة ونشيدها الجميل وروحانيتها الفياضة وسماحة هؤلاء الذاكرين من شيوخ فضلاء وشباب صالحين وتواضعهم لهؤلاء الصبية الصغار الذين اقتحموا عليهم مجلسهم ليشاركوهم ذكر الله فواظب عليها ، وتوطدت الصلات بينه وبين شباب هؤلاء الاخوان الحصافية .. ومنذ ذلك الحين اخذ اسم الشيخ الحصافي يتردد في اذنه فيكون له اجمل وقع في اعماق القلب واخذ الشوق والحنين الى رؤية

الشيخ والجلوس اليه والاخذ عنه يتجدد حيناً بعد حين ٩٠ » .
وقرأ في هذه الاثناء كتاب « المنهل الصافي في مناقب حسين
الحصافي » وهو شيخ الطريقة الاول فأعجب به . وكان اعظم
ما اخذ بجامع قلبه من سيرته شدته في الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر وانه لا يخشى في ذلك لومة لائم . اما كرامات
الشيخ الحسية فلم تقع في نفسه موقع هذا الاتجاه العملي الحثي .
واستولى عليه في هذه السن المبكرة احساس روحاني عميق
تغلغل الى عقله الباطن وصوّر له رؤى ٩١ تدل على مبلغ تعلقه
بشيخ الطريقة .

واتصل في المحمودية بتاجر روحاني كان يجمع الفتيان ويذهب
بهم الى المقبرة لزيارة القبور حيث يقصّ عليهم حكايات الصالحين
واحوالهم مما يرقى القلوب ويسيل العبرات ، ثم يعرض عليهم
القبور المفتوحة ويذكرهم بمصيرهم اليها . وقد يأمر بعضهم بالنزول
فيها والاضطجاع لحظة يتذكر فيها مصيره اليها وظلمة القبر
ووحشته ويبكي فيبكي معه الفتيات ، ثم يجددون التوبة في
خشوع وحرارة ٩٢ .

وحين التحق بمدرسة المعلمين الاولى بدمنهوور - وهو في
الرابعة عشرة من عمره - واطب على زيارة ضريح شيخ الطريقة
الحصافية كل يوم تقريباً ، وعلى الحضرة في مسجد التوبة في كل
ليلة مع الاخوان الحصافية . ورغب في اخذ الطريقة، حتى ينتقل
من مرتبة الحب الى مرتبة التابع المبايع ، فاخذها عن الشيخ

نفسه في رمضان ١٣٤١ هـ = ١٩٢٢ م واذن له بأدوارها ووظائفها .

وكما تميز شيخ الطريقة الاول بالنزعة العملية تميز خلفه بها كذلك . فلم يكن يسمح للمتعلمين من اتباعه ان يكثرُوا الجدل في الخلافات او المتشبهات من الامور او يرددوا كلام الملاحدة او الزنادقة او المبشرين مثلاً امام العامة ، ويقول لهم اجعلوا هذا في مجالسكم الخاصة تدارسونه فيما بينكم . اما هؤلاء فتحدثوا امامهم بالمعاني المؤثرة العملية التي توجههم الى طاعة الله . وتأثر البنا بهذا الاتجاه كثيراً واعتبره من خير الاساليب الحكيمة في التربية الروحية واقتبسه بعد في دعوته . وربما يصح القول انه اخذ ناحية من نواحي التصوف المتعلقة « بالتربية والسلوك » وذهب بها الى ابعد مما ذهب اليه المتصوفة في زمانه ، وبذلك اضحى فرقة صوفية خاصة . وعلى اساس تلك الناحية العملية في التربية أسس وهو طالب في المحمدية جمعية اصلاحية هي « الجمعية الحصافية الخيرية » تقصد الى نشر الدعوة الى الاخلاق الفاضلة ومقاومة المنكرات والمحرمات من ناحية ، والى مقاومة التبشير من ناحية اخرى . وعلى اساس تلك الناحية العملية ايضاً اختلف مع شيخ الطريقة في امور تتصل بالاخوان المسلمين ٩٣ . وكتب فصلاً في مذكراته في التصوف معرّضاً بتجاوز الحدود وخط الدين بما ليس منه مما ادى الى فتح ثغرات واسعة لكل زنديق او ملحد او فاسد الرأي والعقيدة ليدخل من هذا الباب باسم

التصوف والدعوة الى الزهد والتقشف ٩٤ وقد ذهب بعض الاخوان الى ان الدعوة تهرب هرباً شديداً من مظاهر التصوف والدروشة الجامدة التي كانت وبالأعلى على المسلمين والى ان اول مظاهر دعوة الاخوات انها دعوة الافندية ٩٥ . وهذا تجاوز للحقيقة . فالبنا نفسه ظلّ صوفياً ، واستعان بالصوفية كثيراً ، ولم يشأ هو ان يخاصمها . ولكن نقطة الخلاف انه اعتبرها وسيلة لا غاية ، وتربية لادروشة ، ووداً لو برئت من الدخلاء والخرافات والانحرافات المخالفة للشرع ٩٦ .

وظل البنا مستغرقاً في عاطفة التصوف والعبادة طيلة اقامته في دمنهور ومدرسة المعلمين ، حتى انه كان يتزيا بزي خاص قريب من زيهم (عمامة ذات عذبة ونعل كنعل الاحرام في الحج ورداء ابيض فوق الجلباب ٩٧) . وفي فترة دراسته في دار العلوم - وقد اربت سنه وقتئذ على السادسة عشرة بشهور - داوم على الحضرة عقب صلاة الجمعة من كل اسبوع في منزل الشيخ الحصافي ثم في كثير من ليالي الاسبوع في منزل الخليفة الاول للشيخ الحصافي . ولم تنتهِ حياته العلمية عن الرياضة الروحية . وفي بدء حركته في الاسماعيلية ظل يعاشر اصحاب الطرق ويعدّ نفسه واحداً منهم ويتأدب معهم بأدب الطريقة وبمخاطبتهم بلسانها ٩٨ .

ولكن تلك النزعة العملية التي رأيناها قبلاً كانت متمكنة منه . وكانت اختبارات الشخصية مع اصحاب الطرق تزيد تعلقاً

بها . ولذا لم يكن متحمساً لنشر دعوته على انها طريق خاص - طريق صوفي خاص - لاسباب اهمها انه لا ينبغي مخاصمة اصحاب الطرق الاخرى - وهي كثيرة - ولا يريد حصر دعوته في نفرٍ من المسلمين ولا في ناحية من نواحي الاصلاح ، بل ارادها « ان تكون دعوة عامة قوامها العلم والتربية والجهاد ٩٩ » .

وهكذا يتبين ان البنا كان صوفياً وظل صوفياً ، ولكنها صوفية خاصة تهدف الى الاصلاح عن طريق الدين ، او هي ناحية واحدة من نواحي الصوفية تعلق بها وترك الباقي ١٠٠ .

وبما اثر في تكوين شخصيته مقرؤه ، او بالاحرى ثقافته العامة التي حصلها في مختلف ادوار حياته . فما نوع هذه الثقافة ، وهل انسجمت مع مزاجه وتربيته ، والى اي حدٍ اثرت في حركته جملة ؟

لقد كان البنا شغوفاً بالمطالعة خارج حدود المناهج المدرسية الى حد كبير ، وكان ذا ذاكرة قوية تستوعب من المتون ومن المنظوم والمنثور حظاً كبيراً جداً . وقد ذكر انه تقدم الى امتحان دار العلوم بمجموعة من المحفوظات بلغت ثمانية عشرة الف بيت ومثلها من المنثور ١٠١ ، عدا المتون في الاعراب والنحو والمصطلح والتوحيد والميراث والمنطق والفقه على مذاهب ابي حنيفة والشافعي ومالك ، متأثراً بذلك بعبارة سمعها من والده هي ، « من حفظ المتون حاز الفنون » ، مما حمله على

محاولة حفظ الشاطبية في القراءات ١٠٢ .

وكانت مطالعته متواصلة في مكتبة والده ومكتبة معلمه
الاول الشيخ محمد زهران . وتشمل ثلاثة موضوعات رئيسية :
الاول القرآن والحديث وعلوم الدين جملة . والثاني : التصوف
والسيرة النبوية . والثالث : الادب والقصص الشعبي . وكان في
اثناء دراسته في دار العلوم قد حصل على جنيه مكافأة شهرية
نخصه لشراء الكتب غير المدرسية .

وكانت اشد هذه القراءات تأثيراً في نفسه كتب التصوف .
فقد كان يكررها حتى تحدث له رؤى عجيبة ١٠٣ ، وترهف
حسه وتغور احاسيسه الروحية . ومن ذلك الوظيفة والاوراد
التي كان يداوم عليها مدداً طويلة متواصلة . وبلي ذلك في التأثير
في نفسه القصص الحماسية التي « كلها حماسة وشجاعة وذود عن
الوطن واستمسك بالدين وجهاد في سبيل الله وكفاح لنيل العلى
والمجد ١٠٤ » . وبما أثر في نفسه تأثيراً عميقاً كتب السيرة ،
كالانوار المحمدية للنبهاني ، ومختصر المواهب اللدنية للقسطلاني ،
ونور اليقين في سيرة سيد المرسلين للخضري ، وهي في الواقع
اقرب الى قصص الحماسة والبطولة منها الى التاريخ الموضوعي .

اما خارج هذين الموضوعين الرئيسيين ، التصوف والقصص
الحماسي الديني والقومي ، فقد تأثر بما كتبه السيد رشيد رضا
وفريد وجدي ومحب الدين الخطيب واضراهم من السلفيين
اصحاب الاقلام الصارمة .

واضطرعت في صدر البنا في شبابه نزعة" جاحمة الى القراءة والعلم تضادها نزعة" صوفية تقتصر من العلم على ما يحتاج اليه في اداء الفرائض وكسب العيش، ثم الانصراف الى العمل. وبتأثير هذا الاضطراع حرق بواكير شعره واهمل مؤلفات له في الفقه والادب، وكاد ان ينصرف عن دار العلوم. وظل هذا الاضطراع في أعماق البنا مدة طويلة حتى يصح القول انه كانت له شخصيتان متلازمتان متصارعتان، اراد ان يوفق بينهما بقوله عن نفسه انه كان مريداً حراً في تفكيره، ومخلصاً كل الاخلاص في تقدير العبادة والذكر وادب السلوك في آن واحد ١٠٠.

فالبنا إذن تتقف ثقافة اسلامية عربية قحّة، واختار في مقروئه ما يلائم الاتجاه الذي طابق مزاجه واشبع هواه.

ومن البديهي ان يقرأ - ولا سيما في فترة الحرب الثانية - موضوعات كثيرة متنوعة في السياسة والادب والتاريخ. ولكن البنا كان في هذه الفترة قد كوّن مزاجه الخاص وحدّد الاتجاهات التي رغب في سلوكها. وفي ذلك يقول احد اتباعه «... يصل الناس ويجولون ويتكلم المتكلمون ويتعمق المتفلسفون ويطير ذوو الثقافات كل مطار، وحسن البنا لا يؤمن بشيء من هذا مهما اكثر فيه العلماء وخاض فيه المختصون، واذا به يلقي عليك الآية في القرآن فيحسم الامر ويفصل فيه.. يجهد الناس ويتعبون ويذهبون المذاهب في البحث من البحوث وحسن البنا اغناه قرآنه عن كل هذا. يقرأ الكتاب وفيه

أحدث النظريات العصرية سواء في القانون أو التربية والاخلاق أو الاقتصاد أو السياسة والتشريع أو الاجتماع أو في أي فن من الفنون ، فإذا فرغ منه فاجاك بالآية أو الايات تتضمن كل ما اعجبك أو استحوذ عليك من نظريات وردت في هذا الكتاب وما جفَّ معينه يوماً ولا وقف اطلاعه عن اسعافه بما يريد في اية ناحية في هذا السبيل ... يطوف المصلحون هنا وهناك ويتطفلون على هذه الثقافة أو تلك ويتكالبون على ما وضعه الغريبون في كثير من الشؤون الضرورية اللازمة للحياة المتصلة بشؤون الناس والمجتمع ولا يخطر لهم ان الاسلام قد تعرض لهذه النواحي أو طرقها بخير مما وصلت اليه العقول في العصر الحديث ، الا اذا استمعوا الى حسن البناء والا اذا رأوه يطالع كتاباً من هذه الكتب ثم يعقب عليه بما يسهفه هذا المجهود الضخم الذي بذل فيه ، بالآية الواحدة من القرآن يفيض في شرحها والتعليق عليها والابانة عن مقاصدها .. وقد يكون من حفاظ القرآن فيخال انه لم يسمع هذه الآية أو الايات من قبل ١٠٦».

وهكذا اثرت ثقافة البناء - ولا سيما دراسة القرآن والحديث والسيرة - في حركته ووجهته وجهة اسلامية خالصة وملأته حماسة للعقيدة التي اعتنقها ، وقوت فيه روح البطولة والصبر على الشدائد ، واقننته التذرع بكل وسيلة لتحقيق اهدافه .

ومن ابرز مظاهر شخصيته ذكاؤه الذي يبدو اولاً في تفوقه على اقرانه في المدارس وثانياً في قوة ذاكرته وثالثاً في براعته

في معالجة المشاكل والتكيف حسب مقتضى الاحوال ورابعاً في سيطرته على اتباعه مع اختلافهم اختلافاً شديداً في البيئة والثقافة والمكانة الاجتماعية. اما تفوقه فباد في تجليته في المدارس وكسبه قصب السبق فيها جميعاً من الكتاب الى مدرسة دار المعلمين الاولى التي ختم فيها حياته المدرسية . وقد دخل مدرسة المعلمين الاولى وهو دون السن القانونية بنحو نصف سنة . وفي امتحان كفاءة التعليم كان الاول في مدرسته والخامس في القطر المصري كله ، وفي الفحص النهائي في دار العلوم كان الاول في فرقته ١٠٧ .

واما قوة ذاكرته فظاهرة في سعة محفوظه . وقد ذكر احد اصحابه انه اعطي ذاكرة عجيبة لا تنسى اسماً ولا وجهاً ولا مكاناً ولو طالت السنوات . وانه يعرف أكبر مجموعة من الناس ويعرف عنها كل ما يحيط بها معرفة تامة . ويعرف القطر ، مدنه وقراه . ويعرف كل بلد ووضعها ونظم اهلها وتقاليدهم وعاداتهم ومذاهبهم الدينية وكل ما يتعلق بكيانهم الروحي والاجتماعي والعقلي ١٠٨ .

واما براعته في معالجة المشاكل فتبدو في مواقف كثيرة . وبما يذكر على سبيل المثال ان ازهرياً اراد ان ينفر منه المستمعين باثارة جدل عقيم حول جزئيات سخيفة في بدء حركته في الاسماعيلية ، فسأله عن اسم ابراهيم الحليل في معرض قصته فقال له البنا ان اسمه تارخ وان آزر عمه والقرآن يقول ان آزر

ابوه ولا مانع من ان يكون عمه لاستخدام ذلك في لغة العرب ، وقال بعض المفسرين ان آزر اسم للضم لا لايه ولا لعمه . ونطق بكلمة تاريخ بكسر الراء . فردّ عليه الازهري ان الكلمة بضم الراء لا بكسرهما احراجاً له... وحين اراد الازهري ان ينحو هذا النحو في كل درس تذرّع بوسيلة تدل على دهائه ، فدعاه الى منزله واكرمه وقدم له كتابين في الفقه والتصوف هدية ، وطمأنه على انه مستعد لمهاداته بما شاء من الكتب . فطابت نفس الازهري وواظب على حضور الدروس وكف عن اللجاج ١٠٩ . ولعل اشدّ المواقف امتحاناً لذكائه ودهائه كان عندما صادر ابراهيم عبد الهادي اموال الجماعة وطاردها بعنف واتهمها بتبليت الانقلاب وعدم الولاء للعرش . فما كان من البنا الا ان صرح بان الهيئة ستأخذ بالنهوض بحالة البلاد من الناحية الدينية والاجتماعية والاقتصادية مهملات الناحية السياسية التي توغل فيها ايما توغل ابقاء على الجماعة في وجه العنف ١١٠ . وهو موقف لا بد من ان يكون قد حزّ في نفسه وآلمه اشدّ الالم بعد ان كان يرجو ان يجعل من الاخوان « جيش الانقاذ وكتائب الجهاد ١١١ » ، وبعد ان صرح مراراً ان السياسة جزء لا يتجزأ من منهجهم . وسمعت رواية شفهية من احد المطلعين على الحركة في القاهرة ان البنا كان يبسط نفسه لكل انسان ولكل صاحب عقيدة سياسية بغية اقناعه ان حركته تشمل كل حركة في سبيل تقوية الجماعة . وكان له من الذكاء والدهاء ما يمكنه من استرضاء زائريه جميعاً على اختلاف اهوائهم .

واما سيطرته على اتباعه فقد كانت سيطرة تامة شاملة تكاد تدنو من السحر . فقد كان له مع كل انسان حديث خاص واسلوب خاص ومنطق خاص . وقد كشفت الحوادث بعد ان اتباعه واشياعه لم يكونوا من طبقة العمال فحسب ، وان كان هؤلاء يـكـونون الجمهرة ، بل كانوا من طلاب الجامعات ورجال الدين ورجال القضاء ورجال الدولة على السواء . وسيطرة البنا على هذه الجماعات المتباينة وكسب الانصار كل يوم في مصر وخارجها وسرعة نمو حركته مع الرسوخ والاستقرار كل اولئك دليل على ذكائه وسعة حيلته .

ولعل أشقّ عمل اضطلع به البنا واقتضاه تركيز جميع مواهبه - وكشف بالتالي عن ذكائه - هو محاولته في جميع خطبه ومقالاته ان يثبت ان الاسلام 'عني بجميع ما' غنيت به الحركات السياسية المعاصرة كالنازية والشيوعية مع زيادة دائماً مثل الامل والعزة والقومية والقوة والخلق القويم وما الى ذلك ، ومحاولة اثباته ان الحضارة الاسلامية جمعت محاسن جميع الحضارات وفاقته عليها وبرئت من نواقصها ١١٢ . وهذا العمل من ابرز خصائص الحركة ، ومن ابرز ما تتصف به الجماعة وقائدها ، وهو ولا شك أثر من آثار ذكاء البنا ومقدرته .

واوتي البنا علاوة على ذلك مقدرة بيانية فائقة متحدثاً وكتائباً وخطيباً . والمواهب والملكات الكامنة في الانسان تظل مدفونة في نفسه ما لم تقرن بالبيان القوي . وقد أشار الذين

ترجموا للبنا او كتبوا عنه الى هذه الموهبة البيانية . فقال احمد انور الجندي في كتابه (قائد الدعوة او حسن البنا ، حياة رجل وتاريخ مدرسة) : انه كاتب من ابرع الكتاب ومن اقواهم قدرة على تصوير ما بنفسه ، ومن ابلغهم عبارة ، ومن اشداهم تأثيراً في النفوس بالالفاظ الكريمة والمعاني المركزة . يتكلم فيفهمه الكبير والصغير ، العالي الثقافة والأمي والجاهل ... في صوته عمق وللسانه سحر ، واذا تكلم تلاعب بالالباب . وقد امدّه الادب العربي على شتى أصوله بفيض هائل من الآيات والاحاديث واجداد الجهاد الاسلامي يطلقها من فمه في انسب وقت وانسب مكان فيكون لها فعل القذائف في معارضيه . وقدر المؤلف عدد الخطب التي القاها في سبعة عشر عاماً بما لا يقل عن ثلاثين الف خطبة ، وعدد الجلسات التي عقدها بمثل ذلك ايضاً ١١٣ . وقال احمد حسن الحجاجي في كتابه (روح وربحان) « إنه كاتب مجيد لا يشق له غبار .. بلغ من جزالة لفظه وتسلسل فكرته وعذوبة اسلوبه وسهولة مأخذه مستوى كبار الكتاب البارزين واعلام رجال الادب وحملة القلم .. يكتب المذكرات والمقالات والنشرات والرسائل .. الخ ، لا يعجزه موضوع عن التناول ، يعالج المسائل الاجتماعية والثقافية والفقهية والقانونية والتشريعية ، كما يتناول مسائل الدين من ناحيتها الفقهية الخالصة ، شأنه في الخطابة حين يتناول اي موضوع في اية ناحية من النواحي بالشرح او التعليق من غير اقتصار على ناحية من النواحي . فعبقريته هيأته لكل الثقافات . ولقد اعترف به التاريخ خطيباً ممتازاً

بارعاً ، وافرّ له بانه كاتب ممتاز موهوب ١١٤ » .

« وهو في فصاحته ونصاعة حجته وبلاغة قوله وحسن اختيار لفظه ، خطيب ممتاز لا يزاحمه مزاحم ولا يرتفع بجواره صوت ولا يباريه في ميدانه احد من رجال عصره ، يمتلك الباب سامعيه ويهز مشاعرهم ، وله طابعه الخاص وسمته الثابت ووسائله المبتكرة واتجاهاته المستقلة ولا يقلد او يجاري احداً من السابقين او اللاحقين... يسنده في هذا علمه الغزير وقدرته الفائقة على جمع شتات اطراف اي موضوع مهما كان متشعباً ، يجمعه جمعاً يدنيه من ذهن السامع ويقربه اليه بلا اقتضاب ولا اخلال وبسعة وافاضة . فهو دائرة معارف واسعة كاملة يتحدث في اي موضوع بلا اعداد مهما يكن نوع هذا الموضوع ، ويتخير في احاديثه الاسلوب السهل ويعمد الى التعابير المناسبة لسامعيه ١١٥ » .

وذكر جامع مذكراته انه وجد هذه المذكرات في جريدة الاخوان المسلمين في حوالي خمسمائة عدد ابتداء من العدد ٣٧٤ الصادر في ٢١/٧/٤٧ حتى اوقفت الجريدة عن الصدور . وذلك عدا مقالاته وخطبه التي تقع في مجلدات .

ومهما كان في هذه النعوت من مبالغة من الطبيعي ان تصدر عن اتباعه ومريديه ، فالذي لا شك فيه انه ملك من المقدرة البيانية حظاً كبيراً جداً كاث من عوامل نجاحه . ومردّ هذه المقدرة الى ثلاثة اسباب . الاول كونه معلماً اعتاد تقرير الموضوع في

أذهان الطلاب الصغار كل يوم من حياته المدرسية التي ابتدأت في سن مبكرة واستمرت الى ما بعد قيام الحركة . والثاني اطلاعه الواسع على اللغة والادب وتمكّنه منها وتملّكه من الاسلوب القصصي الذي أطلّ فيه القراءة في صغره ، كما ذُكر في فصل سابق . والثالث محفوظه الكبير شعراً ونثراً وترداد ما حفظ في شتى المناسبات . يضاف الى ذلك طول المراتب في الجوامع والمجتمعات والاندية ومؤتمرات الاخوان، بما شحذ ملكته وثبتها. وكان في صغره يداوم على حضور حلقات الصوفية ويردد اورادهم ساعات متواصلات فزلق لسانه وحسّن نطقه وطاوعه البيان . ولا بد من الاشارة الى ان مهمة البنا الرئيسية كانت مهمة خطابية تستدعي إثارة العاطفة واستهواء القلوب . وكان جلُّ اتباعه ومستمعيه في الفترات الاولى من طبقة العمال الذين يغنيهم القليل من المنطق ويستثيرهم الكثير من البيان . وكانت كثرة استشاده بالآيات القرآنية والحديث والشعر تأتي كدعائم يقف عندها وقفات قصاراً وتكسب عباراته قوة .

وهذه قطعة من مقال له عنوانها طريقتان يبين فيها السجع الرنان وتوازن المقاطع واثارة العواطف :

طريقة مبهدة ظليّة ، مشرقة جميلة ، تحف فيها الروح والريحان، ويحيط بها الجمال من كل مكان، واولها اليقين والايمان ومراحلها الاستقامة وطاعة الرحمن . ونهايتها الجنة والرضوان ، في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

وطريق مقفرة ، اولها الجحود والنكران ، ومراحلها الاثم والعصيان ، وآخرها الجحيم والنيران ١١٦ .

وهذا الاسلوب البديعي من خصائص اسلوب البناء يقصده قصداً مع مقدرة لغوية تجعله بعيداً عن التكلف . وهو مؤثر في الجماهير أكثر من الحجة القوية التي يخاطب بها العقل وحده . ولكن البناء لم يلتزم هذا الاسلوب في كل الاحوال . فقد كان يكتفئ اسلوبه حسب مقتضى الحال قاصداً في المرتبة الاولى التأثير في سامعيه واستهواء قلوبهم . وكان يعالج الموضوع من نواحي متعددة وفقاً لحال السامعين . فهو مع اهل القانون غيره مع الصوفية او رجال الاقتصاد او رجال الاعمال . فلكل بيانه وطرق اقناعه . وهو مع العامة غيره مع الخاصة ، اذ يبسط لهم الكلام ويحدثهم باللهجة العادية ، واحياناً يجمع بين الفصحى والعامية للترويح عن النفوس والاستجمام .

ورزق البناء بنية قوية كانت سنداً له في دعوته ، بل ربما كانت سنده الاول ، اذ لولا هذه البنية لما احتمل مشاق الاسفار ، واعباء العمل المتواصل طول النهار واكثر الليل ، وجهد الخطابة والكتابة والاجتماعات المتواصلة والاطلاع على جميع الاعمال في المركز والفروع ، وفوق ذلك الصدمات المتوالية التي ترزعزع الجسم وتوهنه .

لقد بدأ دعوته في الواحدة والعشرين من عمره (سنة ١٩٢٧) جامعاً بين التدريس في المدرسة الابتدائية في النهار والوعظ

والخطابة في المساء وعقد الاجتماعات مع اتباعه في المساء المتأخر.

وفي كتاب (قائد الدعوة او - حسن البنا - حياة رجل وتاريخ مدرسة) نموذج من رحلاته سنة ١٩٣٩ يبين المدن التي كان يزورها في نهاية الاسبوع فيسافر من القاهرة الى المنيا بعد ظهر الخميس فيصلها الساعة ٨ مساء . ثم يغادر المنيا نحو منتصف الليل الى ادفو فيصلها صباحاً . وفي الظهر يسافر من ادفو الى قنا فيصلها عند الغروب . وفي نحو منتصف التاسعة مساء يسافر من قنا الى نجع حمادي فيصلها صباحاً . وبعد الظهر يغادرها الى جرجا فيصلها في ساعة ثم يغادرها نحو الساعة الحادية عشرة مساءً عائداً الى القاهرة فيصلها صباح نهار الاحد ١١٧ .

ولما انتشرت شعب الاخوان من الاسكندرية الى اسوان كان هو يسيطر على هذه القوى بتوجيه موحد بحيث لا تقتصر قوة الا في اتجاه هذه القوى الاخرى وفي حركة معاونة لها . وكان عمله الاشراف التام الدقيق على الكبير والصغير من الشؤون . اما في دار الاخوان فلا يخلو من عمل منذ تظاً قدماء الدار الى ان يخرج منها .

ويقول فيه رفاقه في الاسفار : نركب السيارة بين مكة والمدينة فيصيبنا الدوار ولا يصيبه ، نأكل بعض الاصناف فتصاب امعاؤنا ولا يصاب . ندخل جو مكة الحار بعد جونا الرطب وجو المدينة الرطب بعد جو مكة الحار فتتأثر صدورنا بالزكام والسعال وهو لا يتأثر . يتعبنا المشي والتصعيد في غار

حراء وهو لا يتعب ١١٨ .

له معدة قوية قديرة على الهضم في مختلف البلاد والاجواء والالوان وقوة عصبية مركزة لا تتأثر بالاجواء ولا باضطرابات البحر والسيارات . وكان الى ذلك يجيد الرماية والسباحة ويقطع على قدميه مسافات طويلة . ويركب في الدرجة الثالثة في القطار على مقاعد خشبية فلا يتعب ولا يضجر فهذه القوة الجسمية من متمات شخصية البنا ، لانها هي التي احتملت الدعوة وكفاحها وما لها وما عليها .

ويبدو ان ما قرره احد اتباعه « ان السر في النجاح هو في شخصية الداعي ١١٩ » قول صحيح الى حد كبير . وجميع الذين كتبوا عنه ربطوا بين الدعوة وبينه ربطاً محكماً . فحركة الاخوان المسلمين هي حركة (حسن البنا) او هي حسن البنا نفسه بالخصائص والصفات التي ذكرت . يقول احمد حسن الحجاجي - وهو من اكثر الناس معرفة به وكتابة عنه - واما ان الدعوة الاسلامية قد هتف بها في القرن العشرين رجل واحد هو (حسن البنا) وحمل اعباءها ولم يسبقه بالدعوة اليها احد ، فذلك ما نريد ان نعرض له هنا . . فالدعوة الاسلامية الواضحة كحقيقة دستورية مستقلة يقوم عليها نظام عام له ميزاته ثم تنظيم حركة تقود جيلاً يعمل على تطبيق مبادئ النظام الاسلامي في الحكم والسياسة والاجتماع واقرارها عملياً كدستور واجب النفاذ ، الى جانب الذود عنها كعقيدة صحيحة ، الدعوة

الاسلامية بهذا المعنى العملي الواسع الشامل ، وما ترتب عليه من انقلاب عالمي في الافكار ومن الاحداث التاريخية التي سيكون لها اثرها وخطرها في مستقبل الانسانية ، نقول ان الدعوة الاسلامية بهذا المعنى لم يعرفها التاريخ آماداً طويلة جداً الا حين رفع لواءها (حسن البنا) في القرن العشرين ، باسم دعوة الاخوان المسلمين ١٢٠

والشاهد في مثل هذه الاقوال التي تبدو مشوبة بعاطفة الاعجاب الجامح بزعم الدعوة وقائدها ، ان اتباعه وصلوا بين شخصيته وبين الدعوة وصلاتاً تاماً ، فردوا اليه قوتها ونجاحها وشرحها وفلسفتها وجميع مظاهرها الداخلية والخارجية . ومن البديهي ان ترد اليه ايضاً جميع نواحي القوة والضعف فيها ، وجميع الشروح والتفسيرات والمبادئ التي قامت عليها . والواقع ان قانون الدعوة وضع بيد المرشد سلطات دونها سلطات الملك المطلق ، كما سيدكر فيما بعد. ودان له جميع اتباعه بالطاعة والولاء من غير تردد ولا احجام ولا استفهام ، ومنعوا عن أنفسهم حق الاعتراض فيما يحكم فيه حكماً نهائياً . وذهب اتباعه الى حد اعتباره رجل الساعة ورجل مصر الحديثة ، ورجل الدعوة الاسلامية في العصر الحديث .

هذه هي شخصية (حسن البنا) مؤسس الدعوة ومرشدها وقائدها حسبما تبدو في المصادر - الاخوانية - التي اسهبت في الكتابة عنه . ومن جهة اخرى فقد ذكر مراسل التيمس

الاسبوعية ان البناء كان خطيباً مفوهاً وسياسياً بارعاً ١٢١ . واستخلص محمد حسن احمد مؤلف كتاب (الاخوان المسلمون في الميزان) من نصوص القانون التي توسع سلطات المرشد العام الى ابعد حدٍ ان حركته فاشستية . والواقع انها لم تكن كذلك . ولكن سلطات المرشد العام بلغت حداً بعيداً جداً قل نظيرها لدى الحكام المحدثين . وهذا دليل على بروز شخصية البناء في ميدان الجماعة بروزاً لا يطاله احد من رجاله . وهنا يتفق انصاره وخصومه . فحركة الاخوان فذة بقدر ما هي شخصية البناء فذة . فهي حركة في شخص تمتدت واتسعت بالانصار والمريدين . قال احد رجالهم : « ... ولكن الاخوان يتعاملون بقانون من روح قائدهم ومرشدهم . قانون الاخوان السائد والحاكم والمنظم هو قانون الاخوة ، وروح هذا القانون هي التي يُصدر عنها المرشد العام ، وهي التي تلهم القائد . وهي التي اسلست له قياد النفوس ومكنت له في القلوب ونادت به مرشداً وقائداً تهفو اليه كلما حزب امر . ومن اجل ذلك فما عرفت مجتمعات الاخوان جفاف احكام القوانين ولا غطرسة موادها وتجههم وعبوس نصوصها ، وعلى هذا فتعترف الى مرشد الاخوان وقائدهم وهو الذي يدين له الملايين بالطاعة والولاء والذي تصدر الكلمة الواحدة من شفتيه فيتلقنها هؤلاء الملايين بالتلبية الحارة الصادقة ١٢٢ » .

وما مبادئ هذه الحركة ؟ وما الاسس التي تقوم عليها ؟ هذا ما يعالج في الفصل التالي .

الفصل الرابع

مبادئهم

١ - اول ما يلحظ في مبادئ الاخوان أنها نامية متطورة. بدأت من نقطة دينية ثم انطلقت في آفاق واسعة افسح من ان يشملها قانون . والواقع ان القانون الرئيسي الذي يحتوي على جميع المبادئ ويفسّر جميع النصوص ، كان « البنا » نفسه . وليس ادلّ على ذلك من عبارة أثبتها احد الاخوان : « .. فما عرفت مجتمعات الاخوان جفافاً أحكام القانون ولا غطرسة موادّها ، وتجهّم وعبوس نصوصها » ثم يقول : « مرشد الاخوان يسوس هذه المجتمعات بالارشاد النافع والتوجيه المحكم السيد ، ووضع كل امر في نصابه » ١٢٣ .

اما البنا نفسه ، فقد ذكر في مناسبات كثيرة ، ان دعوته متطورة حتى انه نصّ في (قانون النظام الاساسي للهيئة) الذي أقرته الجمعية العمومية في سبتمبر سنة ١٩٤٥ على ما يلي : . يؤثر الاخوان دائماً التدرج والتطور ١٢٤ . ووضح ان هذا التدرج لا بد له من ثلاث مراحل ، مرحلة الدعاية والتعريف والتبشير بالفكرة وايصالها للجماهير من طبقات الشعب ، ومرحلة التكوين

وتختيار الانصار وإعداد الجنود وتعبئة الصفوف من بين هؤلاء المدعويين ، ومرحلة التنفيذ والعمل والانتاج . ثم قال : ولكن لا شك في ان الغاية الاخيرة او النتيجة الكاملة لا تظهر الا بعد عموم الدعاية وكثرة الانصار ومثانة التكوين ١٢٥ .

وهذا دليل قاطع على ان الغاية مرهونة بالظروف . وقد كان البناء يحدد هذه الغاية ويلمح اليها من حين الى آخر تبعاً لتطور الجماعة واستعدادها . وكان يمدّ في امل الشباب المتحمس ويلوح بأنهم متى أتموا دور الاعداد لا يتخلف عنهم بل يخوض بهم لجج البحار ويقتحم عنان السماء ، ويفزرو كل عنيد جبار . ١٢٦ وليس ببعيد ان البناء في أواخر أيامه ، وفي إبان اتساع حركته ، وتحت ضغط الشباب المتحمس ، اراد فعلاً ان يبلغ هذه المرحلة النهائية . وقد صرّح في خطاب له ألقاه في المؤتمر الذي عقد لبحث المطالب الوطنية عام ١٩٤٥ بقوله : « كل ذلك يا اخي جعلني اشعر شعوراً قد ارتقى بي الى مرتبة الاعتقاد اننا لم يعد لنا الخيار ، وان واجبنا ان نقود هذه النفوس الحائرة ونرشد هذه المشاعر الثائرة » . فهذه استجابة منه لضغط الشبان المتحمسين الذين كانوا يعتقدون انهم أتموا دور الاعداد ، وبلغوا المرحلة الاخيرة التي طلبها منهم في السابق . وخلع عليهم نعت « جيش الانقاذ وكتائب الجهاد ١٢٧ » .

وعلى كل حال فان جميع ما صدر عن الاخوان وعن مرشدهم يدل على انهم كانوا اشبه بالمتدرب على القفز الذي يعلي الحشبة كلما

آنس في نفسه القوة ، وبذلك ظلت اهدافهم نامية ومتطورة .

ويلحظ في مبادئهم ايضاً الشمول الكلي لكل مبدئ وكل فكرة ، سواء أوجدت حقاً في الدين ام جاءت من الخارج . فقد حرصوا على ان يفهموا الناس ان كل ما في الشرق والغرب من مبادئ حسنة هي مبادئهم هم . حدث احد الاعضاء العاملين من الشباب الجامعي أن (البنا) جمعهم مرة وقال لهم : « ان حاكم الشيوعيون وقالوا لكم ان مبادئنا انسانية رحبة تأخذ بيد الضعيف والفقير وتساوي بين الناس وتحقق العدالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فقولوا لهم : ليكن الامر كذلك . فان مبادئنا شاملة لمبادئكم مع زيادة . فليس من مبدئ تفخرون به الا عندنا ما يماثله ويربو عليه » .

وقد رسخت هذه الفكرة في نفس البنا وكررها مراراً حتى اصبحت مبدأ اساسياً تتفرع منه جميع المبادئ . ونجد بيان ذلك في رسالة بعث بها البنا الى الملك فاروق والنحاس باشا رئيس وزرائه يومئذ وملوك العرب وامرائهم بعنوان « نحو النور » . ففيها يقول : ليس في الدنيا نظام يمدّ الامة الناهضة بما تحتاج اليه من نظم وقواعد وعواطف ومشاعر كما يمدّ الاسلام بذلك امه الناهضة ١٢٨ . ويقرر فيها كذلك ان القرآن جمع علوم الكون في آية واحدة وحث عليها - على طريقة محمد عبده - ، وان نظم الاسلام فيما يتعلق بالفرد او الاسرة او الامة حكومتها وشعبها او صلة الامم بعضها ببعض قد جمعت

بين الاستيعاب والدقة وإيثار المصلحة وإيضاحها ، وإنها اكمل
وانفع ما عرف الناس من النظم حديثاً او قديماً . ويعتقد ان
الاسلام معنى شامل ينتظم شؤون الحياة كلها ويفتي في كل شأن
من شؤونها ، ويضع له نظاماً محكماً دقيقاً ١٢٩٠ . ويرى ان
الحياة الفاضلة والمثل الرفيعة لن يجدها الناس في الشرق الاسلامي
إلا في اسلامهم ، لانها من صميم مبادئه وهي مكفولة في نظامه
كفالة تامة ١٣٠ . ويرى ان الوطنية في الاسلام اوفى وازكى
وأسمى وانبل بما هي في افواه الغربيين وكتابات الاوروبيين ١٣١
ويرى ان العالمية والقومية والاشتراكية والرأسمالية والبلشفية
والحرب وتوزيع الثروة والصلة بين المنتج والمستهلك وما يمت
بصلة قريبة او بعيدة الى هذه البحوث التي تشغل بال ساسة الامم
وفلاسفة الاجتماع ، كل هذه خاض فيها الاسلام ووضع للعالم
النظم التي تكفل لهم الانتفاع بما فيها من محاسن ١٣٢ . ويعتقد
ان دعوتهم عامة محبطة لا تغادر جزءاً صالحاً من اية دعوة الا
ألمت به وأشارت اليه ١٣٣ .

وهذه النصوص كثيرة جداً في مؤلفات (البنا) والاخوان
جميعاً دون استثناء . وقد أدت بطبيعة الحال الى نتيجة لا مفر
منها وهي ان الاخوان مقلدون لا مبتكرون ١٣٤ ، اي انهم
لا يضيفون جديداً وانما يحيون قديماً ويبعثون ميتاً وينشرون
مجهولاً ، لان جميع هذه التعاليم المتصلة بمختلف الوان الحياة
واردة اصلاً في صلب الدين .

ومن هذا المبدأ العام الشامل استوحوا سائر مبادئهم ، ومنه استمدوا مبادئهم حتى شملت كل ناحية دينية وسياسية واجتماعية واقتصادية ، كما هو مبين في قانونهم الاساسي . وقد قال (البنا) في احدى خطبه : تستطيع ان تقول ولا حرج عليك ، ان الاخوان المسلمين دعوة سلفية ، وطريقة سنيّة ، وحقيقة صوفية ، وهيئة سياسية ، وجماعة رياضية ، ورابطة علمية ثقافية ، وشركة اقتصادية ، وفكرة اجتماعية ١٣٥ !

وما هذه المبادئ ؟

يجعلون هم هذه المبادئ ستة :

الاول علمي : وهو شرح دعوة القرآن الكريم شرحاً دقيقاً بوضوحها ويردّها الى فطرتها وشمولها ويعرضها عرضاً يوافق روح العصر ويردّها عنها الاباطيل والشبهات . وهم في الواقع يذهبون الى ما ذهب اليه محمد عبده قبل نصف قرن ، حينما اراد ان يردّ على تهم وجهت الى الدين ، فأخذ على عاتقه ان يثبت انه ملائم لروح العصر منسجم مع جميع العلوم والمعارف ، بدلاً من ان يستأصل هذه التهم من اصولها بالاعتراف بان للدين منحنى يختلف اختلافاً تاماً عن منحنى العلم ، فكانت النتيجة ان ورّط نفسه وورّط الدين في امور لا دخل له فيها .

الثاني : عملي : وهو جمع الامة المصرية والامم الاسلامية على هذه المبادئ القرآنية وتجديد اثرها الكريم البالغ في نفوس ابنائها حتى تكون امة قرآنية حقاً . وتقريب وجهات النظر بين

الفرق الاسلامية المختلفة . والمقصود بذلك بناء المجتمع الاسلامي كله على اساس ديني واحد وحسم الخلافات التي ظهرت في مناسبات مختلفة بين الفرق والجماعات الاسلامية . وفي ذلك يقول احد كتابهم : لن نهذا او نسكن او نستريح حتى نرى القرآن دستوراً نافذاً . فسنجيا لهذه الغاية او نموت فيها ١٣٦ .

الثالث : اقتصادي : وهو تنمية الثروة القومية وحمايتها وتحريرها والعمل على رفع مستوى المعيشة وتحقيق العدالة الاجتماعية بين الافراد والطبقات ، والتأمين الاجتماعي لكل مواطن ، وضمان تكافؤ الفرص للجميع . والمقصود بذلك خدمة العمال الذين كانوا قوام الدعوة في اول نشأتها ، والحد من النفوذ الاجنبي في الاقتصاد المصري ، وتنشيط الصناعات المحلية ، وإقامة نقابات عمالية تعمل على رفع مستوى العمال المالي والاجتماعي . ومن الواضح ان هذا المبدأ اخذت به الحكومات الغربية من فاشستية واشتراكية وديمقراطية . وهو اتجاه حديث في نظام الحكم .

الرابع : اجتماعي خيري : وهو المساهمة في الخدمة الاجتماعية الشعبية ومكافحة الجهل والمرض والفقر والريضة وتشجيع اعمال البر والخير النافعة .

الخامس : وطني قومي : وهو العمل على تحرير وادي النيل والبلاد العربية جميعاً والوطن الاسلامي بكل اجزائه من كل اجنبي ، ومساعدة الاقليات الاسلامية في كل مكان على الوصول

الى حقها وتأييد الوحدة العربية تأييداً كاملاً والسير الى الجامعة الاسلامية سيراً حثيثاً ، ومناصرة التعاون العالمي مناصرة صادقة في ظل مثل عليا فاضلة تصون الحريات وتحفظ الحقوق ويأخذ فيها القوي بيد الضعيف حتى ينهض . واقامة الدولة الصالحة التي تنفذ احكام الاسلام وتعاليمه عملياً وتحرسها في الداخل وتبلغها في الخارج .

السادس : انساني عالمي : وهو المشاركة في بناء السلام العالمي والحضارة الانسانية على اساس جديد من تآزر المادة والروح ، بتقديم مبادئ الاسلام العالمية ، التي تعلن الاخوة وترسم الطريق العملي للوصول اليها، للعالم المتعطش الى حياة روحية فاضلة ١٣٧ .

وسنفضل بعد مبادئهم حسبما شرحت في كتبهم :

١ - البعد عن مواطن الخلاف الفقهي ١٣٨ : ويُقصد بذلك انهم لا ينتسبون الى طائفة خاصة ، وانما يتوجهون الى صميم الدين ولبّه ، ويرغبون في ان تتوحد الانظار ، اذ ان اعظم ما مُني به المسلمون الفرقة والخلاف ، واساس ما انتصروا به الحبّ والوحدة . اما الخلاف في فروع الدين فأمر لا بدّ منه، والاجماع على امر واحد فيها مطلب مستحيل ومتناف مع طبيعة الدين . وانما يريد الله لهذا الدين ان يبقى ويخلد ويساير العصور ويمشي الازمان ، وهو لهذا سهلّ مرّن لين ، لا جمود فيه ولا تشديد ١٣٩ . وحسب الناس ان يجتمعوا على الاسس

٢ - البعد عن هيمنة الكبراء والاعيان : لان هؤلاء

تستهويهم الدعوات القائمة التي تستتبع المغاير وتجر المنافع.

٣ - البعد عن الهيئات والاحزاب : لان هذه بينها تنافر وتناحر ولا تتفق مع اخوة الاسلام ، ودعوة الاسلام عامة تجمع ولا تفرق ، ولا ينهض بها ويعمل لها إلا من تجرد من كل الوانه وصار خالصاً لله .

٤ - التدرج في الخطوات : لأن كل دعوة لا بد لها من مراحل تقطعها قبل ان تصل الى غايتها . وهي مرحلة الدعاية والتعريف بالفكرة ، ومرحلة التنفيذ والعمل والانتاج ١٤٠ .

٥ - الاستعانة بالقوة لتحقيق اهدافهم ، متدرجين من قوة العقيدة والايان الى قوة الوحدة والارتباط ، ثم قوة الساعد والسلاح ١٤١ . ولكنهم سيستخدمون القوة العملية حيث لا تجدي غيرها ، وحيث يثقون انهم استكملوا عدة الايمان والوحدة وهم لا يفكرون بالثورة ولا يؤمنون بنفعها ونتائجها ، وان وقعت فستكون من ضغط الظروف وإهمال مرافق الإصلاح .

٦ - اقامة حكومة دينية : لان الاسلام يجعل الحكومة ركناً من اركانها ، وهو حكم وتنفيذ ، وتشريع وتعليم ، وقانون وقضاء ، ولا ينفك واحد منهما عن الآخر . ولكنهم لا يطلبون الحكم لانفسهم ، فان وجدوا من الامة من يستعد لحمل هذا العبء والحكم بمنهج اسلامي قرآني ، فهم جنوده وانصاره واعوانه . وان لم يجدوا فالحكم من مناهجهم ، وسيعملون لاستخلاصه من ايدي كل حكومة لا تنفذ اوامر الله . ولن

يتقدموا لمهمة الحكم قبل ان تنتشر مبادئهم وتسود . وقد رأوا ان الحكومات التي عاصروها لم تنهض بهذا العبء ولم تظهر استعداداً صحيحاً لمناصرة الفكرة الاسلامية . ولم يكونوا قط مطية لحكومة من تلك الحكومات ١٤٢ .

٧ - يؤمنون بالوحدة العربية والوحدة الاسلامية : ويفهمون الاولى انها « عربية اللسان » . اما الثانية فيؤمنون بها ويعملون لجمع كلمة المسلمين واعزاز اخوة الاسلام ، وينادون بان وطنهم هو كل شبر ارض فيه مسلم . ويرون ان يعمل كل انسان لوطنه وان يقدمه على سواه ، ثم بعد ذلك يؤيد الوحدة العربية باعتبارها الحلقة الثانية ، ثم يعمل للجامعة الاسلامية باعتبارها السياج الكامل للوطن الاسلامي العام . ولا تعارض بين هذه الوحدات بهذا الاعتبار ، فكل منها تشد ازر الاخرى وتحقق الغاية منها . واذا اراد اقوام ان يتخذوا من المناداة بالقومية الخاصة سلاحاً يبيت الشعور بما عداها فهم ليسوا معهم ١٤٣

٨ - يجعلون فكرة الخلافة والعمل لاعادتها في رأس منهاجهم لانهم يرونها رمز الوحدة الاسلامية ومظهر الارتباط بين امم الاسلام . ولكنهم يعتقدون ان ذلك يحتاج الى كثير من التمهيدات وأن الخطوة المباشرة لاعادة الخلافة لا بد ان تسبقها خطوات . فلا بد من تعاون تام ثقافي واجتماعي واقتصادي بين الشعوب الاسلامية كلها ، يلي ذلك تكوين الاخلاق والمعاهدات ، وعقد المجامع والمؤتمرات بين هذه البلاد . ثم يلي ذلك تكوين

عصبة الامم الاسلامية ، حتى اذا استوثق ذلك للمسلمين كان عنه الاجتماع على (الامام) الذي هو واسطة العقد ومجتمع الشمل ١٤٤ .

٩ - موقفهم من الدول الاوروبية : يعتبرون كل دولة اعتدت وتعتدي على اوطان الاسلام دولة ظالمة ، لا بد ان تكف عن عدوانها ، ولا بد من ان يعد المسلمون انفسهم ويعملوا متساندين متحدين على التخلص من نيرها . والاسلام لا يرضى من ابنائه باقل من الحرية والاستقلال فضلاً عن السيادة وعلان الجهاد ولو كلفهم ذلك الدم والمال ، فالموت خير من حياة العبودية والرق والاستذلال ١٤٥ .

هذه هي مبادئ الاخوان العامة والخاصة كما قرروها في قانونهم الاساسي وفي خطب (البناء) وكتبهم .

بقي ان ننظر الى اي حد حققوا هذه المبادئ ، وما المشاريع التي قاموا بها باعتبارها خطوات تؤدي الى هذه الاهداف البعيدة.

الفصل الخامس

اعمالهم

يتبين من الفصل السابق ان من ابرز خصائص الدعوة الشمول لكل مبدأ أوجد حقاً في الدين ام جدّ فيما بعد . وكذلك الحال في نشاطهم ، فقد كانت شاملاً جميع نواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والسياسية والعسكرية سواء أصيلة كانت أم مقتبسة . ولكنهم صبغوا هذا النشاط بصبغتهم الخاصة وألقوا عليه رداء دينياً فبدأ منسجماً مع الدعوة .

واذ كانت الجمعية في اول نشأتها دينية فقد قصرُوا نشاطهم « على تحقيق المقاصد والاغراض التي جاء بها الدين الحنيف وشرح دعوة القرآن الكريم وفهم الاسلام فهماً صحيحاً » ، حتى اذا ذكر الناس ذلك واقتنعوا بفائدته انتج ذلك عملهم به ونزولهم على حكمه ١٤٦ .

وحملهم على سلوك هذا النهج رؤيتهم مصر جميعها بل الشرق العربي كله يزحف الى هاوية من الشك والاباحة والفقر والمجون والذل والقيود التي توضع في يديه باسم الاساور الذهبية ١٤٧ . وجاء في رسالة وجهها البنا الى محمد محمود باشا - في اوائل

الحركة - « مجتمعنا المصري تحطمت فيه المقاييس الخلقية وتدهور مستوى الفضائل تدهوراً يدعو الى الاسف الشديد ، وتظاهرت عليه معاول الهدم من كل جانب . فالشبان والشابات والاسر والافراد والجسوم والارواح كلها محطمة تحطيماً يدعو الى منتهى السرعة في الاصلاح والترميم . وانما يكون ذلك بوسائل كثيرة من اصولها الرئيسية اصلاح منابع الثقافة ، واصلاح القانون ، واستغلال وقت الفراغ ، ومحاربة المنكرات ١٤٨ » .

واذن فلا بد من الوعظ والارشاد وتطهير النفوس من رجسها ، بنشر الثقافة الدينية حتى ينقلب المسلمون من مسلمين جغرافيين الى مسلمين مؤمنين علماً وعملاً حقاً وصدقاً .

وكان هذا فعلاً اول مظهر من مظاهر نشاطهم من حيث الاهمية وسبق العمل ، بل كان ميدان عملهم الرئيسي مدة طويلة من الزمن . ويبدو ان الفرصة كانت مؤاتية لهذا « التبشير » الروحي في مصر ، ولا سيما في مجتمعات العمال والفقراء في الاسماعيلية والريف المصري عامة ، فأقبلت عليه هذه الطوائف اقبالاً شديداً ، ووجدت فيه راحة وطمأنينة ١٥٩ .

وارتكز هذا الوعظ على قواعد : منها تعليم الاميين اصول الصلاة وبعض سور من القرآن لاداء الفريضة . ومنها شرح حقيقة الدعوة الاسلامية وانها تخص على الايمان بنبوة كل من سبقوا محمداً من الانبياء ، والرجوع الى المعاني الروحية التي جاء بها محمد وعيسى وموسى وابراهيم ونوح ومن قبلهم من

الانبياء ١٥٠ ، وانها دين ودولة ومصحف وسيف وعقيدة اجمع لا طقوس واعباد فحسب . ومنها تعويد الشعب احترام الآداب العامة حسبما نصت عليها الكتب السماوية والتزام الاوامر والنواهي كالاقلاع عن البغاء والقمار والخمر وما الى ذلك ١٥١ . ومنها الوقوف في وجه الطغيان المادي الذي صرف الشعوب الاسلامية وابعدها عن زعامة النبي وهداية القرآن ، والعمل على ان تكون قواعد الاسلام هي الاصول التي تبني عليها نهضة الشرق الحديث في كل شأن من شؤون الحياة ١٥٢ . ومنها الحياة الفاضلة المثالية عملياً كالتعاون المادي في شتى مظاهره .

و كيف كانوا يؤدون هذه الرسالة ؟ كانوا اول الامر يخطبون في المساجد إثر صلاة الجمعة ، او يلقون دروساً عامة بعد الصلاة . وبعد ان فتحوا لهم فروعاً اتخذها قائد الدعوة « جامعات يربي فيها الشعب على منهاج التربية الاسلامية ١٥٣ » . وكانت هذه الدروس منظمة لا تنقطع في كل اسبوع ، يتعاون على القاها عددٌ من الاخوان بتوجيه المرشد .

ويذهب بعض كتابهم الى ان البنا رسم خطة واضحة منذ البداية مقتفياً اثر الرسول الذي كانت خطوته الاولى « تكوين الجماعة المؤمنة ثم تطبيق الحكم ١٥٤ » ، وانه ادرك ان الانقلاب لا يأتي ارتجالياً والامم لا تتطور من وضع الى آخر ، إلا باساليب نظامية ومناهج عملية . ولهذا عمل على تربية الناس على فضائل المبادئ وعلى تذوقها ١٥٥ . ويقولون : ان الحركات

الاصلاحية السابقة كانت ناقصة اذ لم تنتبه الى عنصر المنهاج الاسلامي ووجوب اقامة نهضة الامة عليه على اعتبار انه العلاج الوحيد ، وانها لم تفتن الى ان تربي الامة على اصول هذا المنهاج حتى يمكن ان يؤمل من ورائها نجاح كحركة اصلاحية تظهر في امة ذليلة مستعبدة . وان هذه هي اسباب اخفاق الحركات اصلاحية السابقة التي ظهرت في مصر والشرق في العصر الحديث ، وان الامر ظل هكذا حتى جاء العصر الحديث فظهر قيادة الاخوان عقلاً جديداً ومعنى جديداً في قيادة النهضات والامم والشعوب ١٥٦ . ويقولون : ان هذه الحركة تدعو الى منهاج واضح ، الى الاسلامية الخالصة ، والنظام الاسلامي الصافي ودستورية القرآن ، وبناء للحياة الاجتماعية على اسس سليمة في ضمان تربية الفرد تربية صالحة وتنشئة حياة الاسرة في رعاية كريمة من المثل العليا للوصول الى تكوين الامة النموذجية ١٥٧ .

والخلاصة ان هذا المنهج التربوي استغرق نشاط الجماعة عدة سنوات ، وكان بداية الحركة كلها . واغلب الظن ان البنا اراد ان يدور عمله كله على هذا المنهج لا يتعداه الى نواحي اخرى ، وان نجاحه هو الذي فتح امامه افقاً واسعاً ، فوجها ، ثم اخذت الاعمال يستدعي بعضها بعضاً ، الى ان تطورت الى المحنة التي قصمت الظهور .

ومن اعمالهم البارزة في سبيل تحقيق اهدافهم ارسال الرسائل الخاصة الى رؤساء الوزراء المصريين ثم الى الملك ، ثم الى ملوك

العرب وحكامهم وامرائهم ، يبسطون فيها دعوتهم بصراحة تامة .
واحياناً وجهوا رسائلهم الى وزراء معينين في الدولة والى رؤساء
وزراء أجنب ، في موضوعات تتصل بمجر كتهم .

بدأوا هذه الرسائل من عهد محمد محمود باشا اول رئيس دولة
في عهد نشاطهم ، واستمروا فيها في عهد سائر الوزارات المصرية
الى المحنة وبعدها ١٥٨ . لم ينقطعوا عن الكتابة والوعظ والارشاد
في وقت من الاوقات . وحياناً كانوا يشفعون الرسالة بمقابلة
شخصية مع رئيس الدولة او الوزير ، يسترعون نظره الى رسائلهم
وما ورد فيها من مختلف الارشادات . وكانت النعمة على وتيرة
واحدة تقريباً الا في عهود الاضطرابات السياسية فقد كانوا
يقتصرون على الكتابة في موضوعات سياسية فقط .

ومن أوائل رسائلهم رسالة الى محمود محمود باشا يبسطون
فيها حالة الامة المصرية وما تعانیه من جهل ورذيلة وفقر وضعف
خلقي وصحفي وثقافي في كل مكان ، في وقت تنهض فيه الامم
وتتوثب، والعالم يجدّ ويعمل ، « والدواء تعاليم الاسلام وكتاب
الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ١٥٩ » .
ثم يقول : ان أعترض بوجود الانجليز فهم لا يعنيتهم نظامنا
الداخلي . وان جدوا في الاعتراض وجب اعلان الجهاد . وان
احتج بقلق الاجانب اصحاب الملايين فلنتفاهم وايامهم ، وسيرون
في الاسلام وحكمه وتعاليمه ضماناً لحقوقهم وحفظاً لارواحهم .
وان احتج بالعناصر غير المسلمة فقد رأوا عدلنا الكامل في التاريخ

ولكن العقبة الصحيحة هي ان زعماء مصر لم يتشبعوا بالاسلام ولم يتصلوا بتعاليمه ، وعليهم ان يعودوا الى العقيدة والدين . ثم ذكر ان نجاح تركيا في خروجها عن الدين حمل العدوى الى مصر ، وهذه نكبة النكبات . ولذلك فهو يدعو حكومة محمد محمود الى التفرد برفع كلمة الاسلام واتخاذها شعاراً ١٦٠ .

ثم حثه على ان يكون قدوة حسنة باجراء ما يلي : اولاً منع الحفلات الخلية واختلاط الرجال بالنساء وشرب الخمر فيها . وهي حفلات رسمية او شبه رسمية . ثانياً امتناع الوزراء والرؤساء عن ارتياد اندية القمار وميادين السباق ومحافل اللهو . ثالثاً ان يكفوا عن نشر صور سيداتهم وفتياتهم في الصحف . رابعاً اداء الصلاة والامساك عن العمل في اوقاتها . خامساً ان يكون المظهر الغالب في بيوتهم مصرياً اسلامياً ، يتحدثون بالعربية ويتخذون مربيات مصريات ويجعلون المدارس الحكومية اسلامية . سادساً ان يؤاخذ الموظفون المستهترون ١٦١ .

ودعاه الى اصلاح القانون بصيغه بالفكرة الاسلامية، وتأليف اللجان من جديد للنظر في التوفيق بين القوانين القائمة والقوانين الشرعية حتى يشعر الانسان بانه محكوم بقانون الله السماوي لا بقانون الناس الوضعي ١٦٢ .

وعلى هذا المنوال سارت رسائلهم . وفي سنة ١٩٣٦ رفعوا رسالة مطولة الى الملك والنحاس وملوك العرب وحكامهم عنوانها (نحو النور) فصلوا فيها منهاجهم وختموها بقولهم : وانا لنضع

انفسنا ومواهبنا وكل ما نملك تحت تصرف اية هيئة او حكومة
تريد ان تخطو بامة اسلامية نحو الرقي والتقدم ، نجيب النداء
ونكون الفداء .

وفي سنة ١٩٣٨ رفعوا رسالة الى الملك يطلبون فيها حل
الاحزاب المصرية . ووجهوا رسالة اخرى على منوالها الى الاميرين
عمر طوسن ومحمد علي توفيق ١٦٣ . ورأيهم في ذلك ان الاحزاب
المصرية الحالية صناعية اكثر منها حقيقية . والعامل في وجودها
شخصي لا وطني . والحوادث التي كوّنت الاحزاب زالت
وجدت ظروف تستدعي مناهج واعمالاً . والوقت قد حان
لتجتمع الكلمة حول منهاج قومي إسلامي تتوافر على وضعه
وانفاذه القوى والجهود ١٦٤ .

وارسلوا رسالة سنة ١٩٣٨ الى احمد خشبه باشا ، وزير
الحقانية ، يطلبون فيها تجربة الدولة الاسلامية بعد ان جربوا
القوانين المدنية خمسين سنة دون ان تفلح ، واوردوا شهادة
الاوربيين في التشريع الاسلامي ١٦٥ .

وفي رسالة اخرى الى النحاس سنة ١٩٣٨ طلبوا فيها العناية
بالسياسة الخارجية التي تربط مصر بغيرها من الامم الاسلامية
والعربية تمهيداً لعودة الخلافة وتوكيداً للوحدة التي فرضها
الاسلام ١٦٧ .

وفي سنة ١٩٣٩ ارسلوا رسالة الى النحاس باشا يطلبون فيها
ان يكون اعضاء الوفد نماذج صالحة للتمسك بالدين ، وان يعلن

الوفد منهاجه الاصلاحى مستمداً من قواعد اسلامية مشتملاً على
العناية باصلاح التشريع وتوحيد المحاكم فى ظل الشريعة الاسلامية،
واصلاح التعليم ، وتجنيد القادرين على حمل السلاح ، ومحاربة
الموبقات ، واصلاح الاوضاع الاقتصادية ، ومقاومة روح التقليد
الاوروبى ، واصلاح الادارة ، واصلاح السياسة الخارجية .
وأردفوا بدعوة خصوم الوفد الى انتهاج هذا المسلك ١٦٦ .

وتوالى وسائلهم على هذا النمط ، وكلها تدور حول اقامة
حكومة دينية واصلاح المجتمع إصلاحاً شاملاً على قواعد دينية .

واتماماً لهذا النوع من النشاط ألفوا لجنة خاصة تتولى نشر
رسائل الاخوان من المركز العام . وقد نشروا عدداً من
الرسائل منها رسالة (المنهج) ورسالة عنوانها (من أنت ؟) ،
ورسالة عنوانها (تطورات الفكرة الاسلامية واهدافها) ، ورسالة
عنوانها (القرآن والذرة) ، ورسالة عنوانها (التعاليم) ، ورسالة
عنوانها (كيف ندعو الناس) ، ورسالة عنوانها (هل نحن قوم
عمليون ؟) ، ورسالة عنوانها (نحو النور) ، ورسالة عنوانها
(اهدفنا ومبادئنا) ، ورسالة عنوانها (الى اى شيء ندعو الناس)
ورسالة عنوانها (دعوتنا) ، ورسالة عنوانها (بين الامس واليوم)
ورسالة عنوانها (رسالة الجهاد) ، ورسالة عنوانها (رسالة المؤتمر
الخامس) ، ورسالة عنوانها (الى الشباب) ، ورسالة عنوانها
(الاخوان المسلمون تحت راية القرآن) ورسالة عنوانها (المأثورات)
ورسالة تحتوي على (واجبات الاخت المسلمة ، ومنهاج التربية

الروحية ، واللائحة العامة) . ومعظمها بقلم البنا نفسه .

وألفت طائفة من الكتب في (البنا) نفسه ، وفي قضايا الاقطار الاسلامية . منها (مع بعثة الحج) و (الاخوان المسلمون في ميزان الحق) و (قائد الدعوة او حسن البنا ، حياة رجل وتاريخ مدرسة) و (قضايا الاقطار الاسلامية) و (فلسطين والمغرب) و (انهيار الحضارة الغربية) و (الاسلام يزحف و (روح وريحان) و (ثورة الدم) و (رجل الساعة) . واعلن احد كتبهم ، انور الجندي ، عزمه على اصدار كتاب في مطلع كل شهر . ونشرت كذلك (من خطب حسن البنا) و (رسائل حسن البنا) و (مجموعة مقالات حسن البنا) و (مذكرات حسن البنا) ، وما الى ذلك .

ولا بد من الاشارة الى ان هذه الرسائل لاقت رواجاً كبيراً في مصر والاقطار العربية والاسلامية ، وكان لها صدى بعيد في شمالي افريقيا والسودان وسوريا وفلسطين والاردن ، وانها كانت تثير الشعور الاسلامي وتهزه هزاً عنيفاً . ولم تعرف حركة اسلامية في العصر الحديث ما يماثل هذا النشاط في الكتابة ، ولم تعرف اقلاماً نظير هذه الاقلام الملتهبة حماسة وايماناً وبياناً . فلا غرو ان ادى هذا المنحى من النشاط الى تحقيق بعض الاهداف التي حددتها الاخوان في مناهجهم وكسبوا الانصار والمؤازرين من جميع الطبقات . والحق انهم بسطوا دعوتهم بصراحة ووضوح وجلوها على المسلمين جلواً وافياً .

ومن وسائلهم المجلات والجرائد التي كانت اما مؤازرة واما مملوكة لهم . وبدأوا اول الامر بنشر مقالاتهم في مجلات تعالج القضايا الدينية . ثم انشأوا لهم مجلات خاصة بهم ، ثم صدرت لهم جريدة يومية باسم (الاخوان المسلمون) في ٥ مارس سنة ١٩٤٦ = ٣ جمادى الثانية سنة ١٣٧٥ فكانت ذروة نشاطهم الصحفي ، ولسانهم الناطق ، وترجمان حالهم من يُسر وعُسر .

ومن مجلاتهم (المنار) شهرية ، و (التعارف) اسبوعية و (الشعاع) اسبوعية و (النذير) اسبوعية و (الشهاب) . و صدر لهم بعد المحنة (المباحث) و (الدعوة) و (المسلمون) .

كانت جريدتهم اليومية اوسع صحفهم انتشاراً . وقد اوضحوا فيها اغراضهم كما يلي : اولاً : تجلية تعاليم الاسلام وعرضها عرضاً يلائم اسلوب العصر ، ويثبت انها افضل الانظمة للجمعية الانسانية . ثانياً : رد ما يوجه اليها من اتهامات باطلة . ثالثاً : تقريب وجهات نظر اهل القبلة جميعاً من غير دخول مناقشات مذهبية عقيمة .. والعمل على جمع الكلمة حول الحق المشترك بأنزه الاقلام وأنبلها في حدود القاعدة الذهبية « نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا عليه » . رابعاً : تقرير ان الاسلام لا يخاصم ديناً ولا يهضم عقيدة حقها ، ولا يظلم غير المؤمنين به مقدار ذرة ، ولا تثمر تعاليمه حين تسود بين ابناء الوطن الواحد إلا الحب والوئام والتعاون والسلام مهما اختلفت نحلهم وتباينت معتقداتهم . خامساً : رسم الطريق الموصلة الى اعادة

نظام الاسلام وتطبيق احكامه في الحياة الفردية وفي البيت وفي الدولة وفي كل شؤون المجتمع الصالحة ، والتحذير من الخروج عن هذه التعاليم .

وارادوا ان تكون جريدتهم المنبر العام للهيئات الاسلامية والجماعات الاصلاحية على اختلاف الوانها وبلدانها .

وافسحت لهم هذه الجريدة الميدان للتعبير عن آرائهم والتعليق على حاضر العالم الاسلامي . واشترك في الكتابة فيها عدد كبير من الاخوان ومن غير الاخوان . وكانت مقالات البنا تتألق في صدر الجريدة منسجمة العبارات ، قوية البيان ، مملوءة بالنقول من القرآن والحديث والشعر (احياناً) لتنفذ الى اعماق القراء .

ومن ابرز اوجه نشاطهم العناية بالتعليم وفتح المدارس المتنوعة . وقد دعوا الحكومة المصرية في مناسبات كثيرة الى العناية بتدريس الدين في المنهاج العام وتكوين الخلق القومي . ووضعوا امام الناس منهاجاً واضحاً يتوخى اربعة اهداف : العقيدة الصالحة ، ونشر الاخلاق الفاضلة ، وبث روح الاعتزاز بأبجداد الامة وتراثها ، وتهيئة الاختصاصيين في جميع ميادين الاختصاص العلمي لبناء النهضة من جميع نواحيها على اسس علمية . ودعوا اولاً : الى وضع سياسة ثابتة للتعليم تنهض به وترفع مستواه وتوحد انواعه المتحدة الاغراض والمقاصد ، وتقرب بين الثقافات المختلفة في الامة ، وتجعل المرحلة الاولى من مراحلها خاصة بتربية الروح الوطني الفاضل والخلق القويم . ثانياً - العناية بالتاريخ

الاسلامي والتاريخ الوطني والتربية الوطنية وتاريخ حضارة الاسلام . ثالثاً - تقرير التعليم الديني مادة اساسية في كل المدارس على اختلاف انواعها كل بحسبه وفي الجامعة ايضاً . رابعاً - اعادة النظر في مناهج تعليم البنات ووجوب التفريق بينها وبين مناهج تعليم الصبيان في كثير من مراحل التعليم ١٦٨ . خامساً - ان ينحى عن التعليم من عُرف بفساد عقيدته وميوعة في اخلاقه ووجود لقوميته سادساً - ان يعنى بالعلوم الدنيوية لتصل الامة الى ما تحتاج اليه من مخترعات ومكتشفات وللوقوف على اسرار الكون ودقائقه ١٦٩ .

وقد كرروا هذه المبادئ في كتبهم وواجهوا بها الحكومات المتعاقبة ووزراء المعارف .

ورأوا بعد ذلك ان يساهموا هم مساهمة فعالة في نشر التعليم . فانشأوا لجنةً للعناية بالثقافة تابعة للجنة التربية بالمركز العام ١٧٠ . وألفوا لجنة لانشاء مدارس ابتدائية وثانوية وفنية وخاصة للبنين والبنات تكون ذات طابع خاص تتميز به على سائر المدارس الحرة ١٧١ ، بقصد صبغ الحياة بالصبغة الاسلامية القوية التي تهديهم الى تفهم مجد اسلافهم وتدفعهم الى اعادته ١٧٢ .

وحققوا من ذلك اولاً : فتح عددٍ من المدارس لمحو الامية وتنمية الثقافة الدينية بالمجان . ثانياً : مكاتب لتحفيظ القرآن نهاراً . ثالثاً : مدارس ليلية لتعليم العمال والفلاحين . رابعاً : اقساماً خاصة للراسبين في الامتحانات العامة يتولى التدريس فيها اساتذة

اخصائون من خريجي الجامعة . خامساً : شعباً لتعليم الغلمان الذين حرموا التعليم لاستغلالهم بالصناعات . سادساً : معاهد لتعليم البنين - معاهد حرّة اي خصوصية - سابعاً : مدارس امهات المؤمنين لتعليم البنات . ثامناً : دوراً للصناعة ملحقه بالمعاهد يتعلم فيها الذين لا يستطيعون اتمام العلم .

وليس هناك احصاء عن عدد هذه المدارس المتنوعة ولا عدد طلابها واساتذتها . ولكن هذه المدارس كانت تقوم الى جانب الفروع بحيث لا يخلو فرع من مؤسسة علمية . وذكر ان عدد طلاب احدى مدارس محو الامية بلغ مائة عامل ١٧٣ . والراجح ان الاقبال على هذه المدارس كان كبيراً لا سيما فيما كان منها في بيئات العمال والفلاحين ١٧٤ . وحين وضعت الحكومة منهاجاً لمكافحة الامية في اثناء تولي العشماوي باشا وزارة المعارف سنة ١٩٤٦ طلب الى الاخوان ان يساعدوا الوزارة في تنفيذ خطتها اعترافاً منها بنفوذهم ١٧٥ .

وبذلوا نشاطاً متعدد الجوانب في الشؤون الاجتماعية . وانشأوا لهذا الغرض « قسم البرّ والخدمة الاجتماعية » وسجلوه في وزارة الشؤون الاجتماعية .

وسلكوا في اداء الخدمة مسالك شتى ، بعضها مألوف وبعضها غير مألوف . فمن ذلك انهم نظموا لقاء محاضرات تدور معظمها حول الثقافة الدينية، مثل (الدين والدنيا) و(لماذا آمن الشباب بدعوة الاخوان المسلمين ؟) ونظير ذلك . واسسوا جماعة للعناية

بنهضة القرى المصرية ، والاصلاح الريفي . ووضع احد الاخوان تصميماً لعزبة (مزرعة) حديثة في ارضه . وشيدوا في احدى القرى أربعة مدافن واسعة لدفن الفقراء والمساكين . وقرروا اطعام مائتي فقير اسبوعياً خلال الثلاثة اشهر المباركة في احدى القرى . وتبارت الشُعَبُ في اطعام الفقراء واثارة القرى واخراج الزكاة في شهر رمضان . وبلغ ما اطعمته الشُعَبُ ٦٠٠ فقير في اثناء شهر . وغنوا بالمصالحة بين المتخاصمين في القرى . وتولت احدى اللجان احصاء الاطفال والمشردين والاسر الفقيرة لتشغيل الاطفال في صناعات تتفق واسنانهم واعانة العجزة الذين لا عائل لهم . ورأوا في احدى حفلات المولد النبوي منكرات ترتكب فاحتجوا عليها لدى الحكومة .

ومن جهة اخرى اقبلوا على انشاء المساجد في مختلف انحاء القطر . وكان بعض الاعضاء يتبرع بالارض لاقامة مسجد ، وبعضهم يساهم مالياً في نفقات البناء . وكان الى جانب معظم الفروع مساجد ملحقة بها ١٧٦ .

واشتركوا في كثير من الحفلات إما للدعوة الى مبادئهم واما لاثبات وجودهم . ومن ذلك ان لجنة من المدرسين اجتمعت في طنطا لتصحيح اوراق الامتحانات ، فدعاهم الفرع الى حفلة تكميمية ودعا معهم المختصين بشؤون التعليم كالمراقبين والمفتشين والنظار والمدرسين . واحتفل الاخوان بهم وتكلموا باسهاب عن دعوتهم وعالجوا قضية المعلمين ١٧٧ . وانتقل الملك مرة من

القاهرة الى الاسكندرية فخرجت جواله الاخوان تحييه في جميع المحطات التي وقف عليها القطار ١٧٨ . وحين عقد المؤتمر البرلماني في مصر سنة ١٩٣٨ اقام الاخوان لاعضاء الوفود العربية احتفالاً كبيراً خطب فيه البنا ١٧٩ . وأقاموا مرةً حفلاً كبيراً بدارهم لعمال شركة البحيرة وعمال محطة العطف الكهربائية وشرحوا لهم اهداف الدعوة . وألفوا لجنة لتنظيم شؤون العمل وتنفيذ مبادئ الاخوان ١٨٠ . وهكذا توالى حفلاتهم التكريمية على هذا المنوال ، وفي شتى المناسبات ، فكسبوا بذلك عدداً من الانصار والمؤازرين . ولعل من اطرف هذه المناسبات مناسبة انتخاب بطريك للاقباط للكراسة المرقسية هنا فيها البنا البطريك ١٨١ .

واشتركوا في اقامة حفلات تمثيلية . وكان للمركز العام فرقة تمثيلية خاصة لتمثيل الروايات التي تلائم روح الجماعة ، مثل بلال ، الكفاح ، عمر بن عبد العزيز ، المعز لدين الله الفاطمي ، اليتيم ، وما الى ذلك ١٨٢ .

وكان لهم نشاط ملحوظ في الحركات الكشفية مما سيرد ذكره حين التحدث عن نشاطهم العسكري .

واظهروا نشاطاً في عقد المؤتمرات الدورية والخاصة لعرض ما قاموا به من اعمال ، ومراجعة النظر في مناهجهم ، او لاستعراض الحالة العامة ونشر القرارات او خلاصتها على الناس . وتنص المادة السادسة والخمسون من (قانون النظام الاساسي) على ان يعقد كل سنتين مؤتمر عام من رؤساء شعب الاخوان ،

ومن اراد من الاعضاء ، بدعوة من المرشد العام ، بمدينة القاهرة او باي مكان يجده ؟ ويكون الغرض منه التعارف والتفاهم العام في الشؤون المختلفة التي تتصل بالدعوة ، واستعراض خطواتها في هذه الفترة . وظلت هذه المؤتمرات متواصلة منذ تأسيس الجماعة الى الحنة ، وان كانت القرارات التي اتخذت في المؤتمرات الاربعة الاولى لم تَشع .

ولمعرفة طبيعة هذه المؤتمرات يُذكر ان المؤتمر الخامس الذي عقد سنة ١٩٣٨ ، بمناسبة مرور عشرة اعوام على تأسيس الاخوان ، استعرض فيه البنا نشأة الجماعة وبسط خصائص الدعوة مفصلاً وشرح منهاجها شرحاً وافياً .

وفي المؤتمر السادس الذي عقد سنة ١٩٤١ قرروا اولاً : ان يدعوا الملك فاروق ملوك المسلمين ورؤساءهم الى مؤتمر . ثانياً : ان تعتبر الحكومة البريطانية اقامة جيوشها في مصر رهناً بالضرورات الحربية . ثالثاً : دعوة الحكومة المصرية الى مضاعفة استعدادها العسكري ١٨٣ .

وعقدوا سنة ١٩٤٥ - إثر انتهاء الحرب الكبرى الثانية - مؤتمراً نادوا فيه بالحقوق القومية ووضحوا الغاية والوسيلة . ثم عقدوا سبعة مؤتمرات شعبية في القاهرة وعواصم المديرية ، وانتشرت بعثاتهم من الطلاب في القرى والارياف لارشاد المواطنين الى الحقوق والواجبات .

وعقدوا سنة ١٩٤٦ اجتماعاً عاماً قرروا فيه اولاً : الولا

للملك . ثانياً : قطع المفاوضات مع بريطانيا . ثالثاً مطالبه
الحكومة بإبطال معاهدة ١٩٣٦ . رابعاً مطالبة بريطانيا بالجلء
التام وعرض القضية المصرية على مجلس الامن وتنظيم وسائل
الجهاد . خامساً : عقد معاهدة بعد الجلء . سادساً : الاستعداد
للجهاد . سابعاً : كل حكومة لا تتعاون مع الامة لتحقيق
اهداف البلاد تكون اداة استعمارية . ثامناً : تأليف لجنة من
الاخوان لرفع هذه القرارات الى الملك والجامعة العربية
والسفارات والعمل على تنفيذها ١٨٤ . ودرجوا ايضاً على عقد
مؤتمرات لطلبة الاخوان كان يتكلم في بعضها البنا .

ويتبين من هذا ان المؤتمرات الدورية والخاصة كانت وسيلة
لتنقية الحركة وتجديد قواها وبسط مبادئها واستعراض سيرها ،
وانها كانت من الوسائل الفعالة في نشر الدعوة وكسب الانصار
لا سيما اذا اخذ بعين الاعتبار ان القرارات والخطب كثيراً ما
كانت تنشر في كراسات او في الصحف ، ليطلع عليها الرأي
العام .

وتوجهوا بنشاطهم نحو المرأة المسلمة ، منذ بدء الدعوة في
الاسماعيلية ، فكوّنوا فيها (معهد امهات المؤمنين) لتربية البنات
واعدادهن ليكن اخوات مسلمات . وكوّنوا فيما بعد فرق
(الاخوات المسلمات) ليقمن بما يقوم به الاخوان المسلمون في
الحقل النسوي على الوجه الذي يتناسب مع حالتها . ولا يعرف
بالضبط ما وجوه النشاط التي عهد الى المرأة القيام بها . ولكن

الظاهر انهم أرادوا تعليمها وتربيتها لتكون ربة بيت ولتعرف حقوقها وواجباتها في المجتمع ذاكرين ان الشريعة كرمتها ورفعت من شأنها وقررت لها من الحقوق مثل ما قررت للرجل تماماً . ولا فرق بين الرجل والمرأة في الاسلام في الحقوق والواجبات العامة ١٨٥ . ورأوا من الواجب ان ترشد قيادة الاخوان المرأة الى هذه المعاني التي قررها الاسلام بعد ان سيطرت عليها مفاتن الحضارة الغربية وتسلط عليها دعاة المدنية الزائفة فصوروا لها الاسلام على انه رجعية وتأخر ، وآدابه وتقاليده على انها جمود ، وانه يجافي واقع الحياة ويتنافى مع كل الحقوق الانسانية ، وانه سلبها كل ما يجعلها انساناً حياً يستمتع بحقوق الاحياء ١٨٦ .

وقرروا ان حركتهم هذه اول حركة نسوية في مصر قامت على أساس متين يهدف الى تحرير المرأة تحريراً حقيقياً ، ويعطيها كل حقوقها ، ويرتقي بملكاتها ، ويهذب كل مواهبها ، ويربها على اسمى ما عرفت الانسانية من مبادئ الشرف والفضيلة والعفاف ١٨٧ .

ويظهر انهم اسسوا عدداً من الفروع للأخوات المسلمات ، وان نشاط الاخوات ظلّ محدوداً في نطاق العلم والعمل الاجتماعي . ففي مناسبة ليلة الاسراء والمعراج مثلاً في ٢٦ يونيو ١٩٤٦ أقامت الاخوات في القاهرة حفلاً للسيدات ١٨٨ . وكن يحضرن في القاهرة دروساً اسبوعية في دار الاخوان بالسيدة زينب .

وعلى كل فانه بما يسترعي النظر ان يبلغ نشاط الاخوان الى هذا المدى ، وان يُعرف مركز المرأة الخطير في المجتمع ، وان تُمد يدُ لانتشالها من الحالة التي تعانيها .

والتفتوا ايضاً الى الناحية الصحية ، فاقبلوا على تأسيس المستشفيات والمستوصفات في مختلف المدن لمعالجة المرضى من مختلف الاديان ١٨٩ . وليس لدينا احصاء عن عددها سوى قولهم انه كان لهم اكثر من عشرين مستوصفاً ومستشفى ١٩٠ . لقد حاولوا ان يكثرُوا منها لسدّ الحاجة في بيئات العمال القرويين . وذكر ان مستوصف طنطا عالج خلال سنة واحدة ٣٧٧٤ مريضاً من مختلف الاديان ١٩١ .

واتجهوا نحو الشركات فاسسوا (شركة المعاملات الاسلامية) وسجلوها في المحكمة المختصة وجعلوا رأس مالها ٣٠ الف جنيه ، (وشركة الاخوان للغزل والنسيج) يقصدون منها احياء الاشتراكية الاسلامية وتحرير الاقتصاد القومي ورفع مستوى العامل المسلم والاتجاه نحو المثالية في الاتقان والفن ، وحشوا العمال على المساهمة فيها ، و (شركة التجارة والاشغال الهندسية) في الاسكندرية ذات ٣٥٠٠ سهم برأس مال قدره ١٤٠٠٠٠ جنيه ، و (شركة المطبعة الاسلامية والجريدة اليومية) ، للأولى رأس مال اولي قدره ٧٠٠٠٠٠ جنيه ، وللثانية ٥٠٠٠٠٠ جنيه . وكل منهما منفصلة عن الاخرى . وتأسست هذه الشركة سنة ١٩٤٥ كي تخوض غمار حرب المبادئ والكلام التي بدأت اثر

انتهاء الحرب الكبرى الثانية بالموجات المتلاحقة من المطبوعات على اختلاف ألوانها ومناهجها . وذكر الاخوان في مقدمة البيان الذي اصدروه عن هذه الشركة انهم ليسوا في حاجة الى الفيض في بيان الفوائد التي تجنيها الفكرة الاسلامية من قيام هذه المؤسسة ، فان الصحافة في هذا العصر هي السلطة الرابعة التي تتحكم في توجيه الدول وتكوين الرأي العام . وابعادوا لسواهم من رجال النهضة الاسلامية الاشتراك معهم في هذا المشروع ، مبينين انه فضلاً عن كونه خدمة جليلة للدعوة الاسلامية ، فهو طريق ناجح لتثمين المال وتنميته والاتجار به تجارة رابحة . واعتبروه ثاني مشروع من مشروعاتهم الضخمة التي تكشف عن مقدرتهم وجميل غيرتهم على دعوتهم ١٩٢ .

وصدرت الجريدة اليومية - كما ذكر في فصل سابق - وراجت رواجاً كبيراً في مصر وسائر البلدان العربية . ولم تقف عن الصدور الا عند وقوع المحنة . ولكنها تعرضت احياناً لمصادرة الحكومة ومراقبتها الشديدة لا سيما إبان المفاوضات المصرية - البريطانية وقضية فلسطين ، حين كانت الاخوان يفتقون في طليعة الهيئات الواعية الى قطع المفاوضات ، والغاء المعاهدة ، والقتال الى النهاية في فلسطين .

وكانت شركاتهم جميعها ، وعددها سبع شركات ١٩٣ ، ناجحة نجاحاً كبيراً ، اذ كانوا يشركون العمال في رأس المال لاول مرة في تاريخ الشركات في مصر على ما يرجح - وقيمون

لهم المساجد والاندية والمدارس . وذهبوا الى حد تأسيس قسم خاص بالعمال في المركز العام لرعاية مصالحهم ، وتشجيعهم على الاشتراك في اسهم الشركات التي يعملون فيها ، ولمعرفة الصناعة التي تحتاج اليها البلاد وتنجح كي يحثوا الاغنياء على انشاء مصانع لها ١٩٤ .

واسترعى هذا النشاط الاقتصادي الانظار ، وعجب بعض الناس سائلين ما لهذه الجماعة والشركات، وراحوا يقولون. وردّ الاخوان على ذلك بأن جمعيتهم التي قامت بهذه الاعمال العظيمة لم تأخذ إعانة حكومية مرة من المرات ولم تستعن بمال هيئة من الهيئات اللهم الا خمسمائة جنيه تبرعت بها شركة قناة السويس للجمعية بمناسبة عمارة المسجد والمدرسة بالاسماعيلية . وذكروا ان اموالهم الخاصة أنفقت باخلاص فأثرت وبوركت وأتت اكملها ١٩٥ .

وبرّر الاخوان اقبالهم على المشاريع الاقتصادية بان الاسلام يُعنى بتدبير المال وكسبه من وجهه لقول النبي « نعم المال الصالح للرجل الصالح » ١٩٦ . والواقع انهم استفادوا من الاطلاع على الاشتراكية الغربية التي تقوم مناهجها على نصرة العامل والزارع ، واقتبسوا كثيراً من مبادئها ١٩٧ ، فدعموا بذلك نفوذهم في بيئات العمال والقرويين ، وأمنوا شر الانهيار الذي كثيراً ما ينتج عن الافلاس المالي . ومن جهة اخرى افسحوا مجالاً لظهور رأس المال الوطني في الحقل الاقتصادي تحقيقاً

لمبادئهم السياسية والتحريرية. ولا شك في انهم استفادوا من ذلك كثيراً من الناحية الاقتصادية والسياسية على السواء .

وللدلالة على اتجاههم نحو الاشتراكية القومية يذكر انهم اولاً : اعتبروا الثروات العامة كالمعادن وغيرها يجب ان تخضع لتشريع يصون مصلحة الامة . ولا يجوز للدولة ان تمنح استثمارها لاية شركة اجنبية ، بل عليها ان تتولى ذلك بنفسها ، فإن عجزت وجب ان تسلم ذلك الى شركات تنشأ باموال عربية . ثانياً : ان تمنع الدولة تملك الاجانب للعقارات . ثالثاً : ان تمنع كل ما يؤدي الى الاحتكار وتضخم الثروات عن غير طريق الجهد الشخصي والعمل المفيد المشروع . رابعاً : ان تؤخذ الزكاة وتنظم ليستعان بها على القضاء على الفقر والامراض الاجتماعية . خامساً : للدولة عند الحاجة الماسة ان تتدخل في الثروات العامة والخاصة والمرافق الكبرى بما تقتضيه مصلحة الامة العليا ، على ان لا يقضي ذلك على الملكية الفردية والتنافس الاقتصادي .

وقرروا ما يماثل ذلك فيما يتعلق بالعمال كضمان العيش لهم ونسير العمل لكل فرد وتأمين الاجر الذي يتناسب والكفاية، مع ضمان الحد الادنى وتحديد اوقات العمل وصيانة العقيدة والاخلاق وضمن المستقبل عند المرض والعجز ومنع استخدام الاحداث وتحریم تشغيل النساء إلا فيما يتفق مع طبيعتهن ووظيفتهن الاجتماعية . وقرروا ان يكون لكل فلاح حد ادنى للملكية ، وحق الحصول على سكن صالح ، وتأمين الصحة

والغذاء الكافي والثقافة المفيدة والجو الروحي ١٩٨ .

ومن ابرز نواحي نشاطهم توجيه الاعضاء نحو « الجهاد »
بفهمه الاسلامي العام . وقد صنفوه اصنافاً : فمنه عاطفة حية
قوية تفيض حناناً الى عز الاسلام ومجده وتهفو شوقاً الى سلطانه
وقوته وتبكي حزناً على ما وصل اليه المسلمون من ضعف .
ومنه ان يودي الهم الدائم والجوى اللاحق الى التفكير الجدي في
طريق النجاة . ومنه التنازل عن بعض المال ومطالب النفس لخير
الاسلام وبني المسلمين . ومنه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .
ومنه ان يكون المرء جندياً لله يقف له نفسه وماله لا يبغي
على ذلك من شيء ، فاذا هُدد مجد الاسلام وديست كرامته
ودوى نفيр النهضة لاستعادة مجد الاسلام كان اول مجيب للنداء
واول متقدم للجهاد . ومنه اقامة ميزان العدل واصلاح شؤون
الخلق وانصاف المظلوم والضرب على يد الظالم مهما كان مركزه
وسلطانه . ومنه جب المجاهدين من القلب والنصح لهم بمحض
الارادة ١٩٩ .

وسلكوا الى تحقيق هذا الهدف ثلاثة سبل ، الاول : العناية
بالالعاب الرياضية على جميع انواعها من كرة القدم وكرة السلة
والمصارعة والملاكمة يشترك فيها العمال والطلبة على السواء .
والثاني انشاء فرق الجواله - الكشفة - في مختلف المراكز .
وقد كانت هذه الجواله تقوم باستعراضات في الاحياء وعند
الاستقبالات والمهرجانات ، ولا يُعرف بالضبط عدد جميع الاعضاء

في هذه الفرق ولا عدد الفرق نفسها. وتذكر مصادر الاخوان ان عدد الجواله بلغ اربعين ألفاً ٢٠٠. ولكن ذكر مرة ان الف جوال من ثلاثة مراكز فقط قامت باستعراض في احياء القاهرة ٢٠١. واذا صح اتخاذ هذا الرقم مقياساً فلا بد من ان يكون عدد الجواله كبيراً جداً. ويذكر الذين شهدوا بعض الاستعراضات في المناسبات العامة ان عدد المشتركين فيها كان كبيراً، وانهم كانوا على جانب عظيم من التنظيم. وقد جعل للجواله مفتش عام وسكرتير اعلى للاشراف عليها وتنظيمها ٢٠٢. والثالث: انشاء الكتائب على غرار الفتوة او الجندية الاهلية للشبان القادرين على القتال. وكان شعار هذه الكتائب « امر وطاعة من غير تردد ولا مراجعة ولا شك ولا حرج ٣٠٣ ». وكان على المشتركين فيها ان يبايعوا رؤساءهم على نصره الدين وينخرطوا. وكانت لكل مركز كتبية، والمنطقة رهوط ذات طوابير. وكانوا يقيمون معسكراً عاماً ليتدرب فيه طلاب الاخوان لمدة محدودة ٢٠٤.

وقد سئلوا الى اي حد نقلوا نظامهم هذا عن الغرب؟ فأجابوا بأن أساس فاشية موسوليني ونازية هتلر وشيوعية ستالين أساس عسكري بحت. والفرق بين هذه وبين عسكرية الاسلام فرق عظيم. فان الاسلام الذي قدس القوة هذا التقديس هو الذي آثر عليها السلم، فقال الله تعالى بعد آية القوة: « واب جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله »، وهو الذي

حدّد ثمن النصر ، وهو الذي وضع اساس القانون الحربي بنبذ الحائنين وعدم الغدر والفلّ والتمثيل ، وعدم قتل المرأة والطفل والشيخ الكبير ، وعدم قطع شجرة مثمرة او عقر بعير الا للأكل ، وعدم اتباع مدبرٍ ولا اجهازٍ على جريح .. فالعسكرية في الاسلام : بوليس العدالة وشرطة القانون والنظام ٢٠٥ .

وهم يبرّرون تشكيل هذه الكتائب بإخفاق السياسة . فهذا الاخفاق حوّل الامة الى كتائب الاخوان وقيادتهم . وهكذا فرضت مبادئُ الاخوان وقيادة الاخوات نفسها فرضاً ، اذ كانت نتيجة طبيعية لتطور افكار الامة ، وكانت علاجاً لازماً قدمته الحوادث ٢٠٦ .

وليس ثمة شك في انهم آمنوا بمبدأ القوة او (الفتوة) منذ البداية ليحققوا مبدأ نصوا عليه في نظامهم الاساسي ، وهو العمل على تحرير وادي النيل والبلاد العربية جمعاء ، والوطن الاسلامي بكل اجزائه من كل سلطان اجنبي ومساعدة الأقليات الاسلامية في كل مكان على الوصول الى حقها ، وتأيد الوحدة العربية ، والسير الى الجامعة الاسلامية ، ومناصرة التعاون العالمي مناصرة صادقة في ظل مثل عليا فاضلة ٢٠٧ . وليس من المعقول ان يضعوا هذا الهدف نصب عيونهم دون ان يتخذوا الوسائل الى تحقيقه . ولكنهم تريثوا طويلاً ، وقضوا مدة في تلقين الشعب دروس التضحية والصبر وآيات الجهاد والبذل ٢٠٨ . واعلنوا صراحة انهم سيستخدمون القوة العملية حين لا يجدي

غيرها ، وحين يثقون انهم قد استكملوا عدة الايمان والوحدة ٢٠٩ . ولا يعرف على وجه اليقين اوصلوا الى هذه المرحلة سنة ١٩٤٨ حين اغتيل النقراشي باشا واتهموا بتدبير مؤامرة لقلب نظام الحكم . ولكن الراجح انهم وصلوا اوج قوتهم في تلك السنة ونفذ صبرهم وودّ فريق منهم - المتطرفون - ان يقلبوا النظام السائد ويسيطروا على الدولة .

ومهما يكن من شيء فان كتابتهم عادت الى نشاطها سنة ١٩٥١ اثر الفاء المعاهدة المصرية - البريطانية . وقام رجالها بتفتيش ركاب السيارات على الطريق المؤدية الى منطقة القنال وحجزوا عدداً من البطاقات التي تخول حاملها دخول المعسكرات البريطانية لمنعهم من التعاون مع الانجليز ٢١٠ . وذكر ان القوات البريطانية شددت من اجراءاتها للحفاظ على الامن اثر المعلومات التي وردت اليها من ان جماعة من الاخوان اعتزموا القيام بحرب عصابات ضد الانجليز ، كما ذكر ان لديهم مدرسة للتدريب على القتال في الزقازيق . وهذا يدل على ان نظام الكتائب ظل نافذاً الى ما بعد المحنة . وقد قام خلاف حول سيطرة الحكومة الوفدية على الكتائب جميعها ، سواء أمن الاخوان كانت ام من غيرهم ، وألفت لجنة من اربعة لواءات من اصحاب الخبرة برئاسة احد وزراء الدولة للاشراف على تدريبها .

وربما يصح ان تضاف وسيلة رابعة الى تحقيق اهدافهم هي

الدعوة الى تقوية الجيش المصري بكتابة المقالات المتواصلة في جريدتهم حول هذا الموضوع كي يحمي هذا الجيش استقلال البلاد وحيادها ٢١١ . وذهبوا الى ابعاد من ذلك فطلبوا من الجامعة العربية ان تعمل على توحيد نظام الجيوش العربية واساليب تدريبها، اذا كان البحث في امر توحيدها متعذراً في هذه الظروف ٢١٢ .

الفصل السادس

الافواه والسياسة

١ - لم ينفرد الاخوان في فهم الاسلام انه دين ودولة . فقد سبقهم الى ذلك ، في العصر الحديث الوهابيون - اتباع محمد بن عبد الوهاب - قبل نحو قرن ونصف ٢١٣ .

واغلب الظن ان الاتراك في اثناء الخلافة العثمانية كانوا يذهبون هذا المذهب . وهم لم يقاوموا الحركة الوهابية لمخالفتهم اياها في هذا الفهم ، ولكن لأنهم اعتبروها حركة عصيان وتمرد على دولة الخلافة .

وربما كانت جميع الدول الاسلامية القديمة على هذا المذهب ايضاً ، مع فارق رئيسي واحد ، وهو ان تلك الدول كانت قد قطعت شوطاً بعيداً في التشريع ، واستعانت بالفقهاء في استنباط القوانين ، اولئك الفقهاء الذين لم تعجزهم الحيلة عن التوفيق بين الدين والدنيا باللجوء الى النص حيناً ، والى القياس حيناً آخر ، والى الاجتهاد حيناً ، والى الذكاء الانساني الذي يحل كل مشكلة عند الضرورة . اما الاخوان ومثلهم السلفيون والوهابيون ٢١٤ فقد ارادوا العودة الى مصدرين محدودين لا ثالث لهما ، هما القرآن

والحديث . وبذلك يقول البنا : « يعتقد الاخوان ان التعاليم الاسلامية ومعينها هو كتاب الله وسنة رسوله ، اللذين ان تمسكت بهما الامة ، فلن تضل ابداً ، وان كثيراً من الآراء والعلوم التي اقصت بالاسلام وتلونت بلونه تحمل لون العصور التي اوجدتها والشعوب التي عاصرتها . ولذا يجب ان نستقي النظم الاسلامية التي تحمل عليها الامة من هذا المعين الصافي ، وان نفهم الاسلام كما يفهمه الصحابة والتابعون من السلف الصالح ، وان نقف عند هذه الحدود الربانية النبوية لا نقيّد انفسنا بغير ما يقيدنا الله به ، ولا نلزم عصرنا لون عصر لا يتفق معه ، والاسلام دين البشرية جمعاء ٢١٥ » فهم اذن يريدون العودة الى المنابع الاصلية وحدها، وقاطعين الزمن بمئاته الطوال التي تبلغ نحو اربع عشرة عدداً .

والواقع ان الاخوان ارادوا هذه العودة حتى ان البنا سمي اسلامهم « اسلام الاخوان المسلمين » للدلالة على تحررهم بما التزمه غيرهم في كثير من العصور من نعوت واوصاف وحدود ورسوم من عند انفسهم ٢١٦ .

٢ - واذا كان الاسلام شاملاً شؤون الناس في الدنيا والآخرة فهو اذن « عقيدة وعبادة ووطن وجنسية ودين ودولة وروحانية وعمل ومصحف وسيف » بتعبير البنا نفسه ٢١٧ . وعلى ذلك فالسياسة جزء لا يتجزأ من الاسلام ومن منهاج الاخوان .

وقد اثار تدخل الاخوان في السياسة سؤال بعض الناس : ما لهم وللسياسة ؟ أم رجال دين أم رجال سياسة ؟ وهذا ما يسأله

كثيرون اليوم . وردوا هم على ذلك بانه اذا كان الاسلام شيئاً غير السياسة والاجتماع والاقتصاد والقانون والثقافة فما هو إذن ؟ أهو مجرد ركعات وألفاظ ٢١٨ ؟ وقالوا : عجيب ان تجد الشيوعية دولة تدعو اليها وتنفق في سبيلها وان تجد غيرها من النظم كذلك ايماً تجاهد لها ولا تجد حكومة اسلامية تقوم بواجب الدعوة الى الاسلام الذي جمع محاسن هذه النظم جميعاً وطرح مساوئها ، وتقدمه لغيرها من الشعوب نظاماً عالمياً فيه الحلّ الصحيح لكل مشاكل البشرية ، مع ان الاسلام جعل الدعوة فريضة لازمة واوجبها على المسلمين شعوباً وجماعات قبل ان تخلق تلك النظم « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر اولئك هم المفلحون ٢١٩ »

وقالوا : انا نفهم الاسلام عقيدة فنقوى بعقيدته ، وشريعة فنطالب بانقاذ شريعته ، ودستوراً لا نؤمن في الدنيا بغير عدالته ، وجامعة نجتمع عليها ، ومبادئ لا نعيد عنها ، وغاية لا نعمل لغيرها ٢٢٠ .

وقالوا : ندعوكم الى الاسلام وتعاليم الاسلام واحكام الاسلام وهدى الاسلام . فان كان هذا من السياسة عندهم فهذه سياستنا ٢٢١ .

٣ - وما منهاجهم السياسي ؟ وكيف توسلوا الى تحقيقه ؟
١ - لا شك في ان « الحكومة الدينية » هي في رأس المنهاج . وقد افصحوا عن ذلك في جميع مؤلفاتهم ومنشوراتهم

بصورة لا تقبل الشك . قال البنا في احدى خطبه التي شرح فيها الدعوة : « اتصل الاخوان بكتاب الله فاستلهموه واسترشدوه ، فايقنوا ان الاسلام هو هذا المعنى الكلي الشامل ، وانه يجب ان يهيمن على كل شؤون الحياة ، وان تصطبغ جميعها به ، وان تنزل على حكمه وان تسير قواعده وتعاليمه ، وتستمد منها ، ما دامت الامة تريد ان تكون مسلمة اسلاماً صحيحاً . اما اذا اسلمت في عبادتها وقلدت غير المسلمين في بقية شؤونها فهي امة ناقصة الاسلام ٢٢٢ . وقال في موضع آخر : .. الاسلام الذي يؤمن به الاخوان المسلمون يجعل الحكومة ركناً من اركانه ، ويعتمد على التنفيذ كما يعتمد على الارشاد .. وقد جعل النبي الحكم عروة من عرى الاسلام . والحكم محدود في كتبنا الفقهية من العقائد والاصول لا من الفقهيات والفروع . فالاسلام حكم وتنفيذ ، كما هو تشريع وتعليم ، كما هو قانون وقضاء لا ينفك واحد منها عن الآخر . والمصلح الاسلامي ان رضي لنفسه ان يكون فقيهاً مرشداً يقرر الاحكام ويرتل التعاليم ويسرد الفروع والاصول ، وترك اهل التنفيذ يشرعون للامة ما لم يأذن به الله ويحملونها بقوة التنفيذ على مخالفة اوامره ، فان النتيجة الطبيعية ان صوت هذا المصلح سيكون صرخة في واد ، ونفخة في رماد » . ٢٢٣

وواضح من هذا انهم لا يقنعون ان ينصّ في صلب الدستور - كما هو الحال في الدستور المصري - على ان دين الحكومة الاسلام ، بل ان يكون التشريع كله اسلامياً اولاً ، وان

يكون التشريع العملي والتنفيذي اسلامياً ثانياً . ولهذا فهم يطالبون بصنع الحكم كله صبغة دينية .

ومن المعروف ان الدستور المصري مدني استمدت أصوله من الدساتير الغربية . اما القانون الذي ينظم الاحوال الشخصية للمسلمين وحدهم - اذ للطوائف الاخرى قوانينها الخاصة بأحوالهم الشخصية كذلك - فستمد من الشريعة الاسلامية . واذن فيكون امام الاخوات ثلاثة امور مختلفة . الاول : الحكم الدستوري السائد في مصر . الثاني : الدستور المصري المدني . الثالث : القوانين التي تضعها الدولة لتنظيم صلة الافراد بعضهم ببعض ، وتحمي حقوقهم الادبية والمادية ، وتحاسبهم على ما يأتون من اعمال ، بقطع النظر عن مذاهبهم - اي القانون المدني.

اما الامر الاول فيرويه منطبقاً على تعاليم الاسلام ، وانه اقرب نظم الحكم القائمة في العالم كله الى الاسلام . ولذلك فهم لا يعترضون عليه .

واما الامر الثاني فهم يرون اولاً : ان من نصوص الدستور ما هو مبهم غامض يدع مجالاً واسعاً للتأويل والتفسير ، ولذا فهم يطالبون بتجديدها وتوضيحها . ويرون ثانياً : ان طريقة التطبيق التي تفسر بها عملياً نصوص القانون قد اخفقت وانها بحاجة شديدة الى تفسير وتعديل يحقق المقصود . ولكنهم يفتقون عند هذا التعميم ولا يضربون امثلة للغموض كي يعرف بالضبط اين يقع هذا الغموض .

واما الامر الثالث - القانون المدني - فيقفون منه موقف المعارض ، ويطالبون ان يحلّ مكانه التشريع الاسلامي سواء اكان ذلك في المسائل المادية ام الجنائية ام التجارية ام الدولية . ويضربون على ذلك امثلة الزنا والربا والخمر والميسر . فيرون القانون يحميها والدين يمنعها . وهنا ايضاً لا ينوّعون الامثلة حتى تشمل المسائل المادية التي ذكرت . وان كانوا يقرّون ان الدين لم يعرض للجزئيات وخصوصاً في الامور الدينية البحتة ، ولم يمنع الاستفادة من كل نظام صالح لا يتعارض مع قواعده الكلية واصوله العامة ٢٢٤ . وقد ألتفوا بعد المحنة كتباً متنوعة لاثبات صلاح التشريع الاسلامي للحياة الحديثة في جميع مظاهرها كما ورد في الفصل الثاني .

ب - وبلي ذلك في الاهمية مبدأ تحرير وادي النيل برمته من النفوذ الاجنبي . وقد اقتضاهم هذا المبدأ ان يقفوا من الانجليز موقف العداء العنيد الذي لا هوادة فيه . وهم يشبهون في هذا (الحزب الوطني) الذي شهّرت عنه العبارة المأثورة « لا مفاوضة قبل الجلاء » . وهي ايضاً عبارتهم التي ردودها في مختلف المناسبات . ويشرح الاخوان وجهة نظرهم في هذا الشأن بأن الاستعمار بلغ مداه في نهاية الحرب العالمية الاولى حين احاط بالبلاد العربية وقيد حكوماتها وحال بينها وبين التقدم . فمصر تحت الحماية ، وفلسطين والعراق في قبضة الانجليز ، وسوريا ولبنان وتونس والجزائر في يد فرنسا ، وطرابلس وبرقة مع

ايطاليا . حتى تركيا الاوروبية والآسيوية ، وهي دار الخلافة ، وقعت تحت نير الحلفاء .. وفي الحرب العالمية الثانية انضمت هذه الدول الى الدول الديمقراطية . وكان طبيعياً وقد وضعت الحرب اوزارها ان يطالب المظلومون بحقوقهم وان يجاهدوا في تحرير اوطانهم ٢٢٥ .

وقد ثبت الاخوان على هذا المبدأ . فظلوا يطالبون بتحرير وادي النيل بالين حيناً وبالغنف حيناً آخر . ففي بدء الحرب العالمية الثانية أيدوا علي ماهر باشا في قراره بتجنيب مصر ويلات الحرب . وفي اثناء الحرب اعلن احمد ماهر باشا الحرب على ألمانيا وايطاليا فلم يوافقوه على ذلك وكتبوا إليه ناصحين بالعدول عنه . ولم تقف حملتهم على الانجليز ، رغم موقف الحكومة موقف المؤيد للحلفاء ، بما ادى الى مطاردتهم واعتقال عدد كبير منهم ، باعتبار ان سياستهم مخالفة لسياسة الحكومة المصرية نفسها . وقد بلغ الخلاف مع الحكومة ان اتهموا بأن لهم ضلعاً في مقتل أحمد ماهر باشا . وبعد اعلان الهدنة هبوا يطالبون بتحقيق المطالب الوطنية كاملة والجلاء عن وادي النيل . وتزعموا كثيراً من الحركات العنيفة . ورفضوا مبدأ المفاوضة . واشتركوا في مظاهرات دامية الى ان اغتيل النقراشي باشا ثم البنا بعده . وظل موقفهم على هذا بعد المحنة فكانوا السباقين في قتال الانجليز في القنال .

وبما يدل على امعانهم في مقاومة الانجليز ان البنا وضع صيغة

دعاءً ليتلوه أتباعه عقب الصلاة هذا نصه : « اللهم رب العالمين وأمان الخائفين ومذل المتكبرين وقاصم الجبارين تقبل دعائنا وأجب نداءنا وانلنا حقنا وردة علينا حريتنا واستقلالنا . اللهم ان هؤلاء الغاصبين من البريطانيين قد احتلوا ارضنا وجحدوا حقنا وطغوا في البلاد واكثروا فيها الفساد . اللهم فرد عنا كيدهم وقل حدهم وفرق جمعهم وخذهم ومن ناصرهم او اعانهم او هادنهم او وادهم اخذ عزيز مقتدر . اللهم واجعل الدائرة عليهم وسق الوبال عليهم واذل دولتهم واذهب عن ارضك سلطانهم ولا تدع لهم سبيلاً على احد من المؤمنين آمين ٢٢٦ » .

واعترفت بعض الصحف الانجليزية ان نشاط الاخوان والوفديين - في هذه المرحلة - قد حول تيار الرأي العام الى الناحية الوطنية المتطرفة ، كما اعترفت بان الجماعات الاساسية المسيطرة على حركات الطلبة القوية هي الوفد المصري والاخوان المسلمون ٢٢٧ .

ومن الطبيعي ان الاخوان صبغوا هذه الوطنية بصبغة دينية ، واعتبروا تحرير الوطن من الانجليز فرضاً دينياً .

ولكنهم لم يعتبروا هذا التحرير الخطوة الاخيرة . فهي في نظرهم الخطوة الاولى فقط . اما الخطوة الثانية فتحرير البلاد العربية كلها وتأمين وحدتها . والخطوة الثالثة العمل للجامعة الاسلامية باعتبارها السياج الكامل للوطن الاسلامي العام . والخطوة الرابعة الوحدة العالمية . لان هذا هو مرمى الاسلام

وهدفه ومعنى قوله تعالى: «وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ٢٢٨». وقد ذكر في مكان آخر انهم جعلوا فكرة الخلافة والعمل لاعادتها في رأس منهاجهم ، على ان يحققوا ذلك في خطوات ٢٢٩ .

وقد كانت هذه الوطنية الدينية سلاحاً ذا حدين فمن الناحية الاولى ورطتهم مع الحكومات المصرية نفسها اذ ساقتهم الى ان يكونوا دائماً في موقف المعارض الذي لا يلين . وهذا ادى بالضرورة الى ان يقاتلوا في الداخل والخارج في وقت واحد ، والى ان يجتازوا انواعاً من المحن اخفها الاعراض الحكومي واقساها السجن والاعتقال . ولكنهم من الناحية الثانية كسبوا مؤازرة شعبية ما كانوا ليكسبوها لو وقفوا عند الدعوة الدينية او لو وقفوا موقف المؤيد للحكومات المتعاقبة . وليس شك في انهم برزوا في كثير من المواقف ، وظهروا على منافسهم - لا سيما الوفديين - بحكم هذه السياسة المتطرفة . وقد ذكرت الصحف المصرية في شهر ديسمبر سنة ١٩٥١ - اي بعد المحنة - انهم اكنسحوا جميع الاحزاب في كليات جامعة فؤاد الاول حين اعلنوا اخفاق الوسائل السلمية ، ودعوا الى افتتاح معسكر للتدريب العسكري . وحين جرت انتخابات مجالس الاتحاد في مختلف كليات الجامعة ، إثر افتتاح المعسكر نالوا المقاعد الآتية :

١١/١١ في اتحاد كلية الزراعة .

١١/١١ » » » العلوم .

١٠/ ٧ في اتحاد كلية الهندسة .

١٦/١١ » » » الآداب .

١٠/ ٩ » » » الحقوق .

١٣/ ٩ » » » الزراعة .

واستوعى تفوقهم في كلية الحقوق خاصةً الانظار ، لان هذه السكّية عرفت بانها معقل الطلبة الوفديين ٢٣٠ .

ج - ومن مبادئهم السياسية الغاء الاحزاب السياسية المصرية جميعها . اذ يرون ان هذه الاحزاب وجدت في ظروف خاصة ولدواع اكثرها شخصي لا مصلحي . ويعتقدون ان الاحزاب لم تحدد برامجها ومناهجها الى الآن . فكل منها يدّعي انه سيعمل لمصلحة الامة في كل نواحي الاصلاح . ولكن ما تفاصيل هذه الاعمال وما وسائل تحقيقها ، وما الذي اعد من هذه الوسائل ، وما العقوبات التي ينتظر ان تقف في سبيل التنفيذ؟ كل ذلك لا جواب له عند رؤساء الاحزاب وادارات الاحزاب . فهم قد اتفقوا في هذا الفراغ كما اتفقوا في امر آخر هو التهاك على الحكم وتسخير كل دعاية حزبية بكل وسيلة شريفة وغير شريفة في سبيل الوصول اليه وتجريح كل من يحول من الخصوم الحزبيين دون الحصول عليه . ويعتقدون كذلك ان الحزبية افسدت على الناس كل مرافق حياتهم ، وعطلت مصالحهم وأتلفت اخلاقهم ومزقت روابطهم ، وكان لها في حياتهم العامة والخاصة اسوأ الآثار .

ويعتقدون ان النظام النيابي ، بل حتى البرلماني ، في غنى عن

نظام الاحزاب بصورتها الحاضرة في مصر ، وإلا لما قامت الحكومات الائتلافية في البلاد الديمقراطية . فالحجة القائلة بأن النظام البرلماني لا يُتصور إلا بوجود الاحزاب حجة واهية . وكثير من البلاد الدستورية البرلمانية يسير على نظام الحزب الواحد ، وذلك في الامكان . كما يعتقدون ان هناك فارقاً بين حرية الرأي في التفكير والابانة والافصاح والشورى والنصيحة وهو ما يوجبه الاسلام ، وبين التعصب للرأي والخروج على الجماعة والعمل الدائب على توسيع هوة الانقسام في الامة وزعزعة سلطان الحكم ، وهو ما تستلزمه الحزبية ويأباه الاسلام ويحرمه اشد التحريم . والاسلام في كل تشريعاته إنما يدعو الى الوحدة والتعاون .

وذهبوا الى ابعد من هذا اذ اعتقدوا ان فكرة ائتلاف الاحزاب فكرة عقيمة وانها مُسكّنة لا علاج ، إذ سرعات ما ينتقض المؤتلفون بعضهم على بعض . والعلاج الناجع - في رأيهم - ان تزول جميع الاحزاب بعد ان ادت مهمتها وانتهت الظروف التي اوجدتها ٢٣١ .

ويكمن وراء هذا الموقف من الاحزاب المصرية عامل خفيّ هو انهم اعتبروها كلها مقصرة في تنفيذ احكام الاسلام واحكام الدستور ٢٣٢ . وكان من رأيهم ان يقوم على انقاض الاحزاب نظام جديد تجتمع به جهود الامة حول منهاج قوي اسلامي صالح ٢٣٣ . ومعنى هذا ان يقوم حكم اسلامي في مصر لا مجال

فيه للحزبية السياسية .

وانتماً لهذا المبدأ اشتروا على كل من ينتسب اليهم ان يتحرر من كل لون حزبي مع الاصطباغ بالفكرة التي تعتمد على سياسة القرآن وتعاليمه . وألفوا لجنة سياسية تابعة للمركز العام تشرف على الشؤون السياسية .

ومن الطبيعي ان هذا الموقف الصارم من الاحزاب لم يتكون مرة واحدة ، ولم يصلوا اليه في قفزة واحدة . فقد ظلوا محايدين في الادوار الاولى ثم اخذوا يعلنون معارضتهم بالتدريج ، الى ان انتهوا الى هذه الدعوة الصريحة الجريئة بعد الحرب الكبرى الثانية . فقد رأوا انهم لم يعودوا « دعوة » بل اصبحوا يمثلون الغالبية العظمى من سكان المملكة المصرية ٢٣٤ ، وانهم هم القلب المؤمن والعقل المستنير والشباب الجريء المتوثب ، دورهم تملأ الوادي ، واعلامهم تحقق في الآفاق وكتائبهم تغص بها الاندية وتضيق بها السهول ٢٣٥ . واعلنوا ان في البلد دعوة جديدة انتقلت بالامة من حال الى حال ، وتطورت بقضيتها تطوراً كبيراً .. وان هذه القضية تريد ان تحتل مكانها بعد هذا الظهور ، وان تأخذ منزلتها من الصدارة وان هذه القضية هي وحدها قضية الإصلاح في الامة ٢٣٦ .

وهنا ميّزوا « دعوتهم » من حركة الإصلاح التي قام بها جمال الدين الافغاني ومحمد عبده وغيرهما . فالمناداة بالفكرة الاسلامية و اظهار جمالها بكل الاساليب التاريخية المعروفة لا

تكرر . ولكن ذلك غير « الدعوة » الاسلامية كحقيقة دستورية مستقلة يقوم عليها نظام عام له ميزاته ، ثم تنظيم حركة تقود جيلاً يعمل على تطبيق مبادئ النظام الاسلامي في الحكم والسياسة والاجتماع ، وقرارها عملياً كدستور واجب النفاذ ، الى جانب الذود عنها كعقيدة صحيحة .. و « الدعوة » الاسلامية بهذا المعنى لم يعرفها التاريخ منذ آماذ طويلة جداً الا حين رفع لواءها حسن البنا في القرن العشرين باسم دعوة الاخوان المسلمين ٢٣٧ .

د - وحددوا لهم سياسة معينة من الدول الاوروبية التي تحكم بقعة من البقع الاسلامية كإنجلترا وفرنسا وايطاليا .

واساس هذه السياسة امران : الاول ان الوطن الاسلامي واحد لا يتجزأ ، وان العدوان على جزء منه عدوان عليه كله . والثاني ان الاسلام فرض على المسلمين ان يكونوا أئمة في ديارهم سادة في اوطانهم ، بل ليس ذلك فحسب ، بل ان عليهم ان يدعوا غيرهم الى الدخول في دعوتهم والاهتداء بالاسلام الذي اهتموا به من قبل .

وبناء على هذا الاساس يتوجب اعتبار كل دولة اعتدت وتعتدي على اوطان الاسلام دولة ظالمة لا بدّ من ان تكف عدوانها، ولا بدّ من ان يعد المسلمون انفسهم ويعملوا متساندين متحدّين على التخلص من نيرها . ويستشهدون على ذلك بمسألة اشبه بفتوى دينية او حكم فقهي ورد في احد الكتب هذا نصها:

« امرأة مسلمة سُبيت بالشرق وجب على اهل المغرب تخليصها واقتداؤها ، ولو اتى ذلك على جميع اموال المسلمين » ومن البديهي ان المرأة رمز الى الوطن الاسلامي .

وبما ان انكلترا معتدية في مصر وفلسطين ، وفرنسا معتدية في سوريا والمغرب ، وايطاليا معتدية في طرابلس (وهذه امثلة لها اشباهها في بقاع اخرى من العالم الاسلامي) ، فيجب اعلان الجهاد عليها واغتصاب الحرية والاستقلال منها ، ولو كلف ذلك الدم والمال ، اذ الموت خير من حياة العبودية والرق والاستذلال ٢٣٨ .

وتنفيذاً لهذه السياسة ساهموا مساهمة فعالة في قتال اليهود في فلسطين سنة ١٩٤٨ وكانت فرقهم اقوى الفرق واشجعها . وجمعوا الاعانات في الداخل لمساعدة المقاتلين ، وساهموا في قتال الانجليز في منطقة القنال بعد المحنة .

ولكنهم قدّموا خدمة الوطن الخاص على خدمة الوطن العام ، خدمة المرء وطنه اولاً ثم اوطان المسلمين على اساس الاقرب اولى بالمعروف . هذا من حيث العمل . اما من حيث المبدأ ، فالاسلام لا يعترف بالحدود الجغرافية ولا يعتبر الفوارق الجنسية الدموية ، ويعتبر المسلمين جميعاً امّة واحدة ، والوطن الاسلامي وطناً واحداً ، مهما تباعدت اقطاره . ولذلك فهم ينادون بان وطنهم هو كل شبر ارض فيه مسلم ٢٣٩ ، وان مهمتهم بعد تحرير وطنهم تحرير سائر الاوطان الاسلامية ٢٤٠ ، وان الوطن

الاسلامي سما عن حدود الوطنية الجغرافية والوطنية الدموية الى
وطنية المبادئ السامية والعقائد الخالصة الصحيحة والحقائق التي
جعلها الله للعالم هدى ونوراً ٢٤١ . وهم يشبهون (السنوسية)
وبعض الطرق الصوفية في افريقيا التي رأت من واجبهـا نشر
الدين . وربما كان هذا الاتجاه الفعّال في نشر الدعوة - في
افريقيا خاصة - رد فعل لحركات التبشير التي نشطت في تلك
القارة . اما الشيوعية فقد حملوا عليها وسفها آراءها ٢٤٢ .

هـ - وحدّدوا سياستهم من الاقليات التي تشاطرهم الوطن
وفق نصوص القرآن . فقد نص « لا ينهاكم الله عن الذين لم
يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبرّوهم وتقسطوا
اليهم ، ان الله يحب المقسطين » ورأوا في ذلك دعوة الى
وجوب حماية المواطنين من غير المسلمين والبرّ بهم والاحسان
اليهم .

اما بشأن اصحاب الاديان السماوية فقد نصّ القرآن « قولوا
آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق
يعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون
من ربهم لا نفرّق بين احد منهم ونحن له مسلمون . فان آمنوا
بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فلانما هم في شقاق
فسيكفيكم الله وهو السميع العليم » .

اما من يجب ان يُنَاوَأَ ويُقَاطَعَ ولا يتصل به فقد حدّدته
الآية : « انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم

من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ، ومن يتولوهم
فأولئك هم الظالمون .

اما اليهود التي تقطع فتجب المحافظة عليها حسب نص القرآن
« وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولاً » و « إلا الذين عاهدتم
من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم احداً
فأتوا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين » و « فما استقاموا
لكم فاستقيموا لهم » .

وقالوا : ان الاسلام الذي يضع هذه القواعد ويسلك باتباعه
هذه الاساليب يجب ان يعتبره الغربيون ضماناً اخرى تضمن لهم
الوفاء بمعاهداتهم واداء التزامات الدول الاسلامية لهم . بل نقول
انه من خير اوروبا نفسها ان تسودها هذه النظريات السديدة في
معاملات دولها بعضها لبعض فذلك خير لهم وأبقى ٢٤٣ .

وأراد البنا ان يؤكد سياستهم في بعض المناسبات فأرسل مرة
الى توفيق دوس باشا - القبطي - رسالة تهنئة لانتخابه عضواً في
مجلس الشيوخ ، ورد دوس باشا على تهنيئته بانه سرّ بصدور
جريدة الاخوات ونزعتهم القومية التي لا تعترف بالحزبية
والطائفية والعنصرية ٢٤٤ .

وأكد مرة في مقال له ان حركتهم ليست بتعصبية ولا
جامدة ولا حزبية ليطمئن الاقليات - ولا سيما الاقباط -
الى حسن نواياهم ٢٤٥ . وقد التزموا هذه السياسة نحو مواطنيهم
الاقباط الى اليوم . وعندما اعتدي على كنيسة قبطية في

السويس برىء الاخوان من هذا الاعتداء وحملوا على مرتكبيه وشهد لهم الاقباط بالبراءة . وقد جرى المرشد العام الجديد على هذا المنهج فكان في تجواله في القطر المصري يزور الاقباط والمؤسسات المسيحية توثيقاً لروابط المحبة بين المواطنين جميعاً .

و - هذه هي الخطوط الرئيسية لمبادئهم السياسية التي يبدو انها اتضحت وتبلورت مع الزمن . واذا صحّ ما ذكر سابقاً من انهم بدأوا دينيين ثم توسع منهمجهم بعد ما نالوه من نجاح وانتشار ، وخاصة بعد ان اثرت امامهم المشاكل ووجهت اليهم الاسئلة ، فاضطروا ان يوضحوا ويفصلوا ، اذا صح ذلك كانت هذه المبادئ السياسية متأخرة عن المبادئ الدينية زمنياً على الاقل . على انه من المحقق انهم تقيدوا في صياغة هذه المبادئ بما ورد في القرآن من نصوص وبما استخلصوه من تاريخ الاسلام من آراء . ومن البديهي انهم حكموا فهمهم في النصوص مخالفين آراء فريق من المسلمين او على الاصح احد القضاة السابقين الشيخ علي عبد الرازق في المبدأ الاول الذي بُسط سابقاً . وهو شرعية الحكومة الدينية . وخلاصة رأيه انه ليس في القرآن ولا السنة دليل على وجوب الخلافة ، وان شعائر الحكم سياسية يرجع فيها الى احكام العقل وتجارب الامم وقواعد السياسة . وكذلك تدبير الجيوش وعمارة المدن والدواوين فانها ترجع الى الهندسة ، وان الرسالة غير الملك ، وان ما يبدو من مظاهر دولة فوسيلة الى تثبيت الدين فقط ، وان الاسلام وحدة دينية للناس

كافة ٢٤٦ . ونسج على منوال علي عبد الرزاق الشيخ خالد محمد خالد في كتابه من هنا نبدأ .

ومهما يكن من شيء فسواء كانت آراؤهم السياسية متأخرة عن آرائهم الدينية ام متقدمة ام مماشية لها فلا شك في انهم راعوا عوامل الزمن والظروف المحيطة بهم عند تقرير الوسائل التي ينبغي ان يتوصلوا بها الى تحقيق مبادئهم .

بدأوا اولاً ببث الدعوة بقصد اعداد جيل جديد واعٍ . المبادئ مترتب عليها ، يكون لها شبه بالجنود المدافعين ٢٤٧ .

ثم ثنوا بكتابة الرسائل الى الملوك والحكام في شتى المناسبات يدعونهم الى التمسك باهداب الدين واستمداد الاصلاح من القواعد الاسلامية . ولما اصدروا جريدتهم اعدوا نشر بعض هذه الرسائل ، و اضافوا اليها رسائل جديدة ، وصاروا يتتبعون الاحداث السياسية ويدون آرائهم فيها بصراحة وجراحة . ثم عنوا بالموتمرات الدورية (مرة كل سنتين) والمؤتمرات الطارئة لمواجهة الاحداث الجديدة ، ثم اخذوا يحاضرون في المدن والريف وفي الاذاعة ، ثم اقتحموا ميدان المظاهرات يشتركون فيها حيناً ويقودونها ويشرفون عليها حيناً آخر . ثم اعدوا الكتاب ومرنوها على القيام باعمال الجندية او شبه الجندية لكي يكونوا مستعدين للقتال في اوقات الطوارئ كما حدث في قتال فلسطين . ثم نشروا عدداً من الكتب التي تشرح الدعوة شرحاً وافياً في جميع النواحي مشتملة على الناحية السياسية . وبالجملة لم يتركوا

وسيلة الا اتخذوها لاطهار مبادئهم ونشرها والدفاع عنها .
والسياسة في جميع هذه النشرات والمؤلفات تحتل مكاناً بارزاً .
والواقع ان ناحية « الدعاية » كانت مركزة تركيزاً قوياً ، وهي
في العصر الحديث سلاح فعال . وهذه احدى ميزات الدعوة
الظاهرة .

وربما كان من المناسب ان نختم هذا الفصل بعبارة تلخص
سياستهم كلها قالها البنا نفسه . فقد شبه الدولة الاسلامية بالمنضدة
ذات الارجل الثلاث اذا كسرت احدى ارجلها سقطت . فالرجل
الاولى هي المبادئ الاسلامية . والثانية هي الامة المتحدة .
والثالثة هي الحكومة الاسلامية التي تعمل على وحدة الامة
ووحدة المبادئ ٢٤٨ . وفي هذا المثل الذي ضربه البنا تصوير
لسياستهم يعني عن الاطناب .

وماذا كان شأنهم خارج مصر ، وكيف تدرجوا في فتح
الفروع في الاقطار العربية ؟

الفصل السابع

حركة الإخوان خارج مصر

تنص المادة الثانية من « قانون النظام الاساسي » للاخوان المسلمين على ان : « الإخوان المسلمون هيئة اسلامية جامعة تعمل لتحقيق الاغراض التي جاء من اجلها الاسلام .. »

ومعنى هذه المادة ان حركة الإخوان ليست مصرية بحتة ولا عربية بحتة ، ولكنها اسلامية جامعة .

هذا من حيث المبدأ . اما من حيث العمل فهم يرون التدرج من الوحدة القومية الى الوحدة العربية الى الوحدة الاسلامية . والولاء في نظرهم لهذه الاحداث « الثلاثة » لا يتنازع ولا يتناقض . فالاسلام فرض ان يعمل كل إنسان لخير بلده وان يقدم اكبر ما يستطيع من الخير للامة التي يعيش فيها . ثم ان الاسلام نشأ عربياً ، ووصل الى الامم عن طريق العرب ، ونزل القرآن بالعربية . ولذلك فان وحدة العرب أمر لا بد منه لاعادة مجد الاسلام واقامة دولته . (وهم يقصدون بالعروبة عربية اللسان) . ثم ان الاسلام ووطن وجنسية ، كما هو عقيدة وعبادة . والمسلمون جميعاً متساون . والوطن الاسلامي ووطن واحد مهما تباعدت اقطاره . وهو وحدة لا تتجزأ .

وبناء على هذا التحديد فالإخوان يعملون لجمع كلمة المسلمين واعزاز اخوة الاسلام وينادون بان وطنهم هو كل شبر ارض فيه مسلم . وهم يرون ان هذه الوحدات لا تتعارض ، وان كل واحدة تشدّ ازر الاخرى وتحقق الغاية منها . واذا اراد اقوام ان يتخذوا من المناداة بالقومية الخاصة سلاحاً يبيت الشعور بما عداه منهم ليسوا معهم ٢٤٩ .

وهم يرون مصر قد انتهت اليها رئاسة الامم الاسلامية بحكم ظروف كثيرة ٢٥٠ ، ويرون الاخوان المسلمين انهم في مصر هم القلب المؤمن والعقل المستنير والشباب الجريء المتوثب ، وان من مصر ستنتطلق بشارت الحرية الى الشرق الاسلامي كله حاملة اليه الوحدة والى العدو نذير الويل والهزيمة ٢٥١ .

وهم يرون كذلك ان الاسلام استيقظ من غفوته وبدأ يزحف . استيقظ اولاً باسم الفكرة القومية الوطنية ، ثم باسم الفكرة العربية التي صارت الجامعة الطورانية ، ثم مضت الفكرة الى هدفها بقوة وعزيمة اسلامية بحثة ٢٥٢ .

وبما انه نشأت بعد الحرب الكبرى الاولى حركات متنوعة كالقومية والاشتراكية والرأسمالية والبلشفية والعالمية ، وكان لا بد للامم الاسلامية من ان تختار لها مذهباً من المذاهب ، فقد رأى الاخوان ان الاسلام خاض في لب هذه الحركات ووضع للعالم النظم التي تكفل له الانتفاع بما فيها من محاسن ، وتجنب ما تستتبعه من خطر وويلات . ولذلك فهم يطالبون ان

تكون قواعد الاسلام هي الاصول التي تبنى عليها نهضة الشرق الحديث في كل شأن من شؤون الحياة . ويعتقدون ان كل مظهر من مظاهر النهضة الحديثة يتنافى مع قواعد الاسلام ويضطدم باحتكام القرآن فهو تجربة فاشلة ، ستخرج منها الامة بتضحيات كبيرة في غير فائدة . فخير للامم التي تريد النهوض ان تسلك اليه اخصر الطرق باتباعها احكام الاسلام.

وها قد نهض الاخوان بهذه الدعوة لا يختصون بها قطراً دون قطر من الاقطار الاسلامية . ولكنهم يرسلونها صيحة يرجون ان تصل الى آذان القادة والزعماء في كل قطر يدين ابنائهم بدين الاسلام . ويحذرون الشعوب الشرقية الاسلامية من الاندفاع في تيار التقليد فترقع نهضاتها بتلك النظم البالية التي انتقضت على نفسها واثبتت التجربة فسادها وعدم صلاحيتها ٢٥٣ .

واذن فقد كان في صلب الدعوة العمل على نشرها في العالم الاسلامي كله بل وفي كل بقعة يقطنها نفر من المسلمين . ولكن متى بدأ ذلك ؟

ليس هناك تواريخ وثيقة تبين متى فتحت الفروع في خارج مصر . ولكن يبدو بوضوح ان العمل في الخارج مرّ في مرحلتين . الاولى مرحلة الاهتمام بشؤون العالم الاسلامي وقضاياه السياسية على وجه خاص . وقد بدأت هذه المرحلة قبل سنة ١٩٣٧ . فقد كان البناء يتحدث في خطبه عن العالم الاسلامي ويدعو الى ان يتمتع بحريته واستقلاله ٢٥٤ . وكان يعتبر الاخوان حماة

القضايا الاسلامية عامة والقضايا السياسية خاصة ٢٥٥ . واغلب الظن ان قضية فلسطين فتحت عيونهم على مصاب العرب في تلك البقعة في حوادث سنة ١٩٣٦ ثم بعد هذا التاريخ ٢٥٦ . وظلوا منذ ذلك الوقت يتابعون هذه القضية باهتمام بالغ . وربما يصح القول ان القضية الفلسطينية شجذت همهم للمزيد من العناية بقضايا البلاد العربية . وارسل البنا مرة رسالة باسم الاخوان الى سلطان مراکش واخرى الى رئيس الحكومة الفرنسية طالباً الافراج عن الامير عبد الكريم ٢٥٧ .

اما المرحلة الثانية فمرحلة انشاء الفروع في الخارج وهذه بدأت سنة ١٩٣٧ وهي السنة التي اسس فيها فرع دمشق على ان يكون مركزاً للجنة عليا تقوم بانشاء المراكز في مختلف المحافظات في سوريا ولبنان . ولكل مركز الحق في انشاء فروع في الملحقات بعد موافقة اللجنة المركزية . وله ايضاً ان يفتح شعباً في احياء المدينة .

وربما يحظر بالبال لم يبدى بدمشق ؟ الراجح ان سبب البداية بها يرجع الى الطلبة السوريين الذين كانوا يدرسون في مصر وينتسبون الى الاخوان في عهد الدرس . وقد عني الاخوان بالطلبة العرب الذين يدرسون في مصر عناية خاصة واحاطوهم بالرعاية والتكريم وعاملوهم كما يعاملون الاعضاء المصريين تماماً . وهنا تم الاتصال بين الدعوة في مصر وبين الطلاب العرب . وكان اولئك الطلبة دعاة متحمسين للاخوان

في بلادهم . وحين نهيات الاسباب نظم اولئك الطلبة فروعاً في بلادهم بالتعاون مع الاشخاص الذين يتفوقون معهم في الاهداف .

وبما ان فرع الشام من اهم الفروع في خارج مصر ، وذكر مرة عن احتمال نقل القيادة اليه من مصر إثر مقتل البنا ومصادرة جميع فروع الدعوة واموالها ، وبعض اعضائه تولوا مناصب عالية في الحكومة السورية ودخلوا مجلس النواب، فمن الضروري تأريخه بإيجاز .

نهض بالعمل للدعوة سنة ١٩٣٧ بضعة عشر فرداً من شباب الجامعة السورية وطلاب العلوم الشرعية، وارادوا ان يتسموا باسم واحد وان تكون منظماتهم في مختلف البلدان مرتبطة بعضها ببعض رسمياً . ولكنهم خشوا بطش حكومة الانتداب فالتجأوا الى الف وال دوران حتى يصلوا الى اغراضهم . فأسست جمعيات ذات رخص واسماء مختلفة . فتأسست اولاً (دار الارقم) في حلب ، فجمعية الشبان المسلمين في دمشق ، فجمعية الرابطة في حمص ، فجمعية المكارم في القدس ، فجمعية الاخوان المسلمين في حماه ، فسائر الجمعيات الاخرى في بيروت وطرابلس ودير الزور واللاذقية . كما اسست لها مراكز في بعض بلاد الغرب التي كان يجتمع فيها قسم من اعضائها للدراسة .

وكانت هذه الجمعيات المختلفة الاسماء وثيقة الصلة بجميع الحركات الوطنية والاصلاحية العربية والاسلامية . وكانت تشكل بمجموعها جماعة واحدة مع تعدد الاسماء . وتعارفت فيما

بينها على التسمي (بشباب محمد) .

وأخذت هذه الجمعيات تعقد مؤتمرات . فعقد اولها في حمص .
وثانيها سنة ١٩٣٧ . ولما عقد المؤتمر الثالث بدمشق سنة ١٩٣٨
كانت الجماعة قد سارت شوطاً بعيداً في التنظيم . وقد قررت
في هذا المؤتمر اتخاذ مركز رئيسي لسائر الجمعيات يكون مركزه
دار الارم في حلب .

ومرت بعد ذلك عدة اعوام — وكانت تلك اعوام الحرب
العالمية الثانية العسيرة — تعذر فيها عقد المؤتمرات . واكتفي
بأن يقوم المركز الرئيسي بمهمته وان يتصل امنا سرّ الجمعيات
بعضهم ببعض . وفي سنة ١٩٤٣ عقد مؤتمر رابع في حمص
اشترك فيه ممثلو المراكز في سوريا ولبنان وافرّ بقاء (دار الارم)
في حلب مركزاً رئيسياً . واتخذ قرارات ذات لون جديد
كاحداث منظمات السرايا والفتوة في كل مركز ، والعناية بالناحيتين
الرياضية والاقتصادية الى جانب النواحي الثقافية والاجتماعية
والاخلاقية والقضايا الاسلامية والعربية العامة .

وفي عام ١٩٤٤ عقد المؤتمر الخامس في حلب وقرر الغاء
المركز الرئيسي في حلب وتأليف لجنة مركزية عليا في دمشق
مشكلة من ممثل عن كل مركز ، لها مكتب دائم ، وعلى رأسها
مراقب عام — هو الشيخ مصطفى السباعي — وتتعقد اجتماعات
دورية . وحضر هذا المؤتمر مندوب من الاخوان المسلمين في
مصر . وتم الاتفاق — بعد الاتصال مع مؤتمر الاخوان في مصر

وفلسطين - على توحيد اسماء الجمعيات باسم (الاخوان المسلمون)
وعلى توحيد النظم . وبذلك دخلت مرحلة جديدة موحدة الاسم
والاهداف قوية الفاعلية . فاسست المعهد العربي الثانوي ،
وشكلت دار الطباعة والنشر العربية ، التي تولت اصدار جريدة
(المنار) لسان حال الجماعة في سوريا التي ما تزال تصدر الى
اليوم ، ولكنها لم تعد تنطق باسم الجماعة رسمياً ، وشركة النسيج
في حلب .

وفي سنة ١٩٤٦ عقد المؤتمر السادس في بيروت لمراكز
الاخوان في سوريا ولبنان، بعد ان توحدت الجماعة اسماً واهدافاً
مع الاخوان في مصر . وسبق المؤتمر اقامة معسكر تدريب
للفتوة في بيروت نفسها . وبعد ختام المؤتمر دعت اللجنة المركزية
طائفة من رجال دمشق الى ناديا وتلت عليهم المقررات التي
اتخذت .

ومن اهم هذه المقررات :

١ - ارسال بعثات علمية من طلاب الجماعة للدراسة في مصر
واوروبا .

ب - توسيع نطاق الحركة الرياضية والفتوة .

ج - تأليف لجان للعناية بشؤون العالمين العربي والاسلامي
تتولى متابعة الحركات الوطنية في الاسكندرونه ومصر وشمال
افريقيا وطرابلس الغرب والهند واندونيسيا ، ولجنة خاصة بقضية
فلسطين .

د - تأليف لجنة لاتخاذ الطرق العملية للنهوض بالفلاحين والعمال .

وحددوا اهداف الجماعة كما يلي :

ا - تحرير الامة وتوحيدها وحفظ عقيدتها وبناء نظمها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية على اساس الاسلام.

ب - ليسوا حزباً كسائر الاحزاب . وهدفهم اصلاح المجتمع لا الوعظ فحسب ، اصلاحاً منبعثاً من ذاتية الامة وعقائدها المقدسة . وفي سبيل ذلك بحاربون اي استعمار باي شكل كان ، ويتعاونون مع كل هيئة وطنية تعمل لخير الوطن. ودعوتهم شاملة تتناول الاقتصاد والاخلاق والسياسة الوطنية والثقافة والرياضة وشتى نواحي الاصلاح ، اذ ذلك كله هو مفهوم الاسلام في معناه الصحيح الواسع [قابل ذلك بآراء الاخوان في مصر] .

ج - وهم يدعون الى التعاون بين ابناء الامة كلها لا فرق بين مذهب ومذهب وينقمون على كل محاولة ترمي الى تفريق الصفوف باسم الاديان والطوائف ، ويرونها حركة هدامة تخدم مآرب المستعمرين .

د - وفيما يتعلق بالقضايا الوطنية الداخلية فهم يدعون الى اصلاح جهاز الدولة بتنفيذ القوانين دون محاباة - ولا يشيرون الى اصلاحها على اساس الدين كما عند الاخوان في مصر - ويطلبون العناية بالتعليم والاخلاق والاقتصاد والزراعة والصناعة.

هـ - وفيما يتعلق بالدين حرصوا على عدم اثاره النعرات الطائفية . فذكروا ان دعوتهم هي رجوع الى تعاليم الاديان الصحيحة البعيدة عن تلاعب ذوي الالهواء . والاديان كلها تأمر بهذا وتحث عليه . والذين يظنون في دعوتهم تغذية للشعور الطائفي هم اجهل الناس بطبيعة الاديان ومراميها . وبدعوتهم تمّ التفاهم الحقيقي بين ابناء الوطن الواحد . فانتسعت منابرهم لخطباء المسيحيين ، ومنابر المسيحيين لخطباء الاخوان .

وظلت الجمعية سائرة في طريقها . وفي حرب فلسطين ١٩٤٨ ألفت كتبية لاقتال بقيادة الشيخ مصطفى السباعي المراقب العام للاخوان في سوريا . وجاء البنا من القاهرة الى بيروت فدمشق متفقداً كتائب الاخوان في قطنا .

وعندما صودرت جمعيات الاخوان في مصر واغتيل البنا اتجهت الانظار الى جمعيات الاخوان في سوريا ولا سيما الى الشيخ مصطفى السباعي نفسه باعتباره من اقوى المرشحين للقيادة . وظلت جريدة الاخوان في دمشق تصدر كعادتها . ونشرت عدة كتب للبنا وعنه في دمشق ، في حين انحلت شعب لبنان او توارت . وتولى بعض الاعضاء مناصب عالية كالوزارة . ودخل بعضهم مجلس النواب . وصرح بعضهم بتصريحات اشتمت منها ميول يسارية . ولكن السباعي كرر في خطبه الحملة على الشيوعية وعلى الديمقراطية الغربية ، داعياً الى الوقوف على الحياد في اي صراع عالمي جديد ، واستمداد النظم من الاسلام

وفق المبادئ التي سار عليها الاخوان في مصر . على ان هذا لا ينفي اتجاههم نحو الاشتراكية او على الاصح « الاشتراكية - الاسلامية » واتجاه بعض افراد منهم خطوة ابعد من ذلك . ولكنها مهما بعدت لا يمكن ان تبلغ حد الشيوعية .

وما زال الاخوان - في اثناء قيام الحكومة العسكرية المؤقتة في سوريا سنة ١٩٥١ - يعملون تجربة نسبية ، الى ان صدر قرار بجلهم في ١٧/١/٥٢ بدعوى استغلالهم بالسياسة وهم اصلاً هيئة دينية صرفة . وقد ذكر في بعض المصادر انهم من طلاب « الحكومة الدينية » فهل هذا صحيح ؟ اما ان الاخوان في مصر من طلاب هذه الحكومة فامر فوق كل شبهة ووضح من ان يمارى فيه . ولكن الاخوان في دمشق - وسائر سوريا بالطبع - لا يطلبون هذه الحكومة بصراحة وحرارة كما هو الحال في مصر . والواقع ان موقفهم مرّ في ثلاثة ادوار . ففي دور نشأتهم سنة ١٩٣٧ لم يسيروا الى الحكومة الدينية البتة . وكان مطلبهم من الناحية السياسية يتركز في العمل على تحرير البلاد العربية والاسلامية من الاستعمار والنفوذ الاجنبي . ومن الناحية الوطنية المحلية طلبوا « اصلاح عيوب النظام السياسي بحيث يتمكن افراد الشعب من اختيار نوابه بطرق شريفة لا تأثير فيها ولا اغراء ، بحيث يتمكن نواب الامة من الاشراف على شؤون الدولة دون تميز » ، كما طلبوا اصلاح الانظمة والقوانين والمحاكم بما يحقق العدالة بين الناس وايصال الحقوق الى اربابها

ومنع البغي والعدوان والفساد». وحددوا اول غاية لهم: ب «شرح رسالة القرآن - دستور العرب والمسلمين - وعرضها بما يلائم روح العصر وابرازها للناس كاقوى رسالة واكملها» ٢٥٨ .

وفي الدور الثاني سنة ١٩٤٦ - بعد مؤتمر يبرود وفي وقت ازدهار الحركة في مصر وبلوغها اوج قوتها - قرروا ان في الاسلام من متانة الاصول التشريعية - القرآن والسنة والاجماع والقياس - ومرونتها ما يجعله متمشياً مع الزمن كافلاً لسعادة البشر في مختلف بقاعهم في حياتهم المادية والروحية . وقرروا كذلك ان الاسلام عقيدة وعبادة وخلق وتشريع ودين دولة (وازن ذلك باقوال الاخوان في مصر) . وطلبوا اعادة النظر في القوانين الجزائية والمدنية والاقتصادية والاخلاقية والتعليمية وصوغها من جديد بما يتفق مع تشريع الاسلام وروحه ويحقق مصلحة الامة وامنها ورخاءها. وفي الوقت نفسه قرروا : ان في المدنية الغربية خيراً كثيراً . وشرأ كثيراً . وان في الاخذ بما يفيد من صناعتها وعلومها قوة لنهضتنا لا غنى عنها . وكل تجديد نافع لا يذيب شخصية الامة ولا ينافي فضائلها الاصلية هو قوة جديدة تدعم كيانها وتضمن مستقبلها .

ومن الواضح انهم لم يتعرضوا للدستور ولا لنظام الحكم القائم يومئذ - الجمهوري - ولا للسياسة بصورة صريحة . فهل ابطنوا في نفوسهم «الحكومة الدينية» ولم يفصحوا عنها ؟ ولم لم يطلبوا اعادة النظر في الدستور كي يتفق مع التشريع الاسلامي وروحه ؟

وفي الدور الثالث ، في سنة ١٩٥١ ، حين وضع دستور جديد للدولة السورية دعا الاخوان الى ان يكون في صلبه نص على ان دين الدولة الاسلام - كما هو الحال اليوم في مصر والاردن والعراق وايران وافغانستان والعربية السعودية واليمن - ولكن المجلس عدل هذا الطلب بان نص على ان يكون الاسلام دين رئيس الجمهورية فقط . ويبدو ان الاخوان قبلوا بذلك او على الاقل نزلوا عند حكم الاكثرية . ولكن هذا النص المطالب لا يعني ان تكون الدولة دينية . فالدول المذكورة سابقاً ليست كلها دينية تماماً . وهي جميعاً تنص على حرية العقيدة والعبادة لجميع مواطنيها . وبعضها جدد نظام الحكم فيها على اسس غربية ٢٥٩ . والاتجاه نحو هذا التجديد يتزايد مع الزمن . وهذا الواقع خلاف مطلب الاخوان في مصر ، كما تبين سابقاً . وعلى كل فالذي يستخلص من شواهد الحال ان الاتجاه نحو حكومة دينية في سوريا عامة وفي حلقات الاخوان خاصة اضعف جداً بما هو في مصر . وحركة الاخوان في سوريا اقل نشاطاً وانتشاراً مما هي في مصر .

اما فروع فلسطين فتأسست سنة ١٩٤٦ - اي بعد فروع سوريا بنحو عشر سنوات - في اثناء ازدهار الدعوة في مصر . وكانت البواعث خارجية . وكانت فلسطين تعاني اضطراباً سياسياً عنيفاً يصرفها عن التفكير في اية شؤون دينية . ولكن جريدة الاخوان كانت تصل الى فلسطين كل صباح بانتظام ،

وفيه مقالات عنيفة في الدفاع عن حقوق العرب السياسية . كما سبق ان اشترك الاخوان في جهاد الفلسطينيين في اضطرابات ١٩٣٦ - ١٩٣٩ اشتراكاً ضئيلاً نسبياً بالقياس الى اشتراكهم في القتال سنة ١٩٤٨ على ان عدداً كبيراً من رجال الدين - ولا سيما في حيفا - سبق ان اسسوا جمعيات ذوات صبغة دينية ، وان لم تكن ذوات مناهج شاملة كمناهج الاخوان في مصر .

يضاف الى هذا الجو ان الاخوان في مصر اخذوا يرسلون الرسل الى فلسطين يبسطون الدعوة بسطاً وافياً في المساجد ، ويتناولون الناحية السياسية بالمعالجة المتفقة مع الرغبات القومية .

ونتيجة عن ذلك ان انتشرت الدعوة اولاً على اللسان ثم صار لها انصار ومؤيدون . ثم جاء مندوب من قبل الاخوان (عبد المعز عبد الستار) واحتفل بافتتاح فرع في القدس في ١٩٤٦/٥/٥ حضره ما يزيد عن الف شخص . وبما ذكره المندوب ان الدعوة ليست عنصرية ولا طائفية . وتكلم في هذا الاجتماع جمال الحسيني نائب رئيس اللجنة العربية العليا وقال انه تمنى منذ تسع سنوات ان تنشر دعوة الاخوان في فلسطين ، وان امنيته قد تحققت الآن . واعلن انضمامه الى الاخوان وحلى صدره بشعارهم .

وبعد انتهاء الاحتفال جمع مبلغ ١٨٧١ ج فلسطينياً لبناء دار . واخذ فرع القدس فيما بعد ينظم المحاضرات ، يلقيها فلسطينيون ، وحياناً زوار من اخوان مصر . وفتح نادياً خاصاً ذا مكتبة . ثم ارتفع المبلغ المجموع الى ٦٥٠٠ ج . ف .

واستطاع فرع القدس ان يستملك قطعة ارض من الاوقاف الاسلامية ليقيم عليها داراً . ووجد تشجيعاً كبيراً من مختلف طبقات الشعب . على انه لم يكن مستقلاً او شبه مستقل كفرع دمشق مثلاً ، بل كان فرعاً من فروع الاخوان في مصر ، تابعاً لهم في المنهج والعقيدة .

وحين وقع القتال سنة ١٩٤٨ اشترك بعض الاخوان الفلسطينيين فيه واتخذوا من الدار مقراً للجهاد . ثم اقل باحتلال القدس الجديدة . وبعد استقرار الحالة نسبياً في القدس عاد الفرع الى نشاطه بصورة ضيقة جداً . وكان ينشر سنة ١٩٥١ في احدى الجرائد القدسية اليومية (الدفاع) مقالات طيلة شهر رمضان يتحدث فيها عن الدين والسياسة على طريقة الاخوان في مصر .

ثم انشئت الفروع في سائر مدن فلسطين . فانشى فرع في يافا ، وفرع في اللد وفرع في حيفا انضمت اليه جماعتا (انصار الفضيلة) و (الاعتصام) وهما جمعيتان اسلاميتان . وكان ذلك بحضور مبعوث المركز العام في القاهرة (عبد المعز عبد الستار) .

وانشى فرع في طولكرم ، بحضور المبعوث ايضاً . وبعد ذلك بقليل - ١٨ اكتوبر ١٩٤٦ - عقد مؤتمر عام في حيفا حضره ممثلون عن لبنان والاردن وفلسطين استعرض فيه حال فلسطين السياسية ، واتخذ قرارات منها : اعتبار حكومة فلسطين مسؤولة عن الوضع السياسي المضطرب ، وتأييد الجامعة العربية ، ومطالب مصر بالجللاء ووحدة وادي النيل ، وعرض قضية فلسطين

على مجلس الامن ، وتأييد المشاريع التي ترمي الى انقاذ الاراضي ، وعدم اعترافهم باليهود الطارئین على البلاد ، وتعميم شعب الاخوان ، وتحيّة المرشد العام في مصر ، وشكر الاخوان في البلاد العربية .

وهذا الاتجاه السياسي المحض متفق والاتجاه الذي سار فيه الاخوان في مصر . فقد اتجه الاخوان في هذه المرحلة كلياً الى السياسة واضحى الهدف الديني ثانوياً .

وانشئت في الوقت نفسه فروع في الاردن . ويبدو ان الملك عبدالله بارك هذه الحركة وآزرها . فقد طلب الى مندوب الاخوان ان ينقل تحياته الى الاخوان المسلمين راجياً ان تكون حركتهم لا مرمى لها سوى التفاني في مرضاة الله والعمل لوجهه ولفائدة الاخوان المسلمين . وكلفه ان يدعو المرشد الاكبر الى زيارة الاردن باسمه ٢٦٠ .

وظلّ فرع عمان مستمراً في اثناء قتال فلسطين وبعده الى هذا اليوم . ولكنه محدود النشاط مقيد بالاوضاع السائدة . على ان لوجوده دلالة . فقد امتدت الدعوة حتى بلغت سوريا وفلسطين والاردن . واصبحت الاسلاك متصلة ما بين مصر وهذه البلدان .

ويبدو ان الاخوان جدّدوا نشاطهم في لبنان سنة ١٩٤٩ . ولكنهم احتفظوا بطابع خاص ينسجم مع بلد « الطوائف والطائفية » فاعلنوا « اننا لا نعيش في هذا الوطن وحدنا وانما هناك طوائف اخرى شقيقة يجب ان نتعاون واياها على اصلاح

الوطن وحمايته ... ونعلم ان الدين لله والوطن للجميع وان لكل فريق حقاً يرضيه . وبرروا وجودهم بكثرة الاحزاب . وركزوا هدفهم في شقين . الاول : اصلاح الدار . والثاني : التعاون مع الجار . واوردوا تحت الاول ثمانية عشر بنداً تتصل باصلاح حال المسلمين الداخلية ، وتحت الثاني المحافظة على حقوق الطوائف الاخرى والتعاون معها لحفظ الوطن واقرار السلام والمحبة ومحاربة الطائفية العمياء والمتاجرة بالدين .

اما السياسة فقد نصوا على «عدم التدخل في الامور السياسية التي لا تمسّ كياننا ولا تنافي مصلحة الامة والوطن» . ولكنهم في الوقت نفسه ذكروا انه سيكون لهم (فيالق) رسمية ذات قائد اعلى يكون من اعضاء (الهيئة العليا للجماعة) . وشرطوا للانتساب اليهم عدم الانتساب الى اية جماعة او هيئة او منظمة اخرى . وجاروا منصب (المرشد العام) في القاهرة بان منحوا (الواعظ العام) كثيراً من امتيازاته في التعيين والاشراف . وبلغوا ذروة الطرافة حين اعلنوا انهم يمنحون اوسمة على خمسة عشر نوعاً تبدأ بوسام الكعبة وتنتهي بوسام الانصار !

ولا يشيرون الى اية صلة بينهم وبين الاخوان في مصر او على الاقل في سوريا . ويظهر انهم اكتفوا بان جعلوا شعارهم - سيفان يتوسطهما مصحف - بمثابة رمزاً الى الوحدة ٢٦١ .

ويبدو ان نشاطهم ظل محدوداً للغاية او مستوراً للغاية ، مع ان جماعة (عباد الرحمن) اظهرت نشاطاً ملحوظاً . فاصدرت

سلسلة نشرات صغيرة تحتوي على وصايا دينية واجتماعية ٢٦٢ .
والقت احاديث دينية في الجوامع . واستلها ندوة . وجعلت لها
مطبعة . والذي يبدو من منشوراتها انها تحاول ان تنهج على
منوال (الاخوان المسلمون) في القاهرة بصورة متواضعة .

وربما كان غريباً ان يحىء دور السودان متأخراً عن سوريا
ولبنان وفلسطين . فقد قامت اول محاولة لتأسيس فرع للاخوان
في ام درمان في شهر يونيو ١٩٤٦ إثر تنصيب فتاة مسلمة على
يد الارسالية الانجيلية في تلك المدينة . ولكن هذا الفرع انشئ
لغرض نشر الدين الاسلامي ومقاومة التبشير في السودان نتيجة
للحادثة المذكورة . واعتبر هذا الفرع تجزئاً شعبة من شعب
الاخوان .

وفي شهر اكتوبر ١٩٤٦ ارسل المركز العام عضوين من
اعضائه البارزين الى السودان لزيارة شعب الاخوان فيه ، او في
الواقع ، لنشر الدعوة وانشاء الفروع . وقصد العضوان ام درمان
التي اظهرت ميلاً الى ربط جمعيتها الاسلامية بالاخوان في مصر .
ثم قصدا الخرطوم وزارا دور الهيئات والاحزاب السودانية
وكبار رجالات السودان واخذوا يشرحان لهم حقيقة الدعوة وان
الاخوان في مصر هم اقوى صوت يحارب فصل جنوب الوادي
عن شماله . ويظهر ان السودانيين كانت تساورهم بعض الشكوك
حول هذه الدعوة فجلاها المندوبان ورداها الى الانجليز .

واتفق المندوبان مع اعضاء الشعبة الرئيسية في ام درمان

على نشر الدعوة في السودان ورسمًا لذلك الخطط . وتمكنا في أيام قليلة من افتتاح عدد من الشعب في بلاد الجزيرة . ثم اتجها الى غرب السودان - وكانت اخبار الدعوة قد وصلتہ إثر زيارة قام بها بعض الاخوان في السنة السابقة - فزارا دور الاخوان والوجهاء وتحديثا عن الدعوة وعملها لاعادة مجد الاسلام . وتمكنا من فتح ٢٥ شعبة في الاماكن المحيطة ببور سودان وعطبرة والدامر وشندى .

وبهذه الزيارة تم فتح السودان في وجه الدعوة بعد مضي نحو عشرين عاماً عليها في القاهرة . ولذا اعتبروه آخر ارض خصبة لدعوتهم . وكانت البعثة تخطب في السوق وفي الجوامع ، وتأخذ البيعة بالولاء بعد استيضاح السودانيين حقيقة الدعوة واهدافها ٢٦٣ .

وانتشرت الدعود في بعض بلدان شمالي افريقيا وشرقيها فارسلت الجمعيات والهيئات الاسلامية في اسمره (باريتريا) الى المركز العام في القاهرة تخبره انها اعتزمت ان تطلق على نفسها اسم (الاخوان المسلمين) وتطلب اعتماد تسجيل الاخوان في اسمره وبلاد اريتريا ، وتأخذ على نفسها نشر الدعوة في بلاد شرقي افريقيا ٢٦٤ .

وتأسس في تطوان (بالمغرب الاقصى) مركز عام تتفرع منه الفروع في سائر انحاء المغرب الاقصى . واسس فرع في مدينة (القصر الكبير) وتقيّد المركز العام في تطوان باوامر المركز

العام في القاهرة ، وتولى التنفيذ والتطبيق بشعب المغرب .

ووصلت الدعوة الى تونس وصرّح رئيس وزرائها في اثناء مروره بالقاهرة « ان اسم الاخوات المسلمين يملأ العالم نوراً وهداية ، واسم الاستاذ البنا يتردد على جميع اللسان كمصلح ديني واجتماعي يرجون على يديه خيراً كثيراً » ٢٦٥ . ولكن لا يعرف عن وجود فرع فيها ، ولا في الجزائر وطرابلس .

وذهبت الى الحجاز بعثة برئاسة البنا نفسه في شهر اكتوبر ١٩٤٦ لاداء الفريضة ونشر الدعوة . واتخذت لها مقراً في مكة وتوافد الاخوات من شعب فلسطين وسوريا والمغرب الاقصى والسودان والهند والقيت فيها الكلمات حول مستقبل الاسلام وأوطان المسلمين باللغتين العربية والانجليزية ٢٦٦ .

والراجح انهم لم يفتحوا لهم فرعاً في البلاد السعودية مع قيام الصلة الوثيقة بين دعوتهم والحركة الوهابية من جملة نواح . ولعل ذلك راجع الى السياسة التي جرت عليها هذه المملكة بعدم السماح بقيام جمعيات فيها .

وفي فترة الازدهار ايضاً - وربما كان ذلك سنة ١٩٤٧ - قدّم احد المحامين في بغداد الى الحكومة العراقية طلباً بتأسيس فرع للاخوان فرفض طلبه . ولكن افراداً من الشعب ، من المحامين وطلاب الجامعة ، ولا سيما من لواء الموصل ، كانوا من اتباع الدعوة . ولوحظ في اثناء الوثبة - اي الثورة على معاهدة بورتسموث سنة ١٩٤٨ - ان من جملة النداءات التي كان يهتف

بها المتظاهرون نداء الاخوان المسلمين « الله اكبر والله الحمد » مما يدل على ان افراداً كانوا ينتسبون الى الدعوة . وسجن أفراد اثر الوثبة عرفوا بميولهم نحو الاخوان . يضاف الى ذلك ان مكتبة من مكاتب بغداد سميت « مكتبة الاخوان المسلمين » وكانت تبيع مطبوعات الاخوان . وصاحب هذه المكتبة اصدر بعد ذلك جريدة اسمها جريدة (السجل) ، ولكنها لم تنطق باسم الاخوان . ومرء بالعراق احد دعاة الاخوان بقصد الترويج للدعوة . ولكن فرعاً رسمياً لم يفتح .

وظروف العراق بوجه عام لم تُعِنْ على انتشار الدعوة فيه على نطاق واسع . فمن جهة هناك الشيعة الذين لا يستحسنون هذه الدعوة . وقد ذكر احد الطلاب الشيعيين الذين انتسبوا الى الدعوة في القاهرة ان بعض الشيعيين عتبوا عليه لانضمامه الى الدعوة . ومن جهة ثانية فان الحكومة ما كانت لتسمح بانشاء حزب او هيئة ما دون الحصول على اذن منها . ويبدو ان سياسة الحكومة اجمالاً لم تكن تنظر الى الدعوة نظرة تشجيع . وربما كان لموقف الاخوان المتطرف من الانجليز علاقة بذلك . ومن جهة ثالثة وجدت في العراق جمعية الشبان المسلمين ، وهي تسد الحاجة الى حد ما . وما تزال هذه الجمعية قائمة في العراق ، وان كان معظم اعضائها من السنين .

وبسبب هذه الظروف ظل النشاط مستوراً . وقيل ان جمعية « الاخوة الاسلامية » في بغداد التي يرئسها الشيخ أنجد

الزهاوي ، ويؤجّه نشاطها الشيخ محمد محمود الصواف ، جمعية اخوانية . وقد أُعيد طبع عدد من كتب الاخوان في بغداد ، وأسست مطبعة لنشر الرسائل الاخوانية .

ويلاحظ امران في العراق . الاول ان الحركة القومية قوية . والثاني ان الرأي الاسلامي موزع بين فرقتين كبيرتين تكادان تتعادلان . وزعماء كل من الفرقتين يتشدّدون في الدين تشدّداً عظيماً . ولهذين الامرين يضيق مجال العمل امام الاخوان ، وينفسح في شمالي البلاد اكثر من انفساحه في جنوبها .

وذكرت جريدتهم ان افراداً وهيئات اسلامية في امريكا كتبوا الى المركز العام يطلبون برامج الاخوات وتوجيهاتهم ويبدون الرغبة في تسجيل اسمائهم في الاخوات ويعرضون استعدادهم لتكوين جبهة اخوانية في امريكا تعمل لتخليص الازدهان من الشوائب التي عقلت بها بتأثير الدعايات السيئة التي ينشرها خصوم الاسلام والصهيونيون . وذكرت كذلك ان المركز سيرسل اليهم مذكرة مطبوعة وافية عن الدعوة والاسلام ٢٦٧ .

وفي بعض المناسبات اُتّاب الاخوان عنهم نواباً من الطلبة لحضور مؤتمرات عقدت في انكالترا وفرنسا لدراسة حال البلدان العربية والشؤون الاسلامية . وابدوا اهتماماً خاصاً بهذه المؤتمرات بغية ايصال الدعوة الى اوروبا عن طريق الشبان المتعلمين الذين يعنون بقضايا بلادهم السياسية قبل كل شيء آخر . وقد كانت

لاتجاه الدعوة اتجاهاً كبيراً نحو السياسة ، ومعالجة قضايا جميع البلدان العربية والاسلامية على النحو الذي نعالج فيه القضية المصرية ، كان لهذا اثر كبير في استرعاء عناية الشباب بحركة الاخوان ، اياً كانوا ، في اوطانهم او في اوروبا وامريكا .

اما شعبهم في العالم الاسلامي غير العربي فلا نعرف عنها شيئاً . وتذكر مصادرهم انه كانت لهم شعب في اندونيسيا وسيلان والباكستان وايران وغيرها ٢٦٨ . والراجع ان بعض الجمعيات الاسلامية في تلك البلاد آختهم او ثبتت حركتهم .

ولقد بلغ اهتمام المركز العام حداً ان انشأ « قسمًا خاصاً للاتصال بالعالم الاسلامي والبلاد العربية » . وكانت رسائل البلدان العربية الاسلامية ترد الى هذا القسم فيتولى الاجابة عنها ، وغنه تصدر التوجيهات الى الافراد والهيئات في خارج مصر . وكان هذا القسم يجمع من المعلومات عن العالم الاسلامي ما لا يتوافر في جمعية اخرى .

والواقع ان الاخوان توسلوا بكل وسيلة ممكنة لبث دعوتهم في الخارج ، اولاً لجذب القلوب نحوها وكسب الاصدقاء ، وثانياً لتأسيس الفروع . واتسع نشاطهم في هذا المضمار سنة ١٩٤٦ في مرحلة الازدهار . واعانهم على ذلك صدور جريدتهم اليومية (في ٥ مايو ١٩٤٦) التي فتحت صدرها لمعالجة قضايا البلدان العربية . ومن يراجع هذه الجريدة يجد انها خصصت قسمًا كبيراً من اعمدتها للبلدان العربية . وكان محرروها يتصلون بالشخصيات

البارزة من العرب والمسلمين الذين يزورون القاهرة او يبرون بها
للتحدث اليهم في شؤون بلادهم . وكان نشر الاحاديث يثير
اهتمام قرائهم في البلدان العربية . يضاف الى ذلك ان كثيراً
من كبار الزوار كان يزور المركز العام ويتحدث عن شؤون
بلادهم ، فتتعدد بذلك الصلة بين مصر والخارج . واذا لوحظ ان
الاخوان المسلمين كانوا الهيئة المصرية الوحيدة التي تُعنى جدياً
بشؤون العرب والمسلمين في خارج مصر وتشاركهم في بحث
احوالهم وتنصرهم على خصوصهم السياسيين (الذين هم في الغالب
فريق واحد في مصر وخارجها) بان ما يكسبونه من عطف
ومؤازرة ، وكيف ان التربة كانت ممهدة احسن تمهيد لقيام
فروع لهم في الخارج . وهذه احدى خصائص هذه الحركة
الجديدة في الاسلام . فلا يعرف تاريخ المسلمين منذ عهد طويل
حركة دينية - سياسية تغلغلت الى كثير من البلدان العربية
والاسلامية وكسبت المؤازرين والانصار كما فعلت هذه الدعوة .
وبما اعانها على النجاح في الخارج بروز العنصر السياسي على العنصر
الديني . فلو كانت حركة دينية محضة لكان انصارها من طبقة
معينة . ولكن اتجاهاها نحو السياسة التحررية والانحياز الى جانب
الوطنيين في كفاحهم الاجنبي دوت اثاره النعرات الدينية او
الطائفية جذب اليها انصاراً من جميع الطبقات ، ومن ذلك
طبقة الشبان المتعلمين ورجال السياسة . فهي في الخارج اقرب
الى الحزب السياسي منها الى الهيئة الدينية .

يضاف الى ذلك انهم فطنوا مسبقاً الى وجود خلافات
مذهبية في البلاد العربية والاسلامية — كالسنة والشيعة والعلويين
الخ — فصمموا على اغفالها اغفالا تاماً ، منذ البداية ، واعتبروا
المسلمين جميعاً كتلة واحدة يجمعها القرآن . وقد اشاروا الى
هذا المعنى في كتاباتهم وخطبهم كثيراً فكسبوا عطف الجميع .
وارادوا في بعض البلدان ان يجذبوا اعضاء من الفرق الاسلامية
المنحرفة عن السنة . والواقع ان عدداً من تلك الفرق اشترك
في الدعوة في مصر وخارجها .

وبعد يحسن بنا ان نبدي رأينا بصراحة واخلص في هذه
الدعوة ، ذاكرين مالها وما عليها .

•

الفصل الثامن

تحليل الدعوة

ان الفصول السابقة تهدف الى اعطاء صورة كاملة قدر المستطاع لدعوة الاخوان المسلمين مدعومة بالنصوص المنقولة من كتبهم ومنشوراتهم . وكان العمل الى الآن ، شبه يجمع اجزاء صورة منقطعة كالتى يلعب بها الصغار ، لتتكوّن منها صورة مطابقة للاصل . وهذا العمل سهل الى حد ما لأنه لا يتطلب سوى درس المنشورات الاخوانية ، وانتزاع الحقائق التي تمثل حركتهم وعرضها بدقة ووضوح وتجريد عن الغرض .

ولكن الدعوة تستحق درساً عميقاً ، ونظراً شاملاً ، ونقداً علمياً لابرار خصائصها . ففي احيان كثيرة لا يكفي ان تعرض الصورة امام المشاهدين ، بل لا بد من كتابة شرح في اسفلها يعين المشاهدين على تفهمها وتدوقها ، ولو جاء هذا الشرح بمثل رأى فرد واحد هو صاحب الشرح ، قد يتفق وآراء المشاهدين او يختلف .

وقد أُلّف في هذه الدعوة ما لم يُؤلّف في دعوة مثلها في العالم الاسلامي . ولكن الكثرة الكبرى كانت تقصد نشر

الدعوة والترويج لها واظهار محاسنها. ويكفي ان تكون صادرة عن الاخوان انفسهم حتى تكون كذلك . وأُلف في نقد الدعوة كتاب او كتابان . وعيب هذا التأليف انه قصد الى تجريح الدعوة وتسفيه آرائها واظهار مساوئها . ولذلك لا يصح ان يركن اليه . ولا نعرف كتاباً نظر الى الدعوة نظرة علمية او مجردة عن الهوى - معها او عليها - وحاكمها على ضوء الحركات الاسلامية السابقة ، وعلى مقوماتها الذاتية ، واثرها في الحياة العامة في مصر وسائر البلدان التي ظهرت فيها ، ايجاباً او سلباً . وهذا العمل على جانب كبير من الصعوبة والدقة ويتطلب من التجرد والاناة والعمق والاطلاع الواسع وتوافر المؤلفات الاخوانية من كتب ونشرات ومجلات وجرائد ما لا يكاد يتيسر لاحد . وعلى ذلك فسيظل التحليل مشوباً الى حد ما بنظرة ذاتية ، وسيظل بعيداً عن الكمال ، الى ان تصبح الحقائق التاريخية - المتعلقة بالدعوة - اكثر وضوحاً ، وابعـد عن ملابسات الحوادث الجارية . وعلى كلٍ فهذا التحليل يُفرض فيه ان يكون اقرب الى الصواب من مؤلفات الانصار والخصوم على السواء .

تتصف هذه الدعوة ، بالنسبة الى الدعوات الاسلامية السابقة ، بأربعة امور :

الاول الشمول ، والثاني التنظيم الدقيق ، والثالث الشعبية ، والرابع التفاعل مع الاحداث المحلية في مصر .

اما الاول - الشمول - فقد استخلصوه من الدين ،
 إذ انهم فهموا تعاليم الاسلام انها شاملة شؤون الناس في الدنيا
 والآخرة ، لا روحية او عبادية فحسب . ولذلك قالوا عبارتهم
 المشهورة : « الاسلام عقيدة وعبادة ووطن وجنسية ودين ودولة
 وروحانية وعمل ومصحف وسيف » . ووضعوا منهاجهم ،
 حسب هذا المفهوم شاملاً جميع نواحي الحياة الروحية والعلمية
 والاجتماعية والاقتصادية والصناعية والزراعية والسياسية والحربية
 واية ناحية اخرى تتصل بالدين او الدولة بسبب من الاسباب .
 ولا يعرف تاريخ الاسلام « دعوة » بهذا المفهوم الواسع الشامل .
 فقد ظهرت حركات سياسية ، وحركات روحية ، وحركات
 اصلاحية ، اما الحركة الشاملة لجميع الحركات بلا حصر فهي هذه
 الدعوة . ونتج عن ذلك ان أغرق الدين بطوفان من الظواهر
 غير الروحية . وربما صحّ ان يسأل سائل : ما علاقة الدين
 بشركة تجارية او مزرعة تعاونية او فرق كشفية ؟ وقد أثاروا
 هم انفسهم هذا السؤال ، وقدروا ان يبدو عملهم هذا متناقضاً .
 وردّوا قائلين : « هذه مظاهر قد يراها الناس متنافرة ولا يلتئم
 بعضها ببعض . ولو علموا انها جميعاً يجمعها الاسلام ، ويأمر بها
 الاسلام ، ويحضّ عليها الاسلام ، لتحقيقوا فيها مظاهر الالتئام
 ومعاني الانسجام ٢٦٩ » . وردّهم هذا يشرح مفهومهم الخاص
 للاسلام او الدين جملة .

ولئن كانوا يقصدون ان الدين يقيم في قلب المؤمن ضميراً

حياً يلزمه في حركته وسكونه ، في حله وترحاله ، في عمله وفي اوقات فراغه ، فذاك قصد له مبررات ، ويلتقي عليه كثير من المفكرين. وان كانوا يقصدون ان الدين يُشرع لهذه المظاهر الدنيوية ويفرض سلطانه عليها ويحدد سلوك الفرد فيها فقد غالوا في مفهوم الدين، ووضعوا امام السائرين في الدنيا مزالق لا يؤمن فيها العثار. وهو قصد مستبعد لانه لا يلتئم مع ما قرّره (البنا) من ان الشعوب الغربية وصلت « من حيث العلم والمعرفة واستخدام قوى الطبيعة والرقى بالعقل الانساني الى درجة سامية عالية يجب ان يؤخذ عنها » ، كما يجب ان يؤخذ عنها « التنظيم والترتيب وتنسيق شؤون الحياة العامة تنسيقاً بديعاً » . وقوله : « الحضارة الغربية والحياة الغربية قامت على العلم والنظام فاوصلها المصنع والآلة الى جبي الاموال والثمرات وملكها نواحي الامم الغافلة ٢٧٠ » . واقوال (البنا) هذه تدل على الانصاف وبعد النظر ، وهي في الوقت نفسه تنحّي العصبية الدينية عن العلم والمعرفة والتنظيم التي هي ميراث الحضارات المتعاقبة . واقحام الدين فيها عدا كونه مخالفاً للواقع ، يصبغها بصبغة خاصة وينفر الناس منها ، بما يؤدي الى الانزعال العلمي والفكري ، وشلل بعض الجماعات الانسانية شللاً تاماً .

ولنا ان نسأل: وما الذي حمل الاخوان على مطّ الدين على هذا النحو ؟

الواقع ان الذي حملهم على ذلك عوامل داخلية اقتصادية

وسياسية . فقد رأوا معظم الشركات اجنبية . ورأوا السياسة تحرس هذه الشركات وترعاها . ورأوا الدين عاملاً فعالاً في التقدير والترغيب في آنٍ واحد . فتوسلوا به ، وادخلوه هذا المدخل . ولغلبة العصبية الدينية اقبل المصريون على شركاتهم جميعها . وطالما بررت الغاية الوسيلة .

على ان شركاتهم هذه الصناعية والتجارية والزراعية كانت اسلامية اسماً ، وفنية محضة عملاً . فآلات الصناعة والزراعة والتجارة من صنع الغرب . وقد ذكر انه شوهد في مزرعتهم من الآلات الحديثة ما لم يُر مثلاً الا في السينما ٢٧١ . وهذا يدل على ان الالهة دينية والعمل فني غربي. ولو لم يكن الامر كذلك لما نجحت بل لما وجدت .

والصفة الثانية هي التنظيم الدقيق الذي لا يعرف له مثل حتى في الحركات الاسلامية السرية (الباطنية) ، لسبب بسيط ، وهو ان الدعوة جاءت بعد تلك الحركات بنحو الف سنة فاستفادت منها كما استفادت مما جدّ من حركات في الغرب . ويبدو ان المؤسسين اطلعوا على جميع الانظمة التي تيسر لهم الاطلاع عليها ، حيثما كانت ، اسلامية ام غربية ، ودرسوها دراسة دقيقة ، واخذوا منها ما يلائم الدعوة . اما الزعم انهم اقتبسوا نظاماً معيناً على سبيل التقليد - كما يدعي خصومهم - ٢٧٢ فلا مبرر له .

لقد كانت جمعيتهم اشبه بساعة مضبوطة ، كل قطعة فيها

تعمل بالتعاون مع سائر القطع . وكالساعة ايضاً يمكنك ان ترى بعض قطعها ولا يمكنك ان ترى قطعاً اخرى لانها موضوعة بحيث لا ترى ، ولكن بين ما يرى وبين ما لا يرى صلة اكيدة .

وليس هذا التشبيه من باب البيان . فهو مقصود لظهار مواهب البناء ، المرشد العام والمؤسس ، الذي كان ولا شك على جانب عظيم من المقدرة على التنظيم ، ولربط هذه القدرة بصناعة الساعات التي احترفها والده واحترفها هو فترات قصيرة عن رغبة وميل . فالبنا ساعاتي موهوب للغاية حقيقة ومجازاً . صنع ساعة انسانية بمهارة فائقة ، ونظم اجزاءها ادق تنظيم ، وكانت عقاربها تسير بغاية الضبط . ويقول الذين شاهدوا تطور الحركة عن كسب واحتكوا بالبنا احتكاً شخياً انه كان يشرف على كل صغيرة وكبيرة سواء اظاهرة كانت ام مخفية . ولتثبيت هذا الاشراف واعطائه الصبغة الشرعية نصت المادة ١٣ من قانون النظام الاساسي على ان تبايعه الهيئة التأسيسية والاخوان في الشعب المختلفة عن طريق رؤسائهم ، ويجددوا بيعتهم معه لاول لقاء يجتمعون به فيه على « السمع والطاعة » . ونصت المادة ٢١ على ان يقسم اعضاء المكتب بالله على ان يكونوا حراساً امناء لمبادئ الاخوان ونظامهم الاساسي واثقين بقيادتهم منفذين لقرارات المكتب العام القانونية « وان خالفت آراهم » .

وقسموا الاعضاء الى مراتب ، صف اول وصف ثالث ،
وعضو مؤيد وعضو عامل . ولا يجتازون هذه المراتب الا بعد
اجتياز اختبارات معينة . ومتى بلغ العضو مرتبة « العضو العامل »
حق له ان يحضر اجتماعات خاصة يعقدها البناء نفسه .

وتيسيراً لمهمة الاشراف على هؤلاء الاعضاء العاملين كانوا
يقسمون الى وحدات روحية هي : النواة والخلية فالاسرة
فالكتيبة . ويرئس كل وحدة نقيب مسؤول عنها من الناحية
التوجيهية . واذا وجد في شعبة واحدة كتيبتان او اكثر كوّنوا
جميعاً « مجموعة » يكون تقباؤها مسؤولين امام رئيس الشعبة
الذي يعتبر من الوجهة الروحية النقيب العام لجميع الاعضاء
العاملين .

وحين تعددت (الشعب) اعتبرت كل شعبة وحدة ادارية
لها مجلس ادارة تختاره الجمعية العمومية . وربطت هذه الشعب
ربطاً محكماً بالمركز العام عن طريقين : الاول ان يخطر
المركز العام بجدول اعمال هذه الشعبة قبل اجتماع الجمعية العمومية
بعشرة ايام على الاقل ليتسنى للمركز العام ان يوفد من يمثله فيه .
والثاني اشترط لصحة القرارات التي تتخذها الجمعية العمومية
للشعبة ايّاً كانت « موافقة المكتب عليها » . والمكتب العام هو
الذي له حق تثبيت او رفض الشعبة الجديدة وهيئتها الادارية ،
وحق حلها كذلك .

ولتوزيع الاعمال وتأمين سيرها ألف المكتب العام لجاناً

متعددة ، كل لجنة تختص بدراسة ناحية من نواحي نشاطه العام او نشاط احد الاقسام . كما ألف اقساماً لتولي الاعمال الرئيسية التي يضطلع بها كقسم الخدمة الاجتماعية والقسم الرياضي ، وقسم الاتصال بالعالم الاسلامي الخ .

وجعلوا « المركز العام » مقر القيادة . وألفوه من الهيئة التأسيسية (نحو مائة عضو) ومن مكتب الارشاد العام (اثنا عشر عضواً من اعضاء الهيئة التأسيسية يرشحهم المرشد بنفسه) . ومكتب الارشاد العام يرثه البناء . ويقسم اعضاؤه اليمين على حراسة مبادئ الاخوان ونظامهم الاساسي والثقة بالقيادة وتنفيذ القرارات .

وينعقد كل سنتين مؤتمر عام من رؤساء شعب الاخوان بدعوة من المرشد العام .

وكانت تلقى احاديث في بعض ايام الاسبوع بانتظام بالمركز العام . فحديث يوم الثلاثاء عام . وحديث يوم الخميس خاص بالطلبة .

وكانت لهم فرق عسكرية تسمى « الجواله » تتعلم النظام العسكري وتتبع الشعب . ولكل شعبة جواتها في الغالب .

هذه هي الاجزاء الظاهرة من آلة الساعة باختصار . وهي لا بد من ان تكون مقتبسة من عدة مصادر شرقية وغربية .

اما القسم الخفي من اجزاء الآلة فكان يسمى (النظام الخاص) - السري - وهو يتألف من الاعضاء العاملين المخلصين

ويقابله « المحيط العام » وهو الذي يتولى النشاط الظاهر .

ويتكون هذا القسم الخفي حسب وصف النيابة ٢٧٢ من مجموعات . ولا ينتسب اليه الا الاعضاء الذين وقفوا على سيرة حياتهم مفصلاً . فعلى كل واحد منهم ان يقيد اعماله اليومية من حيث تلاوة القرآن وحفظه وتلاوة (المأثورات) ٢٧٣ وتلاوة ورد الرابطة والقيام بالالعاب الرياضية صباحاً ومساءً والصلاة حاضراً . وعليه ان يقدم جدولاً شهرياً بهذه الاعمال . وعلى اعضاء هذا القسم ان يتلقوا دروساً معينة تنتظم في اربعة مراحل . والمراحل تشمل دراسات ادبية وروحية ودينية ودراسات في استعمال السلاح ، ودراسات في القوانين ، ودراسات في الاسعافات الاولى . وعليهم كذلك ان يخضعوا لكشف طبي لفحص قوة الابصار وسعة الصدر والحالة العصبية الخ . . وفي نهاية كل مرحلة يجتاز العضو فحصاً نظرياً في المواد التي درسها . وبعد اتمام هذه المراحل تأتي البيعة يتلقاها المرشد او من ينوب عنه . ويؤديها كل عضو على انفراد في غرفة مظلمة . وفيها يقسم العضو على الطاعة - على مصحف ومسدس - ويخبره آخذ البيعة عن السبب في انشاء هذا النظام وعن الجهاد في سبيل الله باعتباره الوسيلة الوحيدة لنصرة الاسلام ، وينذره بانه ان افشى سراً من اسرار النظام فجزاؤه الموت . ويكون لكل عضو رقم خاص سري . وهم في الغالب يؤلفون مجموعات صغيرة تتكون من خمسة يديرها رئيس . وهذا كله مما وصلت اليه

نيابة وذكرته في مرافعتها .

اما مهمة اعضاء القسم الخاص بتنفيذ الاوامر التي تصدر لهم .
وهي في الغالب تتعلق بالجهد او القتال على اي وجه من
الوجوه .

هذا هو عمل الاجزاء الخفية من الساعة بقدر ما وصلت اليها .
ومن الصعب التثبت من صحتها كلها . ولكن الراجح انها صحيحة
جملة . وانها جزء من « الدعوة » .

وقد حاول بعض الذين اطلعوا على هذا النظام الخاص ان
يربطوه بنظام (الحشاشين) او (الباطنية) - التي هي من
الاسماعيلية - الذي سار عليه حسن الصباح . ومن الصعب
القطع في ذلك . وعلى كل فالثابت انهم - كما ذكر سابقاً -
استفادوا من جميع الانظمة التي اطلعوا عليها شرقية وغربية
اسلامية وغير اسلامية . وانظمتهم المتعلقة بالوسائل مزيج من
الانظمة السلفية والصوفية والباطنية والنازية وربما الشيوعية .

وبعد هذا العرض الموجز لنظامهم لا يسع الباحث إلا ان
يعترف بانه اولاً نظام دقيق محكم . وانه ثانياً مزيج من انظمة
متنوعة . وانه ثالثاً من ابرز صفاتهم ومظاهر قوتهم ونجاحهم .
وانه رابعاً مطبوع بالطابع الديني الذي هو طابع الدعوة كلها .

وصفتها الثالثة المميزة « الشعبية » ، اي العناية بالشعب
باساليب اقرب الى الاشتراكية منها الى اي مذهب آخر .
وللأمانة هذا الاتجاه لحياة سواد المصريين المبتلين بالرأسمالية

والطبقية - التي تجعل ما بين الفلاح والباشا هوة سحيقة جداً -
وسائر الآفات الاجتماعية وما يترتب عليها ، نجحت الدعوة بين
هذا السواد نجاحاً عظيماً .

والحق ان (البناء) كان بارعاً غاية البراعة في التوفيق بين
مبادئ الإصلاح الاجتماعي التي وصلت اليها الامم الغربية بعد
طول التجربة والدرس وبين مبادئ الدين . ولكنه ، بالطبع ،
كان يصبغ المبادئ الغربية بالصبغة الدينية . ولم يكلفه ذلك عناء
كبيراً . فقد مده الاسلام بقواعد عامة تلغي الفروق الجنسية
والطبقية في المجتمع وتجعل الافضلية « للتقوى » ، كما جاء في
الحديث والقرآن : « ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية
وتعظيمها بالآباء ، الناس لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربي
على عجمي إلا بالتقوى » ، « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا
تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم
فاصبحتم بنعمته اخواناً » ، فأحسن هو عرضها وشرحها .

واستطاع البناء بذلك ان يضع دعوته بين نظامين هما النازية
- الفاشستية والشيوعية . وهو من جهة سفة النظامين وحمل عليهما
حملات شعواء . سفة النازية - الفاشستية لانها تقوم على الجنسية
وتؤدي الى تناحر الاجناس البشرية في سبيل وهم من الاوهام .
وسفة الشيوعية لانها تقوم على هدم الاديان وشیوع الملكية
ونزع الملكية الفردية . ورأى الاسلام يقوم على قاعدتين سلميتين
الاولى الآدمية - نسبة الى آدم - التي تردّ الناس جميعاً الى اب

واحد وام واحدة . والثانية الصلة الربانية التي تجعل اكرم الناس اتقاهم . فالاسلام لا يعترف بالفوارق الجنسية ولا يترك الانسان كتلة مادية مجردة من كل احساس ديني ٢٧٤ .

وهو من جهة ثانية درس النظامين واستفاد منهما . اخذ من الاول النظام والطاعة ، او في الحق شيئاً يشبه الديكتاتورية وحصره بنفسه ٢٧٥ ، واخذ من الثاني التكافل بين الطبقات والاخوة الانسانية في الدنيا دون تمييز بين شعب وشعب . واعتبر هو هذه المظاهر التي اخذها مجرد اتفاق ظاهري . ولكن الواقع انها اصلاً من احد المذاهب الغربية . مثال ذلك اولاً : الضرائب التصاعدية ، ثانياً : ضريبة الايولة على التركات ، ثالثاً : حماية الملكيات الصغيرة والحد من الملكيات الكبيرة ، رابعاً : توزيع املاك الدولة على صغار الزراع ، خامساً : استغلال منابع الثروة الخ .. وهذه جميعها دعا البنا الى الاخذ بها بصراحة في معرض الدعوة الى محاربة الشيوعية ٢٧٦ . ومن اين جاء بهذه الآراء الاشتراكية الصريحة ؟ ان هذه المبادئ تحمل الجواب في طيها . ولكن لا يصح ان يفهم ان البنا كان اشتراكياً بالمعنى الغربي . لقد كان مسلماً أولاً واخيراً . مسلماً وجد هذه المبادئ تدخل في الاطار الاسلامي العام . والحق هي كذلك .

وماذا كانت نتيجة هذه « الشعبية » او « الاشتراكية - الاسلامية » ؟ لقد استهوت الطبقات الفقيرة من عمال ومزارعين . وقد قال البنا مرة : « ليس اولى بالعمال من الاخوات . وهم

كلهم او جلّهم من العمال . وفي وسط العمال نشأت دعوتهم ودرجت فكرتهم . ومن العمال كان المؤمنون الاولون والمجاهدون المؤسسون .. ٢٧٧ » وقد انتشرت بعد في مصر بسرعة فائقة لا تعرفها دعوة اسلامية سابقة . أمرّد ذلك الدين ذاته ام الاشتراكية نفسها ؟ من الصعب الاجابة عن هذا السؤال . وربما كانا معاً السبب . فالمعروف عن الطبقات الفقيرة انها ذات عاطفة دينية قوية . ولكن الفقر ايضاً شنيع . ومن يتصدى لقناله يجذب الانصار .

لقد اتهم الاخوان بالرجعية . وهي تهمة غير صحيحة . او على الاصح غير دقيقة . لقد كانوا تقدميين الى حد كبير في نشاطهم الاجتماعي نظرياً وعملياً . وكانوا تقدميين في نشاطهم الزراعي وفي نشاطهم التجاري . وهذه امور لا شك فيها . ولولا ذلك لما نجحوا . الا ان صحّ نعت الاشتراكية بالرجعية .

والحق ان البناء عرف كيف يلائم بين هذه الاشتراكية وبين الدين . عرف كيف يصبغ الاشتراكية بالدين او ان يحشو الاشتراكية في غلاف ديني . وهذه احدى صفات الدعوة البارزة ، بل واحد اسباب نجاحها .

اما الرجعية ففي النظر الديني الضيق او على وجه الحصر في مسألة الحكومة الدينية ، لا الدين نفسه . فالدين نفسه قوى شعبيته وممكن لهم . ولذا كانوا كلما دنوا من الغاية ، من الحكومة الدينية ، توقع المتوقبون انفجاراً عنيفاً يؤدي الى احدى

ثلاث نتائج . اما انهيار الاشتراكية التي تبناها . واما انهيار الحكومة الدينية . واما انهيار الدعوة كلها . وهم وان كانوا اقتربوا من هذه الغاية بعض الاقتراب ، وظهرت في الجو امائر الانفجار ، الا انهم لم يبلغوها . وكانت نكصاتهم - يبطش خصوصهم - تردّهم ردّات بعيدات الى الخلف . وكل ردة تنجيهم من قرب الانفجار . ويخطيء من يتصور ان هذه الردّات تضعفهم او تؤدي الى القضاء عليهم . فما دام المرض قائماً والعلاج مقدماً في اية صورة من الصور فلا بد من ان يقبل المريض على العلاج . والاخوان قدموا العلاج . وهو علاج حديث . ولكن هذا التصور يصحّ عندما يبلغون الغاية . وحتى عند بلوغها من المتعذر الجزم بالنتائج . فقد يدركون في آخر المرحلة انه لا بد من تسوية بين الاشتراكية والحكومة الدينية، فلا يقع الانهيار .

وعلينا ان نذكر انهم تبناوا منهجاً تقديمياً شعبياً في وقت كانت فيه الحكومات المتعاقبة قائمة على اسس حزبية لا على مناهج واضحة مدروسة . وكان الذي تبناه اخلق بحكومة منه بهيئة تنسم بالسمة الدينية . وقد ادركوا هذه الميزة من ناحيتهم والضعف من ناحية الحكومات فراخوا في كل مناسبة يهاجمون النظام الحزبي - الذي لا منهاج واضح له - وينتقدون جميع الاحزاب على السواء ، ويدعون الى حلها وتبني منهاجهم كله ، بدلاً من النظام الحزبي . ومنهاجهم التقدمي في ذاته صالح او على الاقل ملائم للاحوال السائدة في مصر . ولكن منهاجهم

كله الذي تقدموا به لم يخل من نواحٍ ضعيفة . ولو انهم كانوا حزباً سياسياً محضاً - بالمعنى الصحيح - مقتصرأً على النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية لكان لهم شأن غير هذا الشأن.

والصفة الرابعة التفاعل مع البيئة باحداثها المتعاقبة . وليس ثمة دليل على انهم رد فعل للاحوال السائدة اقوى من نجاحهم . وليس ثمة دليل على أصالتهم اقوى من كونهم رد فعل لتلك الاحوال . وهذه احدى صفاتهم البارزة . اما تفسير انتشارهم في كثير من البلدان خارج مصر فهو تشابه معظم الاحوال السائدة في مصر وتلك البلدان .

فمنهاجهم السياسي القائم على التحرر من اية سلطة اجنبية هو في الواقع رد فعل للحكم الامبريالي (impérial) . ولولا هذا الحكم لجاز ان نفترض خلو الدعوة من النص على الاتجاه السياسي . فهم - من هذه الناحية - حلقة من سلسلة الحركات السياسية المناهضة للامبريالية كحركة عرابي والحزب الوطني وحزب الوفد . والخلاف الوحيد بينهم وبين الحلقات السابقة انهم يناهضون الامبريالية على اساس ديني لا مدني فحسب . فهم يرون ان الاسلام لا يقبل حكماً اجنبياً او سيادة اجنبية . ويرون ديار الاسلام كلها سواء في هذا الحكم . ومن هنا كانت دعوتهم عامة لا خاصة .

ذكر البنا انه قرأ مرة حكماً فقهياً بالنص التالي : « امرأة مسلمة سبيت بالمشرق وجب على اهل المغرب تخليصها واقتداؤها

ولو اتى ذلك على جميع اموال المسلمين . واستخلص منه امرين : الاول ان الوطن الاسلامي واحد لا يتجزأ وان العدوان على جزء من اجزائه عدوان عليه كله . والثاني ان الاسلام فرض على المسلمين ان يكونوا ائمة في ديارهم سادة في اوطانهم . ثم قال : ومن هنا يعتقد الاخوان المسلمون ان كل دولة اعتدت وتعتدي على اوطان الاسلام دولة ظالمة لا بد من ان تكف عدوانها ، ولا بد من ان يعد المسلمون انفسهم ويعملوا متساندين متحدين على التخلص من نيرها ٢٧٨ . وذهب الى ان المسلم اعظم الناس وطنية لانها مفروضة عليه من الله .

ولهذا عنيت الدعوة بالجهاد عناية كبيرة ، كما عنيت بالقوة والقوة ونظام الجندية - الكتاب - كي تسند القوة الايمان . وعلل البناء اتجاه الدعوة الى هذه الوجهة بقوله : وتصادف نشأتها - اي الدعوة - عهد الصراع القوي العنيف بين الاجنبي المعتصب والوطني المجاهد . فكان من اثر هذه الظروف ان تميزت هذه الدعوة بخصائص خالفت فيها كثيراً من الدعوات التي عاصرتها ٢٧٩ .

هذا من حيث السياسة الخارجية . اما من حيث السياسة الداخلية فقد كانت كذلك رد فعل لعاملين اساسيين : الاول التناحر الحزبي الذي لا يتفق مع اخوة الاسلام من ناحية والذي آل الى استمرار عملية البناء والهدم . والثاني خلو المبادئ الحزبية من مناهج اصلاحية . وهذا دعاهم الى نبذ الحزبية ووضع

منهاج اشتراكي شامل يعالج جميع شؤون الدولة .

هذه هي اهم الاسباب التي زجت الاخوان في السياسة على النحو الذي يتناه. ولولاها لكانوا في الارجح هيئة دينية محضة . اما الشطر الآخر من منهاجهم الذي يتعلق بالشركات الصناعية والتجارية والزراعية فهو ايضاً ردّ فعل لعوامل داخلية . فقد رأوا استثمار الشركات الاجنبية بالمشاريع الكبيرة . ورأوا المصريين عملاء واجراء لا ينالهم من الارباح الا حظ ضئيل جداً . فتقدموا يقتحمون الميدان بعصية قومية - دينية . وكانت مصر بعد الحرب العالمية الثانية استفادت خبرة في كثير من الصناعات . وتخرج في المدارس التجارية والصناعية عدد كبير من الشباب المصريين . فساعد ذلك على ان تتركز العصية على اساس علمي فني ، وعلى ان تنجح مشاريعهم كلها نجاحاً كبيراً .

ولم يستطع الاخوان ولا البنا نفسه ان ينكر فضل العلوم الغربية والصناعات الغربية التي قوامها الآلة والفن والخبرة - كما ذكر في صدر هذا الفصل - لانهم رأوها سبب التقدم والنجاح في معاملهم وشركاتهم نفسها . ولو قاطعوها لمجرد كونها غريبة او غير اسلامية لظلوا اصحاب دعوة «كلامية» لا اثر مادي لها .

وبقي بعد هذا من منهاجهم الناحية الدينية المحضة . وهي ايضاً رد فعل لدور الانتقال العقلي والاحتكاك بين الشرق والغرب ، وللهزات الاجتماعية التي تعقب الحروب . لقد انتجت هذه العوامل ازمة روحية ، صراعاً بين القديم والجديد ، بين الدين والعلم ،

بين الحرية والتقليد .

ومن ظهر لمعالجة هذه الازمة ؟ جميع الذين كانوا في الميدان لم يجابهوا الواقع ولم يكونوا اصحاب مناهج شاملة . فرجال الدين الرسميون كانوا جدلين نظريين . ورجال الفرق الصوفية كانوا روحيين ضيقي الافق . وجمعية الشبان المسلمين كانت اشبه بجماعة اجتماعية . وهكذا كانت كل جماعة تعالج الازمة علاجاً جزئياً . ومن ثم كان هناك فراغ الى ان ظهر الاخوان فملأوه على القواعد التالية :

اولاً : ربطوا الدين بالدنيا . وهذا مخالف للصوفية التي كان همها الدين فقط - حسب مفهومهم - رأوا الازمة الدينية نتيجة لمقدمات مادية متنوعة .

ثانياً : وضعوا منهاجاً شاملاً لجميع المقدمات ، للسياسة والاقتصاد والتعليم والاجتماع الخ ..

ثالثاً : رأوا نقطة البداية تكوين شعب جديد تنفخ فيه قوة نفسية تتمثل في الارادة القوية والوفاء الثابت والتضحية والمعرفة بالمبدأ . ولهذا عنوا بالوعظ والارشاد والتعليم عناية كبيرة بالمحاضرة والاذاعة وكتابة المقالات وكتابة الرسائل وكتابة الكتب في سبيل تكوين الشعب .

رابعاً : نزلوا الى الشارع والسوق والقهوات يكونون لهم تلاميذ فيها . ومن ثم وسعوا دائرة نشاطهم فاعتنوا بالطبقة الوسطى والعالية .

خامساً : اختصروا الطريق بالعودة الى القرآن والحديث لكي يجمعوا جميع الطوائف الاسلامية تحت لوائهم ، ولكي يتجنبوا الجدل في الجزئيات التي لا بد من الاختلاف فيها . وهو عمل حميد . لان الفرة بين الفرق قد طالت وشغلتها الجزئيات عن الاسس والاعراض عن الجوهر . ولكنهم تمسكوا بحرفية النص في كثير من الاحيان بما ادخلهم في مأزق حرجة ، اخطرها واطهرها انهم ارادوا ان يكونوا مقلدين ٢٨٠ . ولكنهم في الواقع لم يستطيعوا ان يكونوا كذلك في جميع الحالات . لقد رأينا في الصناعة والزراعة والتجارة والتنظيم يأخذون بأحدث الاساليب . ورأيناهم يحسنون اختيار النصوص الداعية الى القوة والجهاد والعمل والتخلق بالاخلاق الكريمة والجمع بين الدين والدنيا . ولكنهم اظهروا تصلباً قوياً في التشريع . ووقفوا امام النصوص وقفة المتقيّد الجامد . لم يرتاحوا الى الاجتهاد والتأويل على نحو ما فعلت بعض الفرق الاسلامية بل على نحو ما فعل محمد عبده قبلهم بمدة قصيرة . وربما نحّوا هذا النحو لانهم رأوا الدين رقاً في بعض النفوس ، ورأوه مفقوداً في بعض النفوس الاخرى ، وكانت مادتهم الاولى سواد الشعب الجاهل . وهذه الظواهر من طبيعتها ان تدعو الى التشدد . والدين حينما يكون متأصلاً في النفوس لا يحشى عليه من الحرية الفكرية والتسامح والتأويل لكي يسير مع الحضارة النامية جنباً الى جنب . يضاف الى ذلك ان العالم قد تقارب كثيراً في هذا العصر ، واضحى من الواجب لخير

البشرية جمعاء ان تضيق 'شقة الخلاف بين الاديان ، وان تدنو المفاهيم الروحية بعضها من بعض . وكل تشدد في الحرفية يؤدي الى العزلة ، والعزلة تناقض طبيعة الحياة الحاضرة . ثم ان العلم قد انتشر في مصر وفي سائر البلدان العربية والاسلامية . والمتعلم لا ينجيه من الشك فالاحاد الا مرونة الدين وقابليته للتأويل والتيسير .

والخلاصة ان حركة الاخوان ردُّ فعل للاوضاع السائدة في مصر ، واصولها مستمدة من البيئة . وهي بذلك حركة ذات طابع خاص يميزها عن الحركات السابقة .

كتب احمد حسن الزيات في مجلة الرسالة يقول : « الاخوان المسلمون هم وحدهم الذين يمثلون في هذا المجتمع المسوخ ، عقيدة الاسلام الخالص وعقلية المسلم الحق . انهم لا يفهمون الدين على انه صومعة منعزلة ، ولا الدنيا على انها سوق منفصلة ، وانما يفهمون ان المسجد منارة السوق ، وان السوق عمارة المسجد . . . وكان للاخوان المسلمين في الارشاد لسان ، وفي الاقتصاد يد ، وفي الجهاد سلاح ، وفي السياسة رأي . . . فلهم في كل بلد من البلدان العربية اتباع ، وفي كل قطر من الاقطار الاسلامية أشباع . . . وما يقظة الوعي العام في مصر والسودان ، وفي العراق وسورية ، وفي اليمن والحجاز ، وفي الجزائر ومراكش ، الا شعاع من هذه الروح سيكون له بُعيد حينٍ نبأ ٢٨١ هـ . وهذا قول فيه كثير من الصواب ، وان كانت لا يخلو من

الزخرف البياني المشهور عند ادباء الكتاب .

ويخطئ من يظن ان حركة الاخوان قد انتهت بمقتل البنا ، او انها حركة مصيرها الاخفاق . فقد اثبتت الايام الاخيرة ان الحركة ظلت تسير بعد مقتل البنا سرّاً ، وانه ما كادت الحكومة المصرية ترفع الحجز عنهم حتى عادوا سيرتهم الاولى ، وتجددت صحفهم ، وعادت كنائبهم ، وعادت محاضراتهم ، بل إنهم قد اكتسحوا اتحاد جامعة فؤاد في القاهرة - كما ذكر سابقاً - وهذا كله يدل على انهم لم يبدأوا من اول الطريق بل واصلوا سيرهم من حيث انتهوا .

وليس ثمّ امائر الهزيمة - كما يتصور بعض الناس - ولندكر الحادثة الطريفة التالية : كتب صحفي لبناني في جريدة (صدى لبنان) في اواخر شهر يناير سنة ١٩٥٢ يجبّد اغلاق الحكومة السورية دور الاخوان في سوريا . فتصدى له شقيقه - وهو كاتب ايضاً من خريجي الجامعة الاميريكية في بيروت - يردّ عليه في جريدة اخرى قائلاً : « مهما اختلفنا معها في الرأي فلسنا نجحد اخلاصها للبلاد وصدقها في الجهاد . وهل ينسى احد ان الاخوان المسلمين سَقَوْا اكثر من اي حزب آخر ارض فلسطين بالعرق والدماء ؟ هل ينسى احد ان الاخوان المسلمين هم اليوم رافعو لواء الجهاد المقدس ضد الانجليز في قنال السويس ٢٨٢ ؟ » . وهذا يدل على انهم انصاراً يعطفون على الاقل على جزء من مناهجهم . وهو امرٌ لا شك فيه البتة .

والقول الحق في الاخوان انه ما دامت الاوضاع التي ادّت الى وجودهم قائمة فسيظلون عاملين . بل وربما يصح ان يقال ان انصارهم سيزدادون في مصر وفي سائر البلدان العربية . اما اذا اختلفت هذه الاوضاع فالحكم على مستقبلهم يختلف . والراجح في هذه الحالة ان يسير نشاطهم في مجرى رئيسي واحد ، هو المجرى الديني الذي كان نقطة البداية في حركتهم .

ولكن الواقع ان هناك ثلاثة امور ستكون محكاً لثباتهم ، وستؤثر الى حد كبير في تقرير مصيرهم . الاول : رأيهم في الحكومة الدينية . والثاني : موقفهم من الحضارة الغربية . والثالث : موقفهم من اعتبار العنف وسيلة من وسائلهم .

فهم يؤمنون بالحكومة الدينية ايماناً راسخاً . ويؤمنون كذلك بالخلافة وبالجامعة الاسلامية . فهل سيظلون يؤمنون بالحكومة الدينية ؟ وهل سيظل مفهومهم للحكومة الدينية تطبيق حرفية الشرع ؟ هذا ما ستكشف عنه الايام وخاصة بعد ان يدنوا من اهدافهم رويداً رويداً .

وربما يدركون ان المجتمع النامي المتطور يحتاج الى تشريع نامٍ متطور ، وان ايقاف نمو التشريع يعني ايقاف نمو المجتمع . وهو امر يكاد يكون مستحيلاً . يُضاف الى ذلك ان التشريع الاسلامي نما وتطور مع المجتمعات الاسلامية . وما القياس والاجتهاد والاجماع الا روافد للتشريع لم يكن منها بدّ . ولم يناقض هذا النمو الاسلام ولم يضره في حالٍ من الاحوال .

وقد رَضِيَ المسلمون عن هذا النمو بالاجماع عليه . فالمصريون الذين تتألف منهم الدولة المصرية قبلوا بالتشريع الحاضر . وهو تشريع نام متطور كان على غير الصورة التي هو عليها الآن ، وظل ينمو الى ان اصبح على ما هو عليه الآن ، مستمداً اصوله من التشريع الاسلامي والقوانين المدنية الغربية في وقت واحد . وكان معظم واضعيه والموافقين عليه مسلمين . وحين وضعوه لم يبرأوا من الاسلام . بل وضعوه وهم مسلمون واثقون بأن وضعه لا يَضير المجتمع الاسلامي ولا الاسلام بل يفيدهما ٢٨٣ .

لا شك في ان الاخوان لم يطالبوا بالحكومة الدينية عبثاً . لقد رأوا بعض القوانين في مصر تبيح ما نهى عنه الدين . رأوا قانوناً يبيح الزنا وآخر يبيح الخمر ، وهما محرّمان ديناً ، فثاروا وطالبوا بتطبيق التشريع الديني في جميع الاحوال بلا استثناء ، كما كان الحال في صدر الاسلام . وهذا هو موطن الدقة في الموضوع . هل جميع القوانين المدنية أدّت الى ما ادى اليه هذان القانونان مثلاً ؟ هل كل تشريع مدني فاسد ؟ لو كانت الامر كذلك لكان التشريع الغربي ، بل تشريع العالم اجمع - عدا القسم من العالم الاسلامي الذي يطبق التشريع الديني - فاسداً . وهو قول سخيف . فالتشريع يستوحي المصلحة العامة في كل الامم قاطبة . والمصلحة العامة تلتقي مع الغرض الاسمي من الدين . ولا يجوز عقلاً ان يختلفا .

يحتج الاخوان بان التشريع المدني من صنع الانسان .

والانسان معرض للخطيأ والزلل . في حين ان التشريع الديني من الله . والله معصوم عن الخطيأ ضرورة . واذن فالتشريع الديني خير من التشريع المدني . وقد ردوا هذا الاحتجاج مراراً في مؤلفاتهم . وهو لا غبار عليه . ولكن الهدف الاول من التشريع الديني تحقيق المصلحة العامة او السعادة الاجتماعية . والمصلحة العامة تتغير بتغير الازمان والاحوال . ومن نصوص المجلة تتغير الاحكام بتغير الازمان . ولذا اتى التشريع الديني بالقواعد العامة وترك للانسان حرية الاجتهاد مقيداً بالمصلحة العامة . والخلفاء الاولون اجتهدوا . وظلّ الاجتهاد باباً من ابواب التشريع في العصور الاسلامية الاولى الى ان تجمد المجتمع الاسلامي فتجمد معه الاجتهاد . وهناك فرق اسلامية ما تزال تأخذ بالاجتهاد محافظة على هذا الحق الالهي والطبيعي معاً . ولا احد ينكر عليها انها مسلمة قولاً وعملاً .

اما القوانين المدنية الظاهرة المعايير المفسدة للمجتمع فيمكن الاعتراض عليها . والمجتمع نفسه لا بد من ان يغيرها عندما تبيّن له معاييرها . مثال ذلك تشريع اباحه الخمر في امريكا . فقد اباحه القانون فترة . ثم عندما رأى المجتمع ان هذا القانون هدد مصلحة المجتمع الغاه بقانون مضاد . ثم لما تبيّن للمجتمع ان الالغاء غلبت مساوئه محاسنه عاد الى التشريع الاول . وهكذا ظلت المصلحة العامة هدف التشريع الاول . كما ان هذه المصلحة هي هدف التشريع الديني الاول . وهنا يلتقي التشريعان .

يضاف الى ذلك ان القوانين ليست هي المسيطرة على الناس بل الناس هم المسيطرون على القوانين . فلو التزم المصريون — مثلاً — حدود دينهم وتفهموا الحكمة من تشريعهم الخاص لامتنعوا عن شرب الخمر ، ولتركوا لغيرهم من اصحاب الاديان الاخرى ان يتصرفوا كما يشاءون . ولكنهم في حالة جهل دينهم وعدم اتباعه لا يفيدهم المنع بحكم القانون . فهذه هي المخدرات — مثلاً — تفتك في الشعب والقانون يمنعها منعاً باتاً . وكانت يجب ان يحول هذا القانون دونها . ولكنه عجز . ولو سبق القانون اعداد تربوي يهدف تبيان مضر المخدرات، وعلاج نفساني عميق للحالات النفسية التي تستدعي استعمال المخدرات لحقق القانون غايته ، بل لما عادت حاجة الى القانون . فالقوانين — سواء ادينية كانت ام مدنية — يعمل بعضها ولا يعمل بعضها الآخر ، حسب حالة الامة . فعندما تنتشف الامة وترقى تستغني عن كثير من القوانين التي سُنّت لها قبل ان تبلغ ذلك الدور .

وبعد ذلك كله، فأت قضية التشريع الديني جزء من قوام الحكومة الدينية التي يطالب بها الاخوان . وكثير من المسلمين يخالفونهم الرأي بشأن الحكومة الدينية . ولو تبصر الاخوان في هذا الموضوع لرأوا ان انتشار الوعي الروحي والمفاهيم الدينية على وجهها الصحيح في سواد الامة يجعل المطلب التشريعي ثانوياً . لان الامة الخيرة التقية الصالحة في غنى عن التشريع . وخير المؤمنين من كان قاضي نفسه وقانونها . اما الاشرار فعلى الحكومات ان

تعالمهم باستئصال علل الشر لا بالتشريع وحده فالتشريع مع وجود العلة لا يعني . ولذلك فإن رسالة الاخوان الاولى هي احياء الوعي الروحي وتهذيب الاخلاق وبث الفضائل الانسانية حسبما يُقرر الاسلام ٢٨٤ .

ثم ان امامنا الآن امة اسلامية ناشئة هي الباكستان . وهي تتمتع باستقلال يمكنها من اقامة حكومة دينية دون عائق . ولا احد يرتاب في صحة اسلام الباكستانيين وحرصهم الشديد على الدين . وهم مع ذلك نحوّا فكرة الحكومة الدينية . قال المرحوم لياقت علي خان ، رئيس وزراء الباكستان مخاطباً مجلس الامة :

« لقد قلت قبل هنيهة ان الشعب هو الممارس الحقيقي للسلطة . وهذا بالضرورة يمنع خطر اقامة حكومة ثيوقراطية (دينية) . حقاً ان الثيوقراطية بمعناها الحرفي تعني حكومة الله . بيد انه من الواضح ان العالم كله بهذا المعنى هو حكومة ثيوقراطية ، اذ توجد بقعة في الكون جميعه خارجة عن سلطان الله ؟ على ان الحكومة الثيوقراطية تعني من حيث الاصطلاح حكومة رجال الدين المرسومين الذين يستعملون السلطة باعتبارهم معينين من قبل اولئك الذين يزعمون انهم يستمدون حقوقهم من مركزهم الكهنوتي . ولست بحاجة الى ان اؤكد ان فكرة كهذه غريبة عن الاسلام تماماً . فإن الاسلام لا يعترف بالرهبة ولا بأية سلطة كهنوتية . وبناءً على ذلك فان الثيوقراطية لا وجود

لها في الاسلام البتة . واذا كان ثمَّ من لا يزال يستعمل كلمة « ثيوقراطية » بمعنى نظام الحكومة الباكستانية، فهم اما واقعون في سوء فهم خطير ، واما سادرون في دعايات شريرة . وعندما نستعمل لفظة « ديموقراطية » بالمعنى الاسلامي فانها تشمل جميع مظاهر حياتنا. انها تتناول نظام حكومتنا ومجتمعنا على السواء ، لان احدي عطايا الاسلام الكبرى فكرة المساواة بين جميع الناس .

هذا فيما يتعلق بالحكومة الدينية . اما فيما يتعلق بالتشريع فقد اظهر الباكستانيون ميلا الى الاخذ بروح الاسلام لا بحرفية النص ، والى غلبة القوانين لانتقاء ما يصلح للعصر الحديث . وهذا ما قالته مجلة The Islamic ditarature في احدي افتتاحياتها:

« ان النظر الشائع الى الدين الذي يأخذ به المسلمون هو بالتوكيد تراث الملكية «القروسطية» والنظام الاقطاعي. وبما ان العالم الحديث قد تجاوز هذين النظامين فان تصورنا الديني الحالي لا يعيننا على ان نسلك سبيلنا في وسط بحر خضم من التغيير . وعلى ذلك فمن الواجب ان نميز العناصر العامة في الاسلام من العوامل العرضية الموقوتة التي تدخل بالضرورة في اي نظام يحاول ان يحل المشكلة الاجتماعية التي تتصل به آتياً . ان الاسلام كان ولن يزال ديناً عاماً . بيد ان مما يُسهى عنه عادة انه حتى الدين العام محاط بظروف محدودة لا يمكن ان يتجاهلها ان شاء ان يعالج مشاكل الامة العملية ومشاكل العصر الذي

خلق فيه . وهذه الظروف المحدودة توجب له خصائص معينة وتلزمه ضرورياً من الحلول ليست من متماته ، ويجب ان تفصل فصلاً واضحاً عن رسالته العامة الخالدة ، ان اريد لتلك الرسالة ان تحتفظ بصلاحها في جميع الظروف وفي جميع الاحوال المتغيرة التي تنجم في العصور التالية .

وعلى ذلك يجب علينا ان نستخلص الاسلام العام من القرآن والحديث ، وان نهمل تلك العناصر التي اقيمتها فيه ظروف المجتمع العربي المحدودة واحوال العالم الخاصة التي ترجع الى القرن السابع الهجري .

والمسألة الثانية هي الحضارة الغربية التي يقف منها اكثرهم موقف العداء . وهذا الموقف يؤدي الى نتيجتين . الاولى : التنفير من الحضارة والانطواء على الذات ودوام حالة الجمول التي اوصلت العالم الاسلامي الى ما هو عليه الآن . والثانية نعت حركتهم بالرجعية ليس فقط في نظر الغربيين بل وفي نظر المسلمين المتنورين .

وقد حملهم على هذا الموقف جملة اسباب :

الاول : خلطهم بين الحضارة والاستعمار . وهم يجعلون هاتين اللفظتين مترادفتين في كثير من الاحيان . وهذا - كما لا يخفى - خطأ .

والثاني : خلطهم بين الحضارة والدعارة والخرم والقمار والترف وما الى ذلك من مساوئ اجتماعية . وهم يردّون هذه

المساوىء الموجودة في البلاد الاسلامية الى الحضارة الغربية . اما ان الحضارة الغربية كلها هي هذا الوجه البشع فقير صحيح . واما ان الغرب ادخل هذه المساوىء الى الشرق بقصد اضعافه واستغلاله فأمر يدل على ضعف الشرق واستخذاثه وفقدان ارادته وغفلته . وعلى الشرق ان ينبذ هذه المساوىء لا لانها تتنافى مع دينه فحسب بل لانها ليست من الحضارة في شيء .

والثالث : انهم يظنون ان الحضارة الغربية خالية من الدين . وهذا وهم . فالغربيون متدينون اجمالاً . والدين في المجتمع الغربي عنصر حي . ولكنه نما وتطور وسائر الحضارة واتجه نحو الناحية الاخلاقية اكثر من اتجاهاه نحو التقاليد والطقوس . وهذا عكس ما جرى في الشرق . وهؤلاء الذين يحكمون على الغرب بأنه مجرد من الدين لا يعرفون الغرب ، او يفهمون الدين فهماً مخالفاً لفهم الغربيين ، او يحكمون عليه بما يرتكبه عدد من الجنود او الافراد الذين يرتادون الشرق . وهؤلاء لا يمثلون الغرب .

روى الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الجامع الازهر اليوم عن استاذة الامام محمد عبده انه قال له بعد عودته من رحلة في اوربا : لقد ذهبت اليها فوجدت مسلمين عملاً لا قولاً ، وعدت فوجدت مسلمين قولاً لا عملاً ... ٢٨٧

والرابع : انهم يظنون الحضارة الغربية غريبة عن الشرق . والواقع غير ذلك . فالحضارة الغربية تراث انساني عام اشتركت

فيه جميع العقول وشارك فيه المسلمون مشاركة كبيرة . فهو اخلاط من تراث الامم المتعاقبة . وقد عاشت الحضارة في الشرق مدة طويلة . واذا عادت اليه الآن فيستصْ منها ما يلائم الحال التي هو فيها . فان كانت واعياً مدركاً امتصَّ العناصر الخيرة الصالحة الملازمة لبيئته . وان كان غيباً غافلاً امتصَّ العناصر الفاسدة او القشور المبتذلة فزادته شراً على شرِّ . وان اخذ العناصر الصالحة فانما يأخذها بذوراً لانماء حضارته هو .

والخامس : انهم يظنون ان الحضارة الغربية أفلست بسياستها ومجتمعها وعلومها وآدابها . وانها مشرفة على الانهيار . وهذا حكم سابق لاوانه . فقد تفلس فعلاً هذه الحضارة . ولكنها - ولا شك - دأبت على درس اوضاعها وعللها وتجنب هذا الافلاس . وربما كان الاصح ان يقال انها الآن في دور انتقال من الحضارة الحاضرة الى حضارة أتم وارقى . وكونها في هذا الدور يدل على حيويتها وتطلعها الى الكمال لا على افلاسها . اما المفلس فعلاً فهو الذي لا يقدر على صنع ادوات منزله وبيع حانوته ووسائل نقله واستغلال ثروته وادارة بلاده .

هذه هي اسباب الحملة على الغرب والتغريب . على ان الاخوان - كما يتضح من مؤلفاتهم - ميزوا اولاً بين الحضارة العلمية والآلية وما يتبعها من نظام وبين التقاليد والعادات والنظر الديني وما يبدو من شك وإلحاد - في بعض البلدان الغربية - او على الاصح عند بعض الجماعات - والاستعمار ونحو

ذلك . ودعوا الى الاخذ باسباب الشطر الاول . وهذا هو رأي
البناء نفسه ٢٨٨ . اما الشطر الثاني فقد غالوا فيه . فهناك اختلاف
في قيم التقاليد والعادات . وهناك فرق بين البحث العلمي والشك
العلمي وبين الاحاد . وهناك اختلاف بين الافراد والجماعات في
مفهوم الدين . اما الاستعمار فشر لا يمارى فيه ، اغرى الغربيين
به والايغال فيه ضعف الشرق وعزلته . وهو ليس من الحضارة
في شيء .

وميزوا ثانياً بين الحضارة في ديارها والحضارة — او شر — ما
في الحضارة — التي قذف الغرب بها — الشرق ٢٨٩ . وهذا
اعتراف بان الحضارة في ديارها — تختلف عن هذه القشور التي
ظهرت في الشرق عن تقليد وضعف .

وعسى ان يكون هذا التمييز من مظاهر الوعي الصحيح
وبادرة تؤدي الى إعادة النظر في الحضارة الغربية وتقويمها تقويماً
صحيحاً يعتمد على العقل لا على العاطفة .

والمسألة الثالثة التوصل بالعنف لتحقيق اهدافهم . لقد كان من
جملة المآخذ التي اخذها الاخوان على الشيوعية انها مذهب هدّام
يخصّ على الثورة ويعتبرها الوسيلة الوحيدة لتنفيذ اغراضها ، في
حين ان القرآن الكريم يحث على الدعوة بالحسنى . والمسلمون
والمسيحيون يفسرون التاريخ بالاخاء والدعوة الى المساواة والمحبة .
وقالوا : ان الاخوان يتلمسون طريق الاسعاد بالتجربة الهادئة
والفكر السليم ، والشيوعية تتلمس هذا الطريق بالعنف والثورة

والهدم والحرب المستعرة ٢٩٠ .

ومع ذلك فقد قال البنا : ان الاخوان سيستخدمون القوة العملية حيث لا يجدي غيرها ، وحيث يثقون انهم استكملوا عدة الايمان والوحدة . وهم حين يستخدمون هذه القوة سيكونون شرفاء صرحاء ، وسينذرون اولاً وينتظرون بعد ذلك ، ثم يقدمون في كرامة وعزة ، ويحتملون كل نتائج موقفهم بكل رضاء وارتياح ٢٩١ .

وقال : وفي الوقت الذي يكون فيه منكم - معشر الاخوان المسلمين - ثلاثمائة كتيبة قد جُهزت كل منها نفسها روحياً بالايمان والعقيدة ، وفكرياً بالعلم والثقافة ، وجسماً بالتدريب والرياضة ، في هذا الوقت طالبوني بأن اخوض بكم لجج البحار ، واقتحم بكم عنان السماء ، واغزوا بكم كل عنيد جبار ، فاني فاعل ان شاء الله ٢٩٢ .

أليس في هذين الرأيين تناقض ؟

قد يقول الاخوان : اننا ندعو الى القوة لنقف في وجه القوة الاجنبية التي غزتنا في عقر دارنا ، واننا قد جربنا الطريق السلمية عشرات السنوات فلم تفلح ، ولم يبق لنا خيار في انتهاج هذا الطريق . ولكن خصومهم يتهمونهم بأنهم اعدوا القوة لقلب نظام الحكم في مصر ومقاتلة اخوانهم الذين يخالفونهم في الرأي . ويتهمونهم بان لهم انظمة سرية تقوم على وسائل متدرجة تنتهي بالعنف . ويتهمونهم باغتيال رئيس احدى الوزارات المصرية ،

وبوضع خطط سرية لاحتلال البلاد . وهذه تهم - ان صحت -
تدينهم بما اذنوا هم الشيوعيين ، وتبعدهم عن الدعوى بالحسنى .
ولئن كان استعمال العنف له ما يبرره عند مجابهة العدو المعتدي
المسلح فما مبرراته في وجه مواطنك الذي يختلف معك في الرأي
بشأن من شؤون الدين او السياسة المحلية . وقد اجيب عن
ذلك بانهم لم يلتجئوا الى العنف إلا عندما استفزهم خصومهم
وأجأوهم اليه ، وان استعدادهم كان المقصود به العدو الخارجي .
على ان خطب البنا لم توضح هذه النقطة تماماً . وربما اضحى هذا
اتجاههم بعد المحنة ، متأثرين بما وصل اليه البنا في اواخر ايام
حياته . وان كان الامر كذلك فهو يدل على مرونة وحنكة
تقتضيها الظروف .

هذه هي المسائل الرئيسية الثلاث التي ستكون محكاً للاخوان
في المستقبل ، والتي ستقرر مصيرهم الى حد كبير .

بقيت مسألتان أخريان لا بد من ان يواجههما الاخوات .
الاولى الصراع العنيف القائم اليوم بين المعسكرين الشرقي
والغربي . فعلى هذا الصراع يتوقف مصير الدين باعتباره نظاماً
تعترف به الدولة . فاذا انتصر المعسكر الاول فسيثقل مركز
الدين الرسمي في العالم اجمع وينتهي الى ما يشبه اثر الوشم في
ظاهر اليد . واذا انتصر المعسكر الثاني فسيظل الدين عنصراً
فعالاً في المجتمع . فستقبل الدين كله في يد القدر . والناس
يتحدثون الآن عن مستقبل الدين كما يتحدثون عن مستقبل اي

نظام من الانظمة . وعلى ذلك فلا يجوز ان يستر الصراع القائم اليوم بين الغرب والبلدان الخاصة له هذه الحقيقة الخطيرة .

وهذا هو اتجاههم هم بحكم كونهم هيئة دينية . وقد ذكروا مرةً ان اسبانيا يمكن ان تكون اقرب دول الغرب الى المسلمين لانها اشدها تعصباً للمسيحية . « وذلك يجعلها اولى بان تتقارب مع اصحاب الاديان في عالم اصبح على فوهة بركان من الزيف والرذيلة والاحاد ٢٩٣ » .

وهذا الاتجاه ربطهم حتماً باحد المعسكرين . ولكنه لا يكفي وحده لتصفية الحساب تصفية تامة واقامة محالفة على أسس ثابتة . فلتحقيق ذلك على الغرب من ناحيته ان يدرس اسباب الصراع ويعمل على ازالتها ، وعلى رأسها النظام الاستعماري البالي . وعلى الاخوان من ناحيتهم ان يعيدوا النظر في موقفهم من الديمقراطية بفهمها الغربي الواقعي ، ومن الحضارة الغربية في بيئتها ، وان يميزوا بين الاستعمار والحضارة ، وبين الفسق والفجور والميسر وما اليها من مساوئ وبين الحضارة الصحيحة ؛ لا لكي يسلموا انفسهم للغرب ويكونوا له اتباعاً ، بل لكي يندمجوا في الركب الانساني المتحضر ، ويتوسلوا بالحياة الصحية الكريمة ، ويتبعوا القول المأثور : الحكمة ضالة المؤمن يأخذها حيثما وجدها ٢٩٤ .

والمسألة الثانية هي التوسع في درس الفرق الاسلامية القائمة بعقائدها ونظرها الى الاسلام ، ومواطن الاتفاق والاختلاف .

فحركة الاخوان تخلو خلواً تاماً من هذا الدرس . وهي تجابه الامر الواقع كما هو دون اي استعداد ، مقدرة ان يكون لها الغلبة والشيوع بطبيعة الحال . وهذا وهم . ومع ان اهل السنة هم الكثرة العظمى بين المسلمين إلا ان لهذه الفرق اثرأ واضحاً في المجتمع الاسلامي . وبقاؤها على هذه الحال من الاختلاف والعزلة يؤثر في تاريخ المسلمين . واكبر وسيلة للتقارب ، بعد الدرس والبحث ، شرح الدين شرحاً تلتقي عنده جميع المفاهيم ، شرحه شرحاً يسيراً واسعاً يعلو عن السفساف وحطام الدنيا والنزوات الانسانية . ثم التسامح الذي يبلغ حدأ يجعل الدين وسيلة لخلق ضمير حي حساس . وبذلك تبلغ الدعوة مداها ويلتقي الاخ مع اخيه على صعيد واحد .

وحتى من وجهة النظر السني المحض لم تعالج الدعوة اللازمة الروحية علاجاً دقيقاً وافياً . لم تحاول ان تدخل الى عقل المسلم السني المتعلم وتدرس ما يعتريه من مشاكل عويصة هي مصدر القلق والشك . وكان من المنتظر ان تكون هذه رسالتها الرئيسية بحكم كونها حركة دينية اسماً وفعلاً . ولكنها لم تعن بهذه الرسالة . ولم ؟ ألانها تجنبت ذلك قصدأ لكون الفلسفة ليست من الدين ؟ ألانها حركة شعبية نشأت بين العمال وانتشرت بين الطبقات الدنيا التي لا تدور في رؤوسها المشاكل العويصة التي تدور في رأس المسلم المتعلم ؟

الواقع انهم قرروا في كتبهم وخطبهم مراراً ان حركتهم

سلفية تقليدية لا فلسفية . وبذلك تجنبوا الخوض فيما يدور في رؤوس المتعلمين من مشاكل . وهذا جعل بينهم وبين عامة المتعلمين حجاباً ، وقصرها على ان تكون حركة شعبية تروج في الاوساط الدنيا والمتوسطة ولا تكاد ترتقي الى الاوساط المثقفة . ولا ينقض ذلك اشتراك عدد من المتعلمين - من طلاب الجامعات ورجال القانون والدين - في حركتهم . فهذا الاشتراك مرده في كثير من الاحيان وحدة العقيدة السياسية لا وحدة التفكير الديني . وقد ذكر سابقاً كيف نجحوا في كسب انتخابات الاتحاد في جامعة فؤاد الاول إثر اعلانهم التدريب العسكري . ان التطرف السياسي في الظروف الحاضرة يجذب قلوب الشبان المتعلمين اكثر مما تجتذبها الحركات الدينية . وان اعمال البطولة والتضحية التي قام بها الاخوان في فلسطين وفي مصر اكسبتهم عطفاً قوياً لا مرأى فيه . وربما جاز التساؤل : هل أهملت رسالتها الدينية لانها تطورت سريعاً من الدين الى السياسة والاقتصاد ؟ وفي غمرة هذين الميدانين نسيت رسالتها الاولى ؟

وايا كان السبب فالذي يبدو ان حركة الاخوان لم تقدم الحلول لطائفة كبيرة من المشاكل الدينية العويصة التي تدور في رأس المسلم المتعلم ، وان جل اتباعها كان من الطبقة غير المتعلمة او المتعلمة نصف تعلم ، وان كان هذا لم يحرمها عطف الطبقات المتعلمة على ارائها السياسية . ومن العيب في هذه الحال ان تطالب ببحث ما يدور في رؤوس المتعلمين المنتسبين الى غير اهل السنة ،

وبمعنى آخر ان تكون حركة اسلامية عامة تعالج الازمة الروحية التي تنتاب العالم الاسلامي كله . وهذا فارق سلبى بينها وبين الحركات الدينية السابقة منذ ظهور ابن تيمية ومدرسته الجريئة الى حركة جمال الدين الافغانى ومحمد عبده . فتلك الحركات جابهت واقع التفكير الاسلامي وحاولت ان تنفذ الى عقل المسلم وتعالج المشاكل العويصة التي نشأت فيه بتأثير تطور الزمن اولاً وبتأثير العلوم الحديثة والنظر الديني الغربي اخيراً . ومؤلفات جمال الدين ومحمد عبده تدور حول هذا المحور ، وتعتبر نُقْلةً في التفكير الاسلامي . وكانت من المتوقع بعد مرور نحو نصف قرن على جمال الدين ومحمد عبده والتطور العظيم الذي حدث في العالم إثر الحربين العالميتين السابقتين ان تنهض مدرسة جديدة تُمَّ ما بدأه المصلحان السابقان وتعالج ما جد من مشاكل في العقل الاسلامي . وكان من المنتظر ان يكون الاخوان المسلمون هذه المدرسة . ولكنهم لم يكونوا كذلك لغلبة المناحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية على المنحى الديني . وجاء بعد ذلك المفهوم الشامل للاسلام الذي اخذ به الاخوان فوكتده هذه الغلبة . وبذلك اضحت دعوتهم سياسية اقتصادية اجتماعية في المرتبة الاولى ودينية في المرتبة الاخيرة ٢٩٥ .

وقد اوضح هذا احد كتابهم اذ قال : جهاد الافغانى ومحمد عبده وغيرهما من ابطال الاسلام غير الجهاد للاسلامية كدعوة ونظام . فالمناداة بالفكرة الاسلامية واظهار جمالها بكل الاساليب

التاريخية المعروفة لا تُنكر . ولكن ذلك غير الدعوة الاسلامية كحقيقة دستورية مستقلة يقوم عليها نظام عام له ميزاته ، ثم تنظيم حركة تقود جيلاً يعمل على تطبيق مبادئ النظام الاسلامي في الحكم والسياسة والاجتماع ، وقرارها عملياً كدستور واجب النفاذ، الى جانب الذود عنها كعقيدة صحيحة.. الدعوة الاسلامية بهذا المعنى العملي الواسع الشامل وما ترتب عليها من انقلاب عالمي في الافكار ومن الاحداث التاريخية التي سيكون لها اثرها وخطرها في مستقبل الانسانية ، الدعوة الاسلامية بهذا المعنى لم يعرفها التاريخ منذ آماذ طويلة جداً ، إلا حين رفع لواءها حسن البنا في القرن العشرين باسم دعوة الاخوان المسلمين ٢٩٦ .

وهذا في الواقع وصف صحيح للدعوة بقلم احد اتباعها . وعلى الباحث ان يطرق باباً غير باب الاخوان للسؤال عما يجري في عقول المسلمين من تفاعل ديني وصراع يتناول المسائل الدينية . ويمكن تلخيصه في ثلاثة محار رئيسية .

الاول : محاولة التوفيق بين العلم والدين بالتفسير والتأويل . وعلى هذا معظم المسلمين المتعلمين اليوم . ومنهم هيكمل باشا - كما يبدو في كتابه منزل الوحي - وعباس محمود العقاد واحمد امين وفريد وجدي وغيرهم من المفكرين في مصر . وعليه كذلك معظم المتعلمين خارج مصر .

والثاني : محاولة العودة الى (علم الكلام) . والاخذ بنصاينة العلوم الفلسفية الجدلية لاثبات صحة العقائد الدينية كما هي .

وعلى هذا معظم رجال الدين الاقحاح . وقد اصدر اخيراً شيخ الاسلام السابق ، مصطفى صبري ، المقيم الآن في مصر ، كتاباً عنوانه : (موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين ٢٩٧) ذهب فيه الى تأييد العقيدة بالعقل ، وحمل على من يزعم ان في العقائد اموراً لا يمكن ان نصل اليها بالعقل بل نسلم بها تسليماً حسبما قال محمد عبده .

الثالث : محاولة ترك العلم يجري مستقلاً عن الدين ، والاخذ بالبحث العلمي المطلق . وعلى هذا بعض المتعلمين المحدثين . وهم فريقان : فريق يرى ان نهاية العلم توصل الى معرفة الله حتماً ، وان ايمان العقل جائز . ويدللون على ذلك بأراء العلماء الغربيين — من فلاسفة وعلماء طب وكيمياء وحياة الخ... — ممن توغلوا في العلوم المادية وظلوا مؤمنين . وفريق ثان ينبغي فصل الدين عن العلم فصلاً تاماً وترك الدين للفرد يتصوره كما شاء . فان آمن فلنفسه وإن شك وكفر فعليها . ولا تزر وازرة وزر اخرى .

ولكن هذه المجاري محصورة في افراد . ولم تتبلور في صورة مدارس لها اسانذتها وطلابها . وليس من دليل على انها في طريق التبلور الآن لثلاثة اسباب . الاول : قلة عدد المتعلمين في العالم الاسلامي قلة تجعل التيار العام في جهة غير الجهة التي فيها هذه المدارس جميعها . فمثل هذا التبلور يجب ان يسبقه علم يثير المشاكل ويتطلب الحلول . وهذا بعيد الآن ، وان كانت الزيادة المطردة في نسبة المتعلمين توحى بانه سيقع يوماً ما . والثاني

شروع الفقر وكفاح الناس في سبيل تأمين العيش . والمعدة الفارغة تتطلب اولاً الرغبة . والثالث الاضطراب السياسي السائد في جميع العالم الاسلامي . فالصراع الآن يكاد يكون محصوراً في نطاق السياسة . والمسلمون يشعرون انهم يعانون ازمة كيان : وجودٌ حر كريم تتوافر فيه السيادة والحرية والامن والعدالة او وجودٌ ذليل مظلوم مقهور لا يمكن ان تشعر فيه النفس بالطمأنينة ٢٩٨ .

ومتى زالت هذه الاسباب ، متى شعر العالم الاسلامي بالاستقرار والطمأنينة ، وشاع فيه العلم والرخاء ، انصرف الى المسائل الروحية وتجمع الافراد حول مدارس متعددة ، لكل مدرسة اسانذتها وطلابها . ولعل هذا الوقت هو مقدمة - ان سارت الامور في الاتجاه الذي ألمعنا اليه - لتلك النتيجة الحتمية ، بعدت ام قُرُبَت . لان الانسان لا يستطيع بعد توفر رخائه المادي إلا ان تظهر عليه انسانيته الواعية التي تفرض عليه ان يسأل : كيف ؟ والى اين ؟ وهذا هو دائرة الدين او ما وراء الطبيعة بعرف الفلاسفة .

وفي هذه الحالة سيكون امام المسلمين امران : الاول التراث الديني القائم على القرآن والحديث وآثار المفكرين الاسلاميين من متكلمين وفلاسفة وصوفية . والثاني التراث العقلي الغربي الحاضر . وهذان لا بدّ من ان يتفاعلا ويحدثا آثاراً من العبث ان نتنبأ بصورها . ولكن من المحقق ان العقيدة الاسلامية ستثبت كما

ثبتت عندما تفاعل التراث الاسلامي بالتراث الاغريقي . ولن
يضير العقيدة تطور التصور الديني او ظهور مدارس دينية متنوعة
تلمس الهداية مخلصه صادقة ، كما حدث في العصر العباسي وفي
الاندلس ، وكما حدث في الغرب بعد النهضة . فهذه نتائج لا
مفرّ منها في تاريخ الاديان جميعها وفي تاريخ الانسانية جمعاء .
فهذا التاريخ ما فتى يكرر درسين عصرأ بعد عصر . الدرس
الاول : ان الاحساس الروحي راسخ في اعماق الانسان ،
وسبظل راسخاً ما دام الانسان يفكر ويتأمل في هذا الكون
العجيب . والدرس الثاني ان التصورات الدينية متطورة ونامية
ومن المحال ثباتها .

ويبدأ التطور في عقول افراد . ثم يجتمع هؤلاء في حلقة او
مدرسة يتزعمها مفكر مؤمن شجاع . وتضع هذه المدرسة لها
مبادئ جديدة نسبياً . وبعد فترة من الزمن تركد هذه المبادئ
ويضعف مفعولها بتأثير ما يجئ من علوم وما يطرأ على المجتمع
من نحو بيولوجي واجتماعي وفكري . فتنبت آراء جديدة في
عقول افراد ، وتبلور هذه الآراء في مدرسة تحل محل المدرسة
القديمة . وهكذا يسير التطور في حلقات متوالية على هذا المنوال
الى ما شاء الله .

اما علاقة هذا التطور بالاديان السماوية فهي انه يقع ضمن
نطاق دائرتها الكبرى . وقد يحوم حول اطار الدائرة . وقد
يخرج احياناً عن الاطار ثم ما يلبث ان يعود اليها . وقد يظل

افراد خارجه . وكل ذلك حسب عوامل متنوعة لا ضابط لها .
ولا تهد من احببت ان الله يهدي من يشاء .

مراجع وشروح

الفصل الاول

١ - راجع مقدمة كتاب الطريق للدكتور يحيى الدرديري المراقب العام للجمعيات الشبان المسلمين ، القاهرة ١٩٥٢ . والمقدمة بقلم محب الدين الخطيب احد مؤسسي جمعية الشبان المسلمين وسكرتيرها العام الاول السابق ، وهي تشرح ظروف نشأة الجمعية واهدافها واعضاء مجلس ادارتها الاول . وربما كانت - بالاضافة الى القانون الاساسي - خير مصدر لتاريخها .

٢ - راجع التقرير السنوي الاول الذي وضعته هذه الجمعية وطبع في القاهرة سنة ١٩٢٤ . ويذكر هذا التقرير ان الاعضاء انخرطوا في الفرع المركزي في القاهرة في ٦ يناير ١٩٢٣ . اما البناء فاشتري سنة ١٩٢٢ .

٣ - راجع في Whither Islam, edited by H. A. R. Gibb, London 1932

تحليل G. Kampfermeyer PP. 101-170 حيث يذكر ان المادة الثانية تنص على عدم التدخل في السياسة . وانظر القانون الاساسي الطبعة الحادية عشرة سنة ١٣٦٧ هـ . ١٩٤٧ م . حيث يرد نص

المنع في المادة الرابعة على الصورة الآتية « تعمل الجمعية على توثيق الصلات والروابط بين الشعوب الاسلامية وعلى الدفاع عن حقوقها ومصالحها كلما استطاعت الى ذلك سبيلا ، ولا تتعرض هذه الجمعية للمنازعات السياسية بأي حال . »

٤ - راجع كتاب الصعلكة والفتوة للدكتور احمد امين بك العدد ١١١ من سلسلة اقرأ ، ابريل ١٩٥٢ ، حيث يربط المؤلف بين جمعية الاخوان المسلمين ونظام الفتوة ص ٩٦ .

٥ - انظر افتتاحية مجلة الرسالة الصادرة في القاهرة بتاريخ ٣١ مارس ١٩٥٢ عدد ٩٧٨ .

٦ - جريدة الاخوان المسلمين عدد ٢٤ بتاريخ ٣١ مايو ١٩٤٦

٧ - انظر كتاب (من خطب حسن البنا ، الحلقة الاولى) ص ٥٩ . ان كثيراً من مطبوعات الاخوان لا تاريخ لها .

٨ - كتاب في ١٠٢ ص ، مطبعة الاخاء في مصر ، بلا تاريخ وربما وضع سنة ١٩٤٦ .

٩ - انظر كتاب (مذكرات حسن البنا) ص ٨٦ .

١٠ - جريدة الاخوان المسلمين عدد ٧٠ بتاريخ ٢٤ يوليو سنة ١٩٤٦ .

١١ - المصدر نفسه عدد ٥٩ بتاريخ ١١ يوليو ١٩٤٦ .

١٢ - المصدر نفسه عدد ٦٢ بتاريخ ١٥ يوليو ١٩٤٦ .

١٣ - المصدر نفسه عدد ٧٠ بتاريخ ٢٤ يوليو ١٩٤٦ .

١٤ - مذكرات البناء ٣١ و روح وريحان ل احمد انس
الحجاجي ص ١٢٨ و ص ١٣١ .

١٥ - روح وريحان ص ٣٠ .

١٦ - المصدر نفسه ص ٣٢ و مذكرات البناء ص ٨ .

١٧ - مذكرات البناء ص ١٦ .

١٨ - المصدر نفسه ص ١٧ .

١٩ - المصدر نفسه ص ٦ ، ٨ ، ١٧ .

٢٠ - المصدر نفسه ص ٢٨ .

٢١ - المصدر نفسه ص ٢٨ .

٢٢ - قائد الدعوة ، حياة رجل و تاريخ مدرسة ، ل احمد انور

الجندي القاهرة ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٥ م . ص ١٣٧ .

٢٣ - المصدر نفسه ص ١٤٤

٢٤ - مذكرات البناء ص ٥٦ - ٥٧ .

٢٥ - قائد الدعوة ص ١٣٧ .

٢٦ - المصدر نفسه ص ١٣٧ .

٢٧ - من خطب حسن البناء (الحلقة الاولى) دمشق ١٩٣٨

ص ٥ .

٢٨ - مذكرات البناء ص ٥٨ .

٢٩ - راجع في تفصيل ذلك المصدر نفسه ص ٥٩ - ٦٣ .

٣٠ - المصدر نفسه ص ٦٣ - ٦٦ . و كتاب روح وريحان

بقلم احمد انس الحجاجي القاهرة ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٥ م ص ٩٦ - ٩٨ .

الفصل الثانى

٣١ - مذكرات البنا ص ٦ ، ٨

٣٢ - المصدر نفسه ص ١٧

٣٣ - الاخوان المسلمون في الميزان ص ١٤

٣٤ - مذكرات البنا ص ٥٢

٣٥ - المصدر نفسه ص ٧٠

٣٦ - من حملة الفكرة الاولى احمد السكري ، وكان في

المحمودية وكان وكيل جمعية الاخوان . وأتابه البنا عنه مع آخر
عند سفره الى الحجاز . وكان من حملة الاقلام العنيفة . ثم انشق
على الجماعة . ومنهم حامد عسكرية وكان بالزقازيق ، واحمد عبد
الحميد ، وكان في كفر الدوار (انظر من خطب حسن البنا ،
الحلقة الاولى ص ٦) .

٣٧ - مذكرات البنا ص ٨٠

٣٨ - المصدر نفسه ص ٨٦ انظر كذلك (كتاب حسن البنا

- حياة رجل وتاريخ مدرسة بقلم احمد انور الجندي - القاهرة
١٣٦٥ هـ - ١٩٤٥ م) ص ٧٤ و ٨٤ .

٣٩ - مذكرات البنا ص ٨٨

٤٠ - حسن البنا حياة رجل وتاريخ مدرسة ص ١٠٩

٤١ - انظر كتاب (روح وربحان بقلم احمد انس الحجاجي

القاهرة ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٥ م) ص ٢٣٦ .

- ٤٢ - حسن البنا - حياة رجل وتاريخ مدرسة ص ١٢٧
- ٤٣ - المصدر نفسه ص ١٠٧ وروح وريحان ص ١٩٠
- ٤٤ - روح وريحان ص ١٩٩ - ٢٠٠
- ٤٥ - حسن البنا - حياة رجل وتاريخ مدرسة ص ١٠٩
- ٤٦ - روح وريحان ص ١٩٩
- ٤٧ - المصدر نفسه ص ٢٠١
- ٤٨ - هل نحن قوم عمليون ؟ بقلم البنا ، القاهرة ١٩٤٦
- ص ١٥ - ١٦
- ٤٩ - روح وريحان ص ٢٥٠
- ٥٠ - انظر في كتاب (ثورة الدم لعبد الرحمن الساعاتي) بلا تاريخ خطبة على قبر بني امية سنة ١٩٣٥ ص ١١ ، ومقالاً من بيت المقدس ص ١٠٨ ، ومقالاً على قبر بلال ص ١١٣ .
- ٥١ - انظر مقالات بعنوان (نحن) نشرت في جريدة « الاخوان المسلمون » عدد ٥٢ بتاريخ ٣ يوليو ١٩٤٦ .
- ٥٢ - انظر رسالة عنوانها (نحو النور) بقلم البنا ، القاهرة ١٩٣٦ ص ٣٠ - ٣٦ .
- ٥٣ - المصدر نفسه ص ٣٠ ، البند الاول .
- ٥٤ - رسالة المنهج الصادرة سنة ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م ، وانظر جريدة « الاخوان المسلمون » بتاريخ ٢ يوليو ١٩٤٦ .
- ٥٥ - من خطب حسن البنا ، الحلقة الاولى ص ١٤ - ١٥ .
- ٥٦ - جريدة « الاخوان المسلمون » بتاريخ ٣ يوليو ١٩٤٦ .

- ٥٧ - المصدر نفسه بتاريخ ٤ يوليو ١٩٤٦ .
- ٥٨ - من خطب حسن البنا ، الخطبة الاولى ص ٢٤ .
- ٥٩ - المصدر نفسه ص ٣٩ .
- ٦٠ - المصدر نفسه ص ٤١ - ٤٢ .
- ٦١ - المصدر نفسه ص ٥٦ .
- ٦٢ - انظر « قانون النظام الاساسي لهيئة الاخوان المسلمين » طبقاً للتعديل الذي افترته الجمعية العمومية في اجتماعها بتاريخ ٨ سبتمبر ١٩٤٥ ص ٤ .
- ٦٣ - انظر جريدة « الاخوان المسلمون » العدد ١٨٦ بتاريخ ١٢ ديسمبر ١٩٤٦ .
- ٦٤ - المصدر نفسه . وفي رواية ان العدد ناهز المليون . انظر مقدمة مذكرات حسن البنا .
- ٦٥ - انظر مجلة « الدعوة » الاسبوعية العدد ٦١ بتاريخ ١٥ ابريل ١٩٥٢ .
- ٦٦ - مقدمة مذكرات حسن البنا .
- ٦٧ - مجلة « الدعوة » العدد ٦١ بتاريخ ١٥ ابريل ١٩٥٢ .
- ٦٨ - صورة البيان في جريدة « الاخوان المسلمون » عدد ١٣٥ بتاريخ ١٠ اكتوبر ١٩٤٦ .
- ٦٩ - المصدر نفسه العدد ١٨٣ بتاريخ ٩ ديسمبر ١٩٤٦ .
- ٧٠ - انظر كتاب (رجل الساعة) لاحمد أنس الحجاجي ، بلا تاريخ ، ص ٩٣ .

٧١ - جريدة «الاخوان المسلمون» بتاريخ ٦ مايو ١٩٤٦
وجريدة المنار الدمشقية العدد ١٨٤ بتاريخ ١٤ ايار (مايو) ١٩٤٨.
٧٢ - جريدة المنار الدمشقية العدد ٥٢٨ بتاريخ ٢٢ شباط
(فبراير) ١٩٤٩ .

٧٣ - مجلة الدعوة العدد ٦١ بتاريخ ١٥ ابريل ١٩٥٢ .
٧٤ - للاطلاع على تفصيل هذه الحوادث التي عُرفت بقضية
سيارة الجيب راجع كتيباً عنوانه «اقوال كبار الشهود وحوادث
التعذيب» بلا تاريخ ، وكتيباً آخر عنوانه « الحثيات ونص
الحكم » بلا تاريخ ايضاً . ونشرت الاهرام والمصري وخلافهما
التحقيقات تباعاً .

٧٥ - انظر جريدة المنار الدمشقية العدد ٥٢٨ بتاريخ ٢٢
شباط (فبراير) ١٩٤٩ .

٧٦ - انظر طرفاً من حوادث المعتقلات في كتاب (معتقل
كامكستب لمحمد علي الطاهر) وكان المؤلف معتقلاً . وهو صاحب
جريدة الشورى التي كانت تصدر في القاهرة .

٧٧ - جريدة «الجمهور المصري» بتاريخ ٥ فبراير ١٩٥١ ،
وقد اثبت فيه هذا التصريح .

٧٨ - نشرت مجلة « الدعوة » وصفاً لذلك في العدد ٤٤ بتاريخ
١٨ ديسمبر ١٩٥١ .

٧٩ - جريدة الحياة البيروتية العدد ١٦٨٢ بتاريخ ٣١
اكتوبر ١٩٥١ .

٨٠ - الكتب الثلاثة الاول بقلم عبد القادر عودة القاضي بالمحاكم الوطنية ومن اعضاء الجمعية . وله كذلك الكتب التالية :
التشريع الجنائي في الاسلام ، والمال والحكم في الاسلام ،
والاسلام واوضاعنا المالية . وهي كلها في الاتجاه الذي أشير اليه .
والكتب الثلاثة الآخر بقلم محمد الغزالي من اعضاء الجمعية واكثرهم
كتابة في الصحف دفاعاً عن العقيدة . وله عدا تلك الكتب ما يلي :
من هنا نعلم ، ردّاً على كتاب الشيخ خالد محمد خالد الذي احدث
ضجة كبيرة وعنوانه (من هنا نبدأ) . وله كذلك كتاب عقيدة
المسلم ، والاسلام المفترى عليه . وهي كلها في الاتجاه نفسه .
ومن الكتب التي في هذا الموضوع كتابا نظم العمل في الاسلام ،
ونظم الحرب في الاسلام بقلم جمال الدين عباد ، والاسلام وحقوق
الانسان لعبد المنعم خفاجي .

٨١ - مجلة شهرية صاحب امتيازها ورئيس تحريرها سعيد
رمضان . صدر العدد الاول في ٣٠ نوفمبر ١٩٥١ . والمحرر من اكبر
دعاة الاخوان وافصحهم لساناً واقواهم حجة . وهو من خريجي
جامعة فؤاد . وطورد في عهد عبد الهادي باشا واقام مدة في
الباكستان . ثم عاد الى القاهرة . وهناك مجلة اسبوعية اسمها
« الدعوة » لصاحبها ورئيس تحريرها صالح العشماوي من اعضاء
الجمعية . ولكن الجمعية اعلنت ان هذه المجلة لا تنطق بلسان الجماعة .
وهي شعبية وذات طابع سياسي ، في حين يغلب على مجلة (المسلمون)
الطابع العلمي الرصين .

الفصل الثالث

- ٨٢ - مقدمة مذكرات حسن البنا .
- ٨٣ - انظر روح وريحان ص ٣٧٦ ورجل الساعة لاحد أنس الحجاجي ص ١٢١ .
- ٨٤ - انظر جريدة « الاخوان المسلمون » بتاريخ ٦ مايس سنة ٩٤٦ .
- ٨٥ - من خطب حسن البنا ، الحلقة الاولى ص ٩ . ولهذا جعلوا شعارهم سيفين بينها مصحف .
- ٨٦ - روح وريحان ص ٢٦٤ .
- ٨٧ - المصدر نفسه ص ١٠١ .
- ٨٨ - مختصراً من المصدر السابق ص ١٠٣ - ١١٣ .
- ٨٩ - مذكرات حسن البنا ص ٥ ، ٢٩ ، ٤٩ .
- ٩٠ - المصدر نفسه ص ١١ .
- ٩١ - المصدر نفسه ص ١٥ .
- ٩٢ - المصدر نفسه ص ١٦ .
- ٩٣ - المصدر نفسه ص ١٨ .
- ٩٤ - المصدر نفسه ص ٢٠ .
- ٩٥ - حسن البنا ، حياة رجل وتاريخ مدرسة ص ٨٤
- ٩٦ - المصدر نفسه ص ٨٤ ومذكرات حسن البنا ص ٨-٢٠
- وص ٤٦ .

٩٧ - مذكرات حسن البنا ص ٢٥ .

٩٨ - المصدر نفسه ص ٨٢ .

٩٩ - المصدر نفسه ص ٨٢ .

١٠٠ - قال في مذكراته: كنا ننكر على كثير من المنتسبين

للطرق خروجهم على تعاليم الاسلام ، فكننا مريدين احراراً في
تفكيرنا وان كنا مخلصين كل الاخلاص في تقديرنا للعبادة والذكر
وادب السلوك (ص ٤٩) .

١٠١ - المصدر نفسه ص ٦٨ .

١٠٢ - راجع اسماء المتون في المصدر السابق ص ٣٢ .

١٠٣ - المصدر نفسه ص ١٥ .

١٠٤ - » » » ٣١ .

١٠٥ - » » » ٤٩ .

١٠٦ - روح وريحان ص ٢٤١ - ٢٤٢ .

١٠٧ - مذكرات حسن البنا ص ٤٢ و ٦٩ .

١٠٨ - حسن البنا ، حياة رجل وتاريخ مدرسة ص ١٥٦ .

١٠٩ - مذكرات حسن البنا ص ٨١ .

١١٠ - جريدة الجمهور المصري بتاريخ ٥ فبراير ١٩٥١ .

١١١ - رجل الساعة ص ٩٣ .

١١٢ - انظر مثلاً على ذلك رسالة (نحو النور) بقلم البنا ،

القاهرة ١٩٣٦ ص ٩ - ١٩ ، و (الى اي شيء ندعو الناس)

بقلمه ايضاً ص ٢٣ وروح وريحان ص ٣٥٠ .

١١٣ - انظر ص ٨٧ - ٩٢ وص ١٠٦ . هذا الكتاب اسمه
على الغلاف الخارجي (قائد الدعوة) وعلى الغلاف الداخلي (حسن
البناء ، حياة رجل وتاريخ مدرسة) .

١١٤ - ص ٢٩٠ .

١١٥ - ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .

١١٦ - جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ٥ يوليو ١٩٤٦ .

١١٧ - انظر ص ١٤٢ .

١١٨ - المصدر نفسه ص ٥٨ .

١١٩ - روح وريحان ص ٢١٥ .

١٢٠ - ملخصاً من (رجل الساعة) ص ١٢٠ - ١٢٢ .

١٢١ - التامس الاسبوعية بتاريخ ١٢ ديسمبر ١٩٤٦ وجريدة

(الاخوان المسلمون) بتاريخ ١٢ ديسمبر ١٩٤٦ .

١٢٢ - احمد أنس الحجاجي في كتابه (روح وريحان)

ص ٢٩٤ .

الفصل الرابع

١٢٣ - روح وريحان ص ٢٩٤ .

١٢٤ - الباب الثاني المادة الرابعة ص ٤ .

١٢٥ - من خطب حسن البناء ، الحلقة الاولى ص ٢٠ .

١٢٦ - المصدر نفسه ص ٢٤ .

١٢٧ - رجل الساعة ص ٩٣ .

١٢٨ - ص ٩ .

١٢٩ - روح وريحان ص ٣٨١ .

١٣٠ - المصدر نفسه ص ٣٧٤ .

١٣١ - انظر (دعوتنا) وهي رسالة غير مؤرخة ، ولكنها من رسائلهم الاولى ، ولا توقيع عليها وان كان الراجح انها بقلم البنا .
١٣٢ - انظر (الى اي شيء ندعو الناس) بقلم البنا ، ولا تاريخ لها ، ص ٢٣ .

١٣٣ - دعوتنا ص ١١ .

١٣٤ - (كيف ندعو الناس) بقلم عبد البديع السيد صقر ، وموافقة البنا عليها ، الطبعة الثانية ١٩٤٦ ص ٤ وهذا يعني انهم سلفيون .

١٣٥ - من خطب حسن البنا ، الحلقة الاولى ص ١٤ .

١٣٦ - روح وريحان ص ٣٩٠ .

١٣٧ - هذه المبادئ الستة هي بنود المادة الثانية في الباب الثاني من قانون النظام الاساسي للاخوان الذي اقرته الجمعية العمومية سنة ١٩٤٥ .

١٣٨ - من خطب حسن البنا ، الحلقة الاولى ص ١٧ .

١٣٩ - دعوتنا ص ٢٣ .

١٤٠ - من خطب حسن البنا ، الحلقة الاولى ص ١٨ - ٢٠ .

١٤١ - المصدر نفسه ص ٣٧ .

- ١٤٢ - المصدر نفسه ص ٤١ - ٤٣ .
- ١٤٣ - المصدر نفسه ص ٥٠ - ٥٥ .
- ١٤٤ - المصدر نفسه ص ٥٦ - ٥٧ وجريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ٣٠ يوليو ١٩٤٦ .
- ١٤٥ - من خطب حسن البنا ، الحلقة الاولى ص ٦٦ - ٧٠

الفصل الخامس

- ١٤٦ - الى اي شيء ندعو الناس ص ٢٦ . وانظر مقالة البنا في مقدمة مجلة الشهاب التي أثبتت في صدر العدد الاول من مجلة (المسلمون) بتاريخ ٣٠ نوفمبر ١٩٥١ ولا سيما ص ٨ حيث تلخص رسالة الشهاب التي هي رسالة الدعوة .
- ١٤٧ - حسن البنا ، حياة رجل وتاريخ مدرسة ص ١٢٥ .
- ١٤٨ - جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ١١ يوليو ١٩٤٦ .
- ١٤٩ - جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ٥ مايس ١٩٤٦ .
- ١٥٠ - المصدر نفسه بتاريخ ٦ يونيو ١٩٤٦ .
- ١٥١ - نحو النور ص ٣١ - ٣٤ ، و (هل نحن قوم عمليون) بقلم البنا ، ١٩٤٦ ، ص ٢٩ ، وجريدتهم بتاريخ ١٧ مايو ١٩٤٦ .
- ١٥٢ - الى اي شيء ندعو الناس ص ٢٣ .
- ١٥٣ - روح وربجان ص ٢٩٥ .

١٥٤ - رجل الساعة ص ١٢٤ .

١٥٥ - المصدر نفسه ص ١٢٣ .

١٥٦ - انظر روح وريحان ص ٣٧٦ - ٣٧٧ .

١٥٧ - رجل الساعة ص ١١٥ .

١٥٨ - جرى المرشد العام الجديد على نهج سلفه فرفع الى نجيب الهلالي باشا رسالة تعبر عن رأي الاخوان في السياسة المحلية والخارجية كحركة التطهير التي اعلن الهلالي باشا عزمه على تنفيذها وقضية المفاوضات مع الانجليز الخ.. (انظر جريدة الاهرام بتاريخ ٢٦ مارس ١٩٥٢) .

١٥٩ - جريدة (الاخوان المسلمون) ٧ يوليو ٩٤٦ .

١٦٠ - المصدر نفسه بتاريخ ١٠ يوليو ٩٤٦ .

١٦١ - المصدر نفسه » »

١٦٢ - » بتاريخ ١١ يوليو ٩٤٦ .

١٦٣ - » بتاريخ ٢٥ يوليو ٩٤٦ .

١٦٤ - » » ٢٤ » »

١٦٥ - » » ١٤ » »

١٦٦ - » » ٣٠ » »

١٦٧ - » » ٣٠ » »

١٦٨ - ورد مايشبه هذه الاهداف في نشرة عنوانها (اهدافنا ومبادئنا) صادرة عن اللجنة المركزية للاخوان في دمشق بتاريخ ١٣٦٥ - ١٩٤٥ وارى انها تشبه آراء الاخوان في مصر . وانظر

مقررات المؤتمر السادس للاخوان المسلمين ص ٧ .
١٦٩ - نحو النور ص ١٨ - ١٩ الى اي شيء ندعو الناس
ص ٢٦ .

١٧٠ - جريدة «الاخوان المسلمون» بتاريخ ١٧ يونيو ٩٤٦ .
١٧١ - المصدر نفسه بتاريخ ٢٠ مايو ٩٤٦ .
١٧٢ - المصدر نفسه بتاريخ ١٨ يونيو ٩٤٦ .
١٧٣ - المصدر نفسه بتاريخ ٣ يونيو ٩٤٦ .
١٧٤ - انظر (هل نحن قوم عمليون ؟) ص ١٤ .

١٧٥ - وقد جاء في رسالة الوزير اليهم : « وقد رأينا جماعتكم
المنبئة في كثير من القرى والحوضر من الشمال إلى الجنوب حقيقة
بان تقوم بقسطها في الكفاح . . وتتيح لهم فرصة لتحقيق جزء كبير
من برنامجكم الاصلاحى » . وفي هذا اعتراف بمبلغ نفوذهم في ذلك
الوقت . انظر جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ١١ اكتوبر
٩٤٦ .

١٧٦ - هل نحن قوم عمليون ص ١٤ - ١٦ .
١٧٧ - جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ٣ يوليو ٩٤٦ .
١٧٨ - المصدر نفسه بتاريخ ٢٣ يونيو ٩٤٦ .
١٧٩ - انظر كتاب (معتقل هامكستب) لمحمد علي الطاهر
ص ٦ .

١٨٠ - جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ١٨ يونيو ٩٤٦ .
١٨١ - المصدر نفسه بتاريخ ٧ يونيو ٩٤٦ .

- ١٨٢ - المصدر نفسه بتاريخ ٢٠ يونيو ١٩٤٦ .
- ١٨٣ - » » ٣١ مايو ١٩٤٦ .
- ١٨٤ - » » ٣ يونيو ١٩٤٦ .
- ١٨٥ - روح وريحان ص ٣٠٩ .
- ١٨٦ - المصدر نفسه ص ٣١٠ .
- ١٨٧ - المصدر نفسه ص ٣١٣ .
- ١٨٨ - جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ٢٤ يونيو ١٩٤٦ .
- ١٨٩ - جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ٢١ يونيو ١٩٤٦ .
- ١٩٠ - مجلة الدعوة بتاريخ ١٥ نيسان ١٩٥٢ .
- ١٩١ - جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ٢٥ مايو ١٩٤٦ .
- ١٩٢ - انظر (بيان عن مشروع المطبعة الاسلامية والجريدة اليومية) سنة ١٩٤٥ .
- ١٩٣ - راجع اسماء الشركات في مجلة الدعوة بتاريخ ١٥ ابريل ١٩٥٢ .
- ١٩٤ - جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ١٢ يوليو ١٩٤٦ .
- ١٩٥ - هل نحن قوم عمليون ص ١٨ - ١٩
- ١٩٦ - من خطب حسن البنا ، الحلقة الاولى ص ١٥
- ١٩٧ - انظر (اهدافنا ومبادئنا) ص ٥ حيث يذكر ان في المدنية الغربية خيراً كثيراً وشرّاً كثيراً ، وانه لا غنى عن الاستعانة بصناعتها وعلومها ، وان كل تجديد نافع لا يذيب الشخصية هو قوة

جديدة تدعم كيان الامة .. الخ... وهذا القول يبين موقفهم عملياً
من الحضارة الغربية، ويدحض القول انهم كانوا مخاصمين لها اطلاقاً.
هذا ولا ينكر ان بعض كتابهم غالوا في الحملة على الحضارة الغربية.
ولكن الاتجاه العام هو ما يبين من هذه العبارة .

١٩٨ - اهدافنا ومبادئنا ص ٨ - ١٠ .

١٩٩ - هل نحن قوم عمليون ص ٤٨ - ٥٢ .

٢٠٠ - مجلة الدعوة بتاريخ ١٥ ابريل ١٩٥٢ .

٢٠١ - جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ٣ يونيو ١٩٤٦ .

٢٠٢ - المصدر نفسه بتاريخ ١١ يونيو ١٩٤٦ .

٢٠٣ - الاخوان المسلمون في الميزان ص ٢٦ .

٢٠٤ - جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ٧ اغسطس ١٩٤٦

وبتاريخ ٧ يونيو ١٩٤٦ .

٢٠٥ - نحو النور ص ١٥ - ١٦ .

٢٠٦ - روح وريحان ص ٢٩٧ .

٢٠٧ - انظر حرف (ه) من المادة الثانية في (قانون النظام

الاساسي) ص ٢ - ٣ .

٢٠٨ - جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ٧ مايو ١٩٤٦ .

٢٠٩ - من خطب حسن البناء، الحلقة الاولى ص ٣٩ .

٢١٠ - جريدة الحياة البيروتية عدد ١٦٨٢ بتاريخ ٣١/١٠/٥١

٢١١ - جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ٥ يونيو ١٩٤٦

و٦ يونيو و١٤ يونيو ١٩٤٦ .

٢١٢ - المصدر نفسه بتاريخ ١٨ يونيو ١٩٤٦ .

الفصل السادس

- ٢١٣ - توفي محمد بن عبد الوهاب سنة ١٢٠٦ هـ ١٧٩١ م .
- ٢١٤ - انظر تاريخ مصر الحديث لجورجي زيدان حيث يقرر ان الوهابيين ذهبوا الى اغفال الكتب الدينية الاسلامية إلا القرآن والحديث . فهم بمنزلة الطائفة الانجيلية عند المسيحيين (الطبعة الاولى ج ٢ ص ٢٢٩) . وانظر فلسفة التشريع الاسلامي لصبحي المحمصاني (الطبعة الثانية) ص ٧٦ ، وزعماء الاصلاح في العصر الحديث لاحمد امين سنة ١٩٤٨ ص ١٠ - ٢٥ .
- ٢١٥ - من خطب حسن البنا ، الحلقة الاولى ص ١٢ .
- ٢١٦ - المصدر نفسه ص ٧ .
- ٢١٧ - المصدر نفسه ص ٩ .
- ٢١٨ روح وريحان ص ٣٠٤ .
- ٢١٩ - المصدر نفسه ص ٢٣٣ .
- ٢٢٠ - ثورة الدم ص ٨٥ .
- ٢٢١ - الى اي شيء ندعو الناس ص ١١ .
- ٢٢٢ - من خطب البنا ، الحلقة الاولى ص ١١ .
- ٢٢٣ - المصدر نفسه ص ٤١ - ٤٢ .
- ٢٢٤ - المصدر نفسه ص ١٣ .
- ٢٢٥ - جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ٥ مايو ١٩٤٦ .
- ٢٢٦ - المصدر نفسه بتاريخ ١٠ اكتوبر ١٩٤٦ .

- ٢٢٧ - المصدر نفسه بتاريخ ٣ ديسمبر ٩٤٦ .
- ٢٢٨ - من خطب حسن البنا ، الحلقة الاولى ص ٥٤ .
- ٢٢٩ - المصدر نفسه ص ٥٦ .
- ٢٣٠ - نشرت هذه الاحصاءات بمجلة آخر ساعة المصرية عدد ٨٩٦ بتاريخ ٢٦ ديسمبر ١٩٥١ .
- ٢٣١ - من خطب حسن البنا ، الحلقة الاولى ص ٦٠-٦٣ .
- ٢٣٢ - جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ٣ يوليو ٩٤٦ .
- ٢٣٣ - روح وريحان ص ٣٨٦ .
- ٢٣٤ - جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ١١ يوليو ٩٤٦ .
- ٢٣٥ - ثورة الدم ص ١٣٨ .
- ٢٣٦ - روح وريحان ص ٣٤٩ .
- ٢٣٧ - رجل الساعة ص ١٢١ .
- ٢٣٨ - من خطب حسن البنا ، الحلقة الاولى ص ٦٦-٧٠ .
- وانظر جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ٩ اكتوبر ٩٤٦ .
- ٢٣٩ - من خطب حسن البنا ، الحلقة الاولى ص ٥٣ ، و (الى اي شيء ندعو الناس) ص ٢٩ .
- ٢٤٠ - الاخوان المسلمون في الميزان ص ٣٩ .
- ٢٤١ - انظر الى اي شيء ندعو الناس ص ٣٠ ، وجريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ٢٣ مايو ٩٤٦ ، ودعوتنا ص ٨ ، وثورة الدم ص ١٠٠ .
- ٢٤٢ - حملاتهم على الشيوعية لم تنقطع قبل المحنة وبعدها .

- انظر مثلاً جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ١٧ يوليو ٩٤٦ .
- ٢٤٣ - وضح البنا هذه السياسة في رسالة ارسلها الى الملك فاروق والنحاس باشا ورؤساء حكومات العالم الاسلامي سنة ١٩٣٦ ، ونشرت بعنوان (نحو النور) ، انظر ص ٢٢ - ٢٥ .
- ٢٤٤ - جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ١٧ مايو ٩٤٦ .
- ٢٤٥ - المصدر نفسه بتاريخ ٦ يونيو ٩٤٦ .
- ٢٤٦ - انظر كتاب (الاسلام واصول الحكم) ص ١٣ ، ص ١٦ ، ص ٤٩ ، ص ٧٩ ، ص ٨٣ ، ص ١٠٣ .
- ٢٤٧ - رجل الساعة ص ١٤٣ ، وهل نحن قوم عمليون ص ٢٨ ، وروح وريحان ص ١٩٤ .
- ٢٤٨ - جريدة (الاخون المسلمون) بتاريخ ١١ يوليو ٩٤٦

الفصل السابع

- ٢٤٩ - ملخصاً من خطبة للبنا . انظر (من خطب حسن البنا) الحلقة الاولى ص ٥٠ - ٥٥ . وانظر كذلك (مجموعة مقالات حسن البنا) ص ٣٦ .
- ٢٥٠ - من خطب حسن البنا ، الحلقة الاولى ص ٥١ .
- ٢٥١ - ثورة الدم ص ١٢٨ .
- ٢٥٢ - قضايا الاقطار الاسلامية ص ٨ .

- ٢٥٣ - الى اي شيء ندعو الناس ص ٢٣ - ٢٤ .
- ٢٥٤ - الاخوان المسلمون في الميزان ص ٧٥ .
- ٢٥٥ - انظر رسالة من البنّا الى المستر تشرشل في هذا الشأن في (جريدة الاخوان المسلمون) بتاريخ ٢٣ مايو ١٩٤٦ .
- ٢٥٦ - انظر (ثورة الدم) ص ٤٣ .
- ٢٥٧ - جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ٢٢ اكتوبر ١٩٤٦ .
- ٢٥٨ - (انظر ص ٧٩) .
- ٢٥٩ - انظر Islam in Modern World الذي اصدرته Middle East Institute سنة ١٩٥٠ ص ٥٨ .
- ٢٦٠ - جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ٣٠ نوفمبر ١٩٤٦ .
- ٢٦١ - انظر (القانون الاساسي لجماعة الاخوان المسلمين في لبنان) اول نوار ١٩٤٩ ، في ١٦ صفحة .
- ٢٦٢ - صدر الآن ست وصايا في نشرات صغيرة الحجم سنة ١٩٥١ ، والوصية الرابعة تجمع مبادئهم وخلاصة وصاياهم . ويذكرون في الوصية السادسة انهم دعوة دينية وجماعة رياضية ورابطة علمية ومنظمة اجتماعية وشركة اقتصادية - وهي جميعاً من اوصاف الجماعة في القاهرة . ويبحثون في هذه الوصية على الفتوة وهي نزعة اخوانية ايضاً . واذا جاز موازنة (عباد الرحمن) (بالاخوان المسلمين) في لبنان قيل ان (عباد الرحمن) اقرب الى ان تكون شعبة صغيرة من شعب الاخوان في مصر قولاً وعملاً . والثانية ما تزال اسماً في الظاهر على الاقل .

٢٦٣ - انظر تقرير البعثة الى السودان في جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ١٩ نوفمبر ١٩٤٦ .

٢٦٤ - المصدر نفسه بتاريخ ٣٠ ديسمبر ١٩٤٦ .

٢٦٥ - المصدر نفسه » ٢٨ أكتوبر » .

٢٦٦ - المصدر نفسه » ١٣ نوفمبر » .

٢٦٧ - المصدر نفسه » ٢ أكتوبر » .

٢٦٨ - مجلة الدعوة بتاريخ ١٥ ابريل ١٩٥٢ .

الفصل الثامن

٢٦٩ - من خطب حسن البنا ، الحلقة الاولى ص ١٦

٢٧٠ - انهار الحضارة الغربية لانور الجندي ، القاهرة سنة

١٣٦٥ هـ ١٩٤٥ م ص ٢٠

٢٧١ - مجلة آخر ساعة العدد ٨٩٦ بتاريخ ٢٦ ديسمبر ١٩٥١ .

٢٧٢ - انظر مرافعة النيابة في جريدة الاساس الناطقة باسم

الكتلة السعدية التي كانت يرئسها النقراشي فابراهيم عبد الهادي -

العدد ٧٠٣ بتاريخ ١٣ سبتمبر ١٩٤٩

٢٧٣ - المأثورات مجموع آيات قرآنية واحاديث وادعية جمعها

البنا اتباعاً لسنة النبي وكلف اتباعه ان يتلوها افراداً وجماعات في

اوقات معينة (صباحاً من الفجر الى الظهر ، ومساء من العصر الى

ما بعد العشاء) ، وبعضها يقرأ في المناسبات . وقد فصل البنا انواع

الذكر، فجعل منه التوبة والتفكير وطلب العلم وطلب الرزق الخ... وهي في جملتها ضرب من الآداب التي يتأدب بها الناس . والراجح ان البنا اقتبس هذه العملية من الصوفية ، وان كان لها سند في الحديث النبوي . اما الاوراد فهي تسابيح وادعية مألوفة عند الصوفية ايضاً . وقد طبعت (المأثورات) في كتيب في ١٠١ صفحة من الحجم الصغير (القاهرة ، مطبعة دار الكتاب العربي ١٩٥١) .

٢٧٤ - انظر جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ١٩ يوليو

٩٤٦ .

٢٧٥ - يتضح ذلك من عدد من القوانين الواردة في نظامهم الاساسي كالبيعة على السمع والطاعة للمرشد ، والثقة بالقيادة ، وتنفيذ القرارات وان خالفت رأي العضو .

٢٧٦ - جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ١٨ يوليو ٩٤٦ .

٢٧٧ - المصدر نفسه بتاريخ ٣ يونيو ٩٤٦ .

٢٧٨ - من خطب حسن البنا (الحلقة الاولى) ص ٦٧ .

٢٧٩ - المصدر نفسه ص ١٧ .

٢٨٠ - انظر (كيف ندعو الناس) ص ٤ و ص ١١ .

٢٨١ - مجلة الرسالة العدد ٩٦٦ بتاريخ ٧ يناير ١٩٥٢ ومجلة

الدعوة العدد ٤٨ بتاريخ ١٥ يناير ٥٢ . والكاتب عضو في مجمع فؤاد الاول للغة العربية ، ورئيس تحرير مجلة الازهر . ومجلته (الرسالة) ذات شهرة ورواج . وقد اخذت في المدة الاخيرة

تناصر الاخوان وتشيد بدعوتهم .

٢٨٢ - جريدة بيروت بتاريخ ٢٢ يناير ١٩٥٢ .

٢٨٣ - انظر في تطور التشريع المصري المدني كتاب (فلسفة التشريع في الاسلام) للدكتور صبحي المحمصاني الطبعة الثانية ١٩٥٢ من ٧٥ - ٨٠ . وهو يذكر ان التشريع الجديد مستقى من مصادر ثلاثة : القانون المقارن ، واجتهاد القضاء المصري ، والشريعة الاسلامية .

٢٨٤ - يبدو ان الاخوات بعد المحنة تنهوا الى هذا . ففي الرسالة التي اصدروها بعنوان (دعوتنا في طور جديد) - وهو عنوان ذو مغزى كما لا يخفى - ابرزوا العنصر الروحي والاخلاقي ابرازاً قوياً فقالوا : ان اول ما نهتم له في دعوتنا وأهم ما نعمل عليه في نمائها وظهورها وانتشارها هذه اليقظة الروحية المرجاة . فنحن نريد اول ما نريد يقظة الروح ، حياة القلوب ، صحوة حقيقية في الوجدان والمشاعر . وليس يعيننا ان نتكلم عما نريد بهذه الدعوة من فروع الاصلاح في النواحي العملية المختلفة بقدر ما يعيننا ان نركز في النفوس هذه الفكرة ص ١٧ . وليس ثم تعبیر اقوى واوضح من هذا التعبير للدلالة على هذا التطور الجديد . اما الحكومة الدينية فقد اختفت كذلك ، او على الاقل ضعف شأنها . فقد ذكروا « ان الاسلام يضع القواعد الكاية ويدع الفرعيات والجزئيات ويرسم طرائق التطبيق ويكل للازمان والعصور بعد ذلك ان تعمل عملها ، وهو لذلك شريعة كل زمان ومكان »

ص ٢٢٣ وحملوا على تقسيم القضاء الى شرعي ، وغير شرعي
داعين الى توحيد المحكمة على اساس اعتبار الشريعة الاسلامية. هي
شريعة البلاد ومصدر التقنين - ص ٢٧ . وهذا تطور جديد بالنسبة
لما ذكره او ذكر عنهم في المؤلفات الموضوعة قبل الحقبة . والرسالة
لا تحمل اسم مؤلف ولكن ذكر في اعلاها انها (من رسائل
الاخوان المسلمين) . مطبعة دار الكتاب العربي ١٩٥٢ .

Quoted from « Islam in the Modern World » — ٢٨٥
the Middel East Institute, 1950, P. 54 .

٢٨٦ — العدد ٧ بتاريخ يوليو ١٩٥١ .

٢٨٧ — مثل هذا الرأي لا يزال قائماً بعد الحقبة كما يبدو من
رسالتهم دعوتنا في طور جديد ص ١٠ ، حيث يذكرون ان
الغرب عاش في أخريات ايامه مادي النزعة لا يشعر بغير المادة ولا
يحس بوجود غيرها حتى ماتت في نفوس ابنائه عواطف الرحمة
الانسانية ، وخبث انواع الروحانية الربانية ، وهيمن الغرب على
الدنيا بأسرها بعلومه ومعارفه ومباهجه وزخارفه وكشوفه
ومخترعاته وجنوده وامواله ، وصبغ الفكر البشري في كل مكان
بصبغته هذه . على انهم لا يحملون على الغرب وحضارته بالاسلوب
القديم . ويلوح انهم يأخذون برأي البنا الذي أشاد بالجانب الفني منها
كما ذكر في موطن آخر ، ويردون الغلو في الحملة على الحضارة
الغربية الى افرادٍ منهم لا يمثاون الدعوة ولا ينطقون باسمها .
والواقع ان « شعبية » الحركة هي سبب التناقض وتناثر الآراء في
غير ضابط . ولا يصح تحميل الدعوة مسؤولية ما ينتج عن هذه

- ٢٨٨ - انظر انهيار الحضارة الغربية لانور الجندي ص ٢٠ .
- ٢٨٩ - المصدر نفسه ص ٥٧ ، ٦٢ .
- ٢٩٠ - جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ١٧ يوليو ١٩٤٦ .
- ٢٩١ - من خطب حسن البنا ، الحلقة الاولى ص ٣٩ .
- ٢٩٢ - المصدر نفسه ص ٢٤ ، ٢٥ .
- ٢٩٣ - صدر هذا التصريح من قبل تحرير مجلة « المسلمون » بمناسبة زيارة وزير خارجية اسبانيا لمصر . والراجح انه لرئيس تحرير المجلة سعيد رمضان الذي يُعد من ابرز اعضاء الجماعة . [انظر مجلة « المسلمون » عدد ٦ سنة ١ بتاريخ ابريل ١٩٥٢ ص ٩٨] وانظر كذلك (يوم الاسلام) للدكتور احمد امين حيث يربط مصير الاسلام بمصير النزاع بين المعسكرين ص ١٦١ .
- ٢٩٤ - وقد ألمعوا الى هذا القول وذكروا الحكمة نفسها في (دعوتنا في طور جديد) ص ٢٦ .
- ٢٩٥ - انظر حاشية رقم ٢٨٤ .
- ٢٩٦ - رجل الساعة لاحمد انس الحجاجي ص ١٢١ .
- ٢٩٧ - في اربعة اجزاء ، صادر عن دار احياء الكتب العربية بالقاهرة ١٩٥٠ .
- ٢٩٨ - كتاب « من هنا نبدأ » للشيخ خالد محمد خالد ينحو هذا النحو . ولكن المؤلف يرى التوسل بالدين لتحقيق العدالة الاجتماعية ، فهو لا يقطع صلته بالدين .

فهرس الاعلام

صفحة

٦٥ ، ٦٤ ، ٦٣ ، ٦٢ ، ٦١
 ٧٦ ، ٧٥ ، ٧٣ ، ٧٢ ، ٦٦
 ١٠١ ، ٨٨ ، ٨٧ ، ٨٣ ، ٨١
 ١١٨ ، ١١٢ ، ١٠٦ ، ١٠٣
 ١٣٧ ، ١٢٧ ، ١٢٣ ، ١٢٢
 ١٥٠ ، ١٤٩ ، ١٤٨ ، ١٤٦
 ١٥٧ ، ١٥٥ ، ١٥٤ ، ١٥٣
 ١٧٤ ، ١٧٣ ، ١٦٣ ، ١٥٩
 ١٨٧ ، ١٨٦ ، ١٨٠ ، ١٧٥
 ١٩٣ ، ١٩٠ ، ١٨٩ ، ١٨٨
 ١٩٧ ، ١٩٦ ، ١٩٥ ، ١٩٤
 ٢٠٣ ، ٢٠٢ ، ٢٠١ ، ٢٠٠
 ٢٠٧ ، ٢٠٦ ، ٢٠٥ ، ٢٠٤
 . ٢١٠
 ٢٠٥ تشرشل ، ونستون

صفحة

١٧٩ ابن تيمية
 ٤٨ ابو حنيفة ، الامام
 ٦٢ ، ٥ احمد ، محمد حسن
 ١٧٩ ، ٤٠ افغاني ، جمال الدين
 ١٨٠ امين ، احمد
 . ٢١٠ ، ٢٠٢ ، ١٨٦
 ٨ ، ٦ ، ٥ البنا ، حسن
 ١٦ ، ١٥ ، ١٢ ، ١٠ ، ٩
 ٢٤ ، ٢٣ ، ٢١ ، ١٩ ، ١٧
 ٣١ ، ٣٠ ، ٢٨ ، ٢٦ ، ٢٥
 ٣٦ ، ٣٥ ، ٣٤ ، ٣٣ ، ٣٢
 ٤٢ ، ٤١ ، ٤٠ ، ٣٩ ، ٣٨
 ٤٨ ، ٤٧ ، ٤٦ ، ٤٤ ، ٤٣
 ٥٤ ، ٥٣ ، ٥٢ ، ٥١ ، ٥٠
 ، ٦٠ ، ٥٩ ، ٥٨ ، ٥٧ ، ٥٥

١٨٥	الدرديري ، يحيى
١٠	الرافعي ، مصطفى صادق
٤٩ ، ١٣	رضا ، الشيخ رشيد
٢١٠ ، ١٩٢	رمضان ، سعيد
٩	زغلول ، سعد
١٣٨	الزهاوي ، أنجد
٤٩	زهران ، محمد
١٦٢	الزيات ، احمد حسن
٢٠٢	زيدان ، جورجى
	الساعاتي ، احمد عبد الرحمن
١٨٩ ، ٤٢	البننا
٣٧	السباعي ، مصطفى
١٢٤ ، ١٢٧	
٣٧ ، ٢٦	سري ، حسين
١٨٨ ، ٢٦	السكرى ، احمد
١٧١	سليم ، عبد المجيد
١١	السيّد ، احمد لطفي
٤٨ ، ٤٢	الشافعي ، الامام
٤٢	الشيباني ، الامام احمد
٢٦	صبري ، حسن
١٨١	صبري ، مصطفى

٧٩	توفيق ، محمد علي
١١	ثروت ، عبد الخالق
١٨٥	جب ، هـ . ا . ر .
٥٥ ،	الجندي ، احمد انور
٨١ ، ١٨٧ ، ٢٠١	
٥٥ ،	الحجاجي ، احمد انس
٦٠ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٠	
١٩٣ ، ١٩٥	
٤	حرب ، صالح
١١ ، ١٠	حسين ، طه
١٣١	الحسيني ، جمال
٤٤ ،	الحصافي ، الشيخ
٤٥ ، ٤٧	
١١٧	خالد ، محمد خالد
١٩٢ ، ٢١٠	
١٦٨	خان ، لياقت علي
٧٩	خشبة ، احمد
١٣ ،	الخطيب ، محب الدين
٤٩ ، ١٨٥	
١٩٢	خفاجي ، عبد المنعم
١٣	الدجوي ، الشيخ

١٨٨	عسكريه ، حامد
١٩٢	العشماوي ، صالح
٨٥	العشماوي ، محمد
١٨٠	العقاد ، عباس محمود
١٩٢	عودة ، عبد القادر
١٩٢	عياد ، جمال الدين
١٩٢	الغزالي ، محمد
٢٠٤ ، ٢٤	فاروق ، الملك
٨٧	الفاطمي ، المعز لدين الله
١٨٥	كفر مير ، ج
٤٨	مالك ، الامام
٢٦	ماهر ، احمد
٢٧ ، ٢٨ ، ١٠٦	
٢٦	ماهر ، علي
٣٨ ، ١٠٦	
٢٠٢	المحصاني ، صبحي
٢٠٨	
٢٣ ، ١١	محمود ، محمد
٧٣ ، ٧٧ ، ٧٨	
٢٣	النحاس ، مصطفى
٢٤ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٧ ، ٦٥	

١١	صديقي ، اسماعيل
٢٣ ، ٢٦ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤	
١٩٦	صقر ، عبد البديع السيد
١٣٩	الصواف ، محمد محمود
١٩٩ ، ١٩١	الطاهر ، محمد علي
٧٩	طوسن ، عمر
١٨٨	عبد الحميد ، احمد
١٠	عبد الرازق ، علي
١١ ، ١١٦ ، ١١٧	
١٣١	عبد الستار ، عبد المعز
١٣٢	
٨٧	عبد العزيز ، عمر
١٢٢	عبد الكريم ، الامير
١٣٣	عبد الله ، الملك
٣٦	عبد الهادي ، ابراهيم
٣٧ ، ٥٣ ، ١٩٢ ، ٢٠٦	
١٠٠	عبد الوهاب ، محمد ابن
٢٠٢	
٤٠	عبد ، محمد
٤٣ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ١٧١	
١٨١ ، ١٧٩	

الهلالي ، نجيب ٣٨ ، ١٩٨
هيكل ، محمد حسين ١٨٠
وجدي ، فريد ١٣ ، ٤٩ ، ١٨٠
يجبي ، عبد الفتاح ٢٣
يكن ، علي ١١

٧٨ ، ٧٩ ، ٢٠٤ .
النقراشي ، محمود فهمي ٢٦
٢٨ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦
١٠٦ ، ٢٠٦ .
هتار ٦
الهضيبي ، حسن اسماعيل
٣٧ ، ٣٨

الفهرس

صفحة	الفصل الاول	صفحة	الفصل الخامس
٣	ظروف نشأتهم	٧٣	اعمالهم
	الفصل الثاني		الفصل السادس
١٥	نشأتهم وتطورهم	١٠٠	الاخوان والسياسة
	الفصل الثالث		الفصل السابع
٤٠	حسن البنا - شخصيته	١١٩	حركة الاخوان خارج مصر
	الفصل الرابع		الفصل الثامن
٦٣	مبادئهم	١٤٣	تحليل الدعوة
		١٨٥	مراجع وشروح

تصويب

ص	س	خطأ	صواب
٤	٣	اسميت	اسميت
٨	٤	الاخون	الاخوان
٤١	١٣	وسيف ٨٥	وسيف « ٨٥
٨٠	٧	وسائلهم	رسائلهم
٨٥	١٨	الخدمة	الخدمة العامة
٨٨	٢	يخدمه ؟	يخدمه
٩٣	١٥	وكسبه من	وكسبه من وجهه
٩٧	٢	الفلّ	الغلّ
١٠٨	١٧	اخقاق	اخقاق
١١٧	١٣	ويدون آرائهم	ويدونون آرائهم
١١٩	١٠	الاحداث	الوحدات
١٢٠	٦	منهم	فهم
١٢١	٤	باحكام	بأحكام
١٢٨	٦	تجربة	بحرية
١٣٦	١٣	الدعود	الدعوة

ص	س	خطاً	صواب
١٤٧	٣	التفكير	التنكير
١٥٢	١	نيابة	النيابة
١٦٠	١٠	رأو	رأوا
١٦٦	١٨	هدد	هدر
١٦٩	٧	اضف رقم ٢٨٥ في آخر الفقرة	
١٦٩	١١	Islamic diteration	Islamic Literature
١٧٠	٩	اضف رقم ٢٨٦ في آخر الفقرة	
١٧٤	٢١	اغزوا	اغزو

« مطبعة قضاة » شارع بشار الخوري تلخون ٣٤٤ بيروت



المجموعة العقائدية

ظهر منها

- ١ - الاخوان المسلمون تأليف الدكتور اسحاق موسى الحسيني
- ٢ - كفاحي بقلم ادولف هتلر
- ٣ - هذه هي الاشتراكية تأليف جورج بورجان وبيار رامبيرو
- ٤ - هذه هي الماركسية « تحت الطبع »

تطلب هذه الكتب من

العراق : المكتبة العصرية لصاحبها السيد محمود حملي - بغداد
افريقيا : دار الكتب العربية الشرقية لصاحبها السيد محمد خوجه - تونس
سوريا ولبنان : شركة فرج الله للطبوعات - بيروت